

بحر وطين
تأليف
الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي
الجزء الأول

الشيخ محمد تقي الفقيه



الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين ، وعلى جميع الانبياء المرسلين .

بين يديك كتاب فيه ما يعجبك ، وفيه ما لا يعجبك ، ولا تنس ان ما لا يعجبك قد يعجب غيرك ، وان الكتاب لم يوضع لك وحدك ، ولا لغيرك وحده ، بل هو منتجع واسع ، فيه ما ينتفع به الجميع ، وان لم يكن كل ما فيه ينفع الجميع ، ومثله مثل الدواء والغذاء .

ذلك الكتاب ، هو كتاب **حجر وطين** وهو موسوعة في اجزاء .

محمد تقي الفقيه

٣ محرم ١٤٠٢ هـ ١ ت ٢ ١٩٨١

نشأة هذا الكتاب

جمعت محتويات هذا الكتاب في فترات تفوق حد الاحصاء تخللت نصف قرن او يزيد .

وهو من ثمرات ساعات الكلل والملل ، وليس من ثمرات ساعات الفراغ ، لان العقلاء العاملين لا فراغ عندهم أبداً .

فقد كنت اذا ارهقني الاجهاد في تدوين الدروس والتعليق عليها احاول الهرب الى الراحة والاستجمام طلبا لاستعادة النشاط ثم العودة الى العمل ، فلا اجد مهربا الجأ اليه ، الا العمل في هذا الكتاب ، ولا ازال على ذلك الى ساعتي هذه .

وساعدني على ذلك خشونة الحياة التي كنا نعانيها يوم كنا ندرس وندرّس في جامعة النجف الاشرف فقد كنا نقيم فيها في دور ضيقة قديمة البنيان ، ليس فيها شيء من متع الحياة ، الا الكتاب والدرس فلا دعة ولا سعة ولا ماء ولا كهرباء ولا رياش ولا معاش فهو ايضاً ثمرة من ثمرات الفقر والضيق ، وحبذاذلك اذا انتج مثل هذا الانتاج .

وقد قدمته للطبع مع انه لا يتناسب مع ظروفي الحاضرة .

وقررت ارصاد ريعه للانفاق في سبل الخير ، عسى ان احل به عقدة انسان يعيش اليوم كما كنت اعيش بالامس او انفقه في مشروع يعود بالنفع على الجميع وحسبي الله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وجه التسمية :

(حجر وطين) ، ومن منا يجهل ما لهاتين المادتين من الفوائد الجمة ، والمنافع الكثيرة ، وكيف نجهلها ونحن من الحجر والطّين نبني محاكم العدل ، ونوادي الجمعيات ، وقصور الملوك ، وأكواخ الصعاليك ، ومن الحجر والطّين نستطيع ان نشيد قصراً ، كما نستطيع أن نبني كوخاً ، وبالحجر نضرب الخصم فنؤلمه ، والمتكبِّر فنحط من كبريائه ، ونؤدب المجرم فنخفف من غلوائه ، وبالحجر نستطيع أن ندافع عن الصَّديق كما نستطيع أن ندافع عن الكرامة والعرض ، والمال ، والحق ، والدِّين .

ومن الطِّين نستطيع أن نصنع إبريقا فنسقي منه الظَّمآن ، وآنية نقدم فيها الطَّعام والشَّراب الى الضيف واليتيم ، والمعدم . وربما استطعنا ان نرجع كلَّ شيءٍ إلى الحجر والطّين ، فإنَّ الحجر طين متجمد ، وآدم وهو أصل الانسان من الطين ، زرع الله سبحانه فيه الروح ، وكل مادة محسوسة ملموسة ، من حيوانٍ أو نبات أولها الحجر والطّين ، ونهايتها في دار الدُّنيا ، الحجر والطّين .

وإذا كان كذلك ، فلا يسعك أن تستغرب تسمية هذه الأوراق بلفظتي **(حجر وطين)** ، ولا سيما إذا أوضحنا لك وجه المناسبة الموجبة للتسمية ،

فإنك إذا تصفَّحت هذه الأوراق ، استطعت أن تستخرج ترجمة كاملة لأديب ، وتحليل نفسية لشخصية فذة ، واستطعت أن تبني مقالاً في نقد الأدب وتحليله ، واستطعت أن تحفظ حكمة نادرة ، ومقطوعة رائقة ، وقصَّة شائقة ، ونظرية علمية فائقة ، تعوزك الى واحدة منها الحاجة ، وتضطرك إليها المناسبات . وعندما تكون وحدك في حضر أو سفر تجد في قرائتها لذة ومتعة وفائدة ، وعندما تحيط بك الهموم يكون لك من هذا الكتاب صديق يؤنسك وينسيك همومك ، ومن هذه المجموعة ، تقدر أن تعرف حياة العصر الذي كتبت فيه ، بجميع انحائها ، أدبية كانت أو سياسية ، أو أخلاقية ، فهو مهم من هذه الناحية أزيد من بقية النواحي .

هذه المقدمة كتبت في سنة ١٣٥٤ هـ في ٤ محرم على عفو القلم ، وذلك بمناسبة تغيير اسم هذا الكتاب إلى حجر وطين ، وكان اسمه قبل ذلك البساتين ، وكان الشروع في جمعه قبل الخمسين الهجرية .

حرره مؤلفه
محمد تقي آل الفقيه العاملي
في النجف الأشرف.

الكتاب الأول : حكمة في قصة

قيمة حسن الأدب

أبي أحسن تأديبي ، ولكن أباه لم يحسن تأديبه

كان الملك ووزيره ذاهبين في مهمة عسكرية ، فاجتازا بصبية يلعبون ، فأحب الملك أن يتفاءل ، فاستوقف احد الصبية ، وقال : ما اسمك ؟

قال : فتاح .

قال له : إلى اين تذهب ؟

قال : إلى المعلم .

قال : أين تقرأ ؟

قال الغلام : في سورة ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ . فاستبشر الملك بذلك ، ثم لما انتهيا من غايتهما ، وكانا قد صادفا نجاحاً ، قال الملك لوزيره : مرَّ بنا على المعلّم لنكرم هذا الطفل ، فإننا تفألنا باسمه ودرسه . فمرا بالمعلم وقالا له : ادع لنا هذا الغلام .

فناداه : عباس . . . يا عباس .

فلما حضر قال له الملك : ما اسمك ؟

قال : عباس .

قال : أين تقرأ ؟

قال في سورة ﴿ عبس وتولىّ ﴾ .

فقال الملك : لقد سألتك آنفاً فقلت فتاح وفي سورة الفتح .

فقال الغلام : عندما استوقفتني وسألتني ، تنبهت الى ما تريد ، لأن مثلك لا يتكلم مع مثلي الا لأمر معقول .
فلم احب ان تتشاءم باسمي .

فقال : أحسنت يا بني ، خذ هذا الدِّينار. فامتنع الغلام عن أخذه .
فقال له : كيف تمتنع عن عطية الملوك ؟

فقال الغلام : يا مولاي ، إن أخذت الدِّينار ، سألني أبي عن مصدره ، فإن قلت من الملك ، لم يصدقني ، ويقول : سرقته ، لأن الملوك لا يعطون القليل ، فأكرمه الملك وأعطاه مائة دينار .

ثم اجتاز الملك ، فرأى شيخاً قذراً ، عكر عليه صفو الطَّريق ، وهو يبيع اموراً محقَّرة ، فأمره أن يتنحى ، فشتمه ، فقال: أما تخشى أن أكون ممثِّلاً للملك ، فشتمه ثانية وشتم الملك ، واستمر في عمله .

فأمر الملك بإحضاره للتَّأديب ونادى المنادي : من أحبَّ أن ينظر الى تأديب المجرم فلان ، فليحضر . فسمع الغلام ، فحضر ، ثم استأذن على الملك ، فدخل وسلم عليه ، ثم دفع إليه الدنانير ، فقال : ما هذا ؟

قال : إنك أعطيتنيها لافدي بها أبي ، إنَّ المجرم أبي .

فقال الملك : بارك الله فيك وأبعد أباك ، فقال الغلام: بل بارك الله بأبي ، وأبعد أباه .

فقال : ولِمَ ؟

قال : لأنَّ أبي أحسن تربيتي ، فقربتني حسن تربيته من الملوك ، وجدي لم يحسن تربية ولده ، فعرضه لسخط الملوك ، فأكرمه الملك ثانية ، وعفا عن أبيه .

حكمة في قصة

كان لبعض العلماء ثلاثة تلاميذ ، وكان يكبر أصغرهم ويعظمه ، مع صغر سنّه ، ومع كونه دونهما في الفضل ، فاعترض عليه الكبيران في ذلك . فقال لهما : الجواب غداً .

وفي اليوم التالي ، أعطى كلّاً منهم طائراً ، وأمره بذبحه في مكان لا يراه فيه أحد . . . فما مضت ساعة حتى عاد الأولان ومعهما طائراهما مذبوحان ، ورجع الثالث ، وطائره غير مذبوح .

فقال له : لِمَ لَمْ تذبحه ؟

قال : لأنّي لم أجد مكاناً ليس فيه أحد . فسخر منه الأولان ، وقالا : ما أكثر الأماكن ، ها نحن قد ذبحناهما ، ولم يرنا أحد .

فالتفت للأصغر : وقال : ما تقول أنت يا بني ؟ قال : إنني كلما ذهبت لبقعة خالية وهممت بذبحه ، رأيت كأنَّ الله معي حاضراً وأنت شرطت عليَّ أن أذبحه في مكان لا يراني فيه أحد ، ولم أجد مكاناً خالياً من الله ، ولا يراني هو فيه . فابتسم له ، ثم التفت اليهما وقال : من أجل هذا استحق صاحبكما التقديم .

وأوصى بعضهم شخصاً ، فقال : إذا أردت أن تعصي الله ، فاعصه في مكان لا يراك فيه .

ويشبه هذا من بعيد قوله عليه السلام : أن لا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجدك حيث نهاك .

ملك الحيوانات والفيل

قيل : تملك حيوان ضخم على جميع الحيوانات ، ولما تمت له البيعْة ، وقف على مرتفع في منعطف الطُّرق ، وأمرهم بالمرور منه ، وصار كلّما مرَّ عليه نوع من الوحوش يستوقفه ويقول له :

من هو الملك عليكم ؟

فيهتفون بحياته ويقولون : حضرتك يا صاحب الجلالة . . .

وفي يوم من الأيام مرَّ به الفيل ، فاستوقفه ، ووجه إليه السُّؤال المعلوم ، فلم يجب ، فصاح به صيحة عظيمة ، فلم يجب ، ولم يتحرّك من مكانه ، فجعل يكرِّر عليه السُّؤال ويهدِّده ، ويدنو منه .

فقال له الفيل : أنا كبير ، وفي أُذني صمم. . . تقدَّم إليَّ وأسمعني ما تريد .

فاقترب منه الملك ووضع فمه على أُذنه ، وصاح به ، وسأله السُّؤال المعلوم قائلاً : من هو الملك عليك ؟ فلفّ الفيل خرطومه عليه ، وعصره عصرة عظيمة ، وقال له :

ألم أقل لك إنَّني لا أسمع ، والآن أنا أُوجه إليك هذا السُّؤال لتعلمني أنت ما أُجيب به أيّها الصّعلوك ، فجعل يتململ ويقول : أنا خادمك ، وأنت الملك .

منكرو الصّانع

قيل : إنَّ رجلاً مر على امرأة لها بقرة حلوب ، فسألها عن سعر الحليب فأجابته ، وكان في الإناء حليب قد حلبته من قبل ، فأرادت أن تعطيه منه فقال لها : لعله مغشوش ؟ فحلفت له بالله تعالى ـ فقال لها : ما هذه الخرافة ؟ إحلفي بالوجدان والضمير والشرف ، فأين هو الله ؟ لو كان موجوداً لرأيناه

فحلبت قليلاً ، ثم قالت له : انظر الى هذا الحليب ما أدسمه فوافقها ، فقالت له : أين الدَّسم منه وأين الزبد ؟ فقال : منتشر فيه ، فقالت : كيف آمنت به ولم تره ، ولم تؤمن بالله تعالى لأنك لم تره ؟ إننا كذلك نؤمن بالله تعالى ، ولم نره بذاته ، ولكن رأينا آثاره في مخلوقاته . . .

فلاّح أبصر من فيلسوف

ذهب أحد الفلاسفة إلى الموصل ، قاصداً بعض علماء الدّين المشهورين ، ليخاصمه في الله ، فاجتاز بفلاّح في جوار البلد ، يسقي بستاناً له ، فسأله عن العالم ، فأخبره بوجوده ، فطلب منه أن يوصله إليه ، فاعتذر إليه ، بأنَّ تنظيم السَّقي يختل قائلاً : إذا تركت الماء بلا توزيع ، وليس للبستان رب غيري ، لم ينتظم أمر السِّقاية ، ثم سأله الفلاح :

ما تريد من العالم ؟

فأخبره الفيلسوف بأمره غير آبه به .

فقال الفلاح : أنا أقوم مقامه يا حضرة الفيلسوف اسالني وأنا اجيب فقال الفيلسوف : أنتم تقولون : إنَّ الله موجود فأين هو ؟ فقال الفلاح : بستان واحد لا ينتظم أمر سقيه بدون فلاح يراقبه ، فما ظنّك بهذا الكون العظيم ؟

ففكر الفيلسوف قليلاً ، ثم قال : فلاح أبصر من متفلسف .

قل : إن شاء الله

قيل : إنَّ رجلاً ذهب ليشتري سيارة بخمسماية دينار ، فلقيه صديق له ، فسأله عن اتجاهه فأخبره ، فقال له :

قل : إن شاء الله .

فقال : ما هذه الخرافة ؟ الدَّراهم في جيبي ، والسيارة في المحل ، والسِّعر محدود . . .

واجتاز في أثناء سيره بسوق الدّلالين ، والناس مزدحمون ، فقصَّ اللصوص جيبه ، وهو لا يشعر . . فوصل إلى المحل ، وقطع السِّعر ، ومد يده

ليدفع النقود فوجدها مسروقة ، فرجع ، وجعل يحدِّث بقصته ، وهو يقول : ذهبت الى بغداد إن شاء الله لأشتري سيارة إن شاء الله ، إلى أن قال : فسرقت الدنانير إن شاء الله تعالى .

وكانت هذه القصة ، تروى في رجل ذهب ليشتري حماراً من السّوق ، ولعلّها حادثة مكررة . .

ومثل قصة الفلاح والفيلسوف ما يحكى عن قس بن ساعده قصة الأعرابي الذي سئل عن الله سبحانه فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر السَّير يدل على المسير ، وليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، الا يدلون على الله اللّطيف الخبير ؟

العاقل من اعتبر .. وعاقبة أصحاب السلطة

يروى أنَّ رجلاً مرض له طفل ، فنذر إن عافاه الله ، أن يدفع مائة ليرة لمجنون ما ، وفعلاً عوفيٍ الطفل ، فذهب الرجل ليدفع المال . . فبينما هو في طريقه ، وإذا برجل يغني ويعربد ويصفق بيديه ، فعرف أنه مجنون وأنه هو المطلوب ، فاستوقفه فوقف المجنون ، وسأله عن حاجته ، فقال الرجل : إنني نذرت هذه المائة ليرة لمجنون ، وقد استحق عليَّ النذر ، وقد وجدتك أنت ، فخذها إليك ، فنهره المجنون بعنف ، وقال : أنت تقول لي إنني مجنون ، وأراد أن يضربه .

ولكنَّ الرجل العاقل سار في طريقه ، وتركه دفعاً للشر ، وتوجه إلى إحدى المدن الكبرى ، وبينما هو يسير في أحد شوارعها ، وإذا بحمار ورجل وسيم راكب عليه من الخلف بالمقلوب ، وجهه الى جهة ذنبه ، والناس حوله يضحكون ويصفقون ، ويرشقونه بالبيض الفاسد والفضلات ، فتعجب الرجل من هذا المنظرِ الغريب ، وسأل عنه ، فقيل له : هذا حاكم البلد ، وقد أُحيل على التقاعد . .

فاستطرد في مسيره ، وإذا بموكب حافل ، ورجل راكب على فرس مطهم ، والطّبول حوله تدق ، والنساء في فرح وسرور ، وهو مرتاح لذلك ، فتعجب الرجلِ لهذا التناقض ، ثم لما سأل عنه ، قيل له : هذا الحاكم الجديد . . فضحك الرَّجل ، وقال : هذا هو المجنون الذي أُريده . وسوف

أدفع له النذر ، وفعلاً مضى الرَّجل نحوه ، وشقَّ الصّفوف حتى وصل إليه ، فسلَّم عليه ، وقصَّ قصَّته ، ثم قال له : إنني لم أجد غيرك يستحق هذا النَّذر ، لأنَّ الحاكم المتقاعد مر أمامك قبل قليل ، وهو يرشق بالبيض الفاسد والقاذورات . ولو كنت عاقلاً لاعتبرت به ، وتحاشيت هذا المنصب .

في الزهد وكيفياته

يحكى أنَّ رجلاً من بلخ ، كان له جارية حسناء ، وأراد الحج ، فأودعها عند بعض المعروفين بالتقوى والصَّلاح . واتفق أنَّ هذا الصالح كلمها مرة ، فوقعت في نفسه ، فخرج من داره ، وأصبح يتفقد الجارية من خارج الدّار ، ثم لما طال به العهد ، شكا حاله لإخوانه الصّالحين ، فأرشدوه إلى عالم مشهور في مدينة أُخرى ، فذهب إليها وسأل عنه ، فقيل : إنَّه خمير سكران يتطلب الولدان . ثم رأى أنه لا بد له من الإجتماع به ، ولما انتهى إليه ، وجد داره في محلة الخمارين ، ووجد إلى جانبه غلاماً جميلاً ، وأمامه قارورة ، فيها شيء يشبه الخمر ، فسلَّم عليه ، ثم قال له :

لي إليك حاجة ، أُريد أن أشرحها لك ، ولكن أُريد أن تخبرني عما أنت فيه قبل شرحها ، فقال له فوراً :

أما الدار فهي ملك لي ، وقد اغتصب السلطان هذه المحلة للخمر ، واستطعت الإحتفاظ بداري ، فآثرت السّكنى فيها ، مع ما يلحقني من النكد ، حتى لا أكون معيناً على المحرم ، وأما الغلام ، فهو ولدي ، وأنا اعلمه أحكام الدِّين ، وأما القارورة ففيها خل ، وهو قوتي وقوت عيالي .

قال الرجل : لِمَ لا تخبر الناس بأمرك ، لتخلِّصهم من ظنونهم السيئة فيك ؟

فقال له : لئلا يودعوني جواريهم ، فافتتن بهنَّ .

قال الرجل : من أخبرك بهذا ؟

قال : المؤمن ينظر بعين الله .

وأمثال هذه الخطورات النفسية توجد بكثرة ، عند من ارتقت نفوسهم بالطاعة ، واستنارت بالزهادة وهم يرونه شيئاً معتاداً ، والناس يظنونها معجزات

وكرامات ، مع أنها خطورات مصيبة ، بسبب صفاء النَّفس وابتعادها عن الرذائل .

ثلاث كلمات بثلاثة آلاف دينار

قال رجل في زمن كسرى : من يشتري ثلاث كلمات بثلاث آلاف دينار ؟ فسمع به كسرى ، فقال : أنا ، هات ما عندك ؟

فقال الرجل : ليس في الناس كلهم خير .

فقال:صدقت . ثم ماذا ؟

قال : ولا بد منهم .

فقال : صدقت ، ثم ماذا ؟

قال : فالبسهم على قذر ذلك .

فقال له كسرى : إنه قد استوجب المال ، فخذه .

فقال الرجل : لا حاجة لي به ، وإنما أردت أن أرى من يشتري الحكمة بالمال .

كان لكسرى أنوشروان معلم حسن التأديب ، فلما برز كسرى في العلوم ضربه ذلك المعلِّم من غير ذنب وأوجعه ، فحقد عليه كسرى ، ولما ولي كسرى الملك قال للمعلم : ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلماً . فأجابه المعلم الحكيم : لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك ، فأحببت أن أذيقك مرارة الظلم لئلا تظلم .

دخل بعض المسلمين المسجد . فرأى فيه رجلاً معتكفاً ، فقال له : من يعولك ؟ فقال : أخي ، فقال له : أخوك أعبد منك .

قيل للمهلب بن أبي صفرة ؟ بم أدركت ما أدركت ؟

قال : أدركته بالعلم ، .

فقالوا : إنا نرى اناساً قد تعلموا أكثر مما تعلَّمت ، ولم يدركوا ما أدركت ؟

فقال المهلب : ذلك لأني استعملت علمي ولم أحمله ، وغيري حمل علمه ولم يستعمله .

قيل : إنَّ الملك فيليب المقدوني ثمل حتى اختل ، فغضب على بعض قواده ، وأمر بتجريده من رتبته العسكرية ، فقال له القائد : يا مولاي أتأذن لي باستيناف الحكم ؟ فقال له الملك : إلى أين تريد أن تستأنفه ؟ فأجابه القائد : من فيليب السكران إلى الملك فيليب الصّاحي .

قال رجل للحسن (ع) : إنَّ عندي بنتاً ، فمن ترى ازوجها ؟

فقال : زوجها ممن يتقي الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها .

قال الرشيد للبهلول : من أحبّ الناس إليك ؟ فقال : من أشبع بطني .

قال الرّشيد : فأنا أُشبع بطنك ، فأحببني فقال :الحب لا يكون بالدَّين .

أوصى أحد المحامين بجميع ماله لمستشفى المجانين ، وقال في وصيته : اكتسبت هذا المال بفضل المجانين الذين يقضون حياتهم في المنازعات ، فما أنا الا كمن يرد الشَّيء إلى أهله .

قيل : إنَّ رجلاً فقيراً اشتغل ، فحصل على درهمين ، فمر بشخص معه هدهدان ، فاشترى أحدهما بدرهم ، فلما جسه ،رآه لا يصلح للأكل ، ولا يشبع الجائع ، فأراد إطلاقه رحمة له ، فقال : ما الفائدة ورفيقه سيذبح ؟ وأراد إرجاعه واسترجاع الدّرهم ، فقال : سيذبح مع رفيقه ، وقرر أخيراً شراء الثاني ، وإطلاقهما معاً ، وفعل ذلك ثم نام تحت شجرة نهاراً وهو في أشد حالات الجوع . أما الهدهدان ، فكانا فوقه في أعلى الشجرة ، فقال أحدهما للآخر : إنَّ صاحبنا جائع ، وإنه فقير ، وإنَّ له علينا فضلاً ، أما إنه لو حفر تحت رأسه قدر ذراع لوجد صندوقاً صغيراً فيه أموال وكان يسمع كلامهما ، فقال لهما : انكما لن تبصرا الفخ ، وهو مغطى بقليل من التراب ، فكيف تبصران الكنز ، وهو مغطى بذراع ؟ فقالا له : إعلم أنه إذا جاء القدر ، عمي البصر ، ثم حفر المكان ، فوجد الكنز ، فكان هذا ثمرة إحسان المحسن

قال ابن عباس أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا سأله ، وأبعد ما يكون

من الخلق إذا سألهم .

قال الحسن (ع) : الأصحاب ثلاثة : كالغذاء لا يستغنى عنه ، وكالدواء يحتاج إليه، وكالداء لا يحتاج إليه .

أصدقاء المال وأصدقاء الشرف

كان أحد أبناء الأثرياء يكثر من الإنفاق ، فعاتبه والده على ذلك فقال الولد : إنني اريد بذلك اكتساب الأصدقاء ، فقال الوالد : يا بني ، لا خير في صديق يشترى بالمال .

ثم أراد ان يريه ذلك عملياً ، فذبح كبشاً ، وأجاد طبخه ، ووضعه في شبه الكفن ، وقال له : إذهب إلى أصدقائك ، وقل لهم : إنَّ لصاً هجم علينا ، وضربناه فقتلناه ، واريد مساعدتكم على إخراجه من منزلنا في هذا اللَّيل وإخفائه ، فذهب إليهم ، وجعل يطرق أبوابهم باباً باباً ، وكلما وصل إلى واحد منهم رحب به ، فإذا ذكر الحادث أطبق الباب في وجهه . وقال : ما وجدت أحسن من هذا العمل ؟

ولما عاد الغلام قص لأبيه ما جرى ، فقال الوالد : هؤلاء يا بني أصدقاء المال والأكل والشرب ، وإنني سأريك الآن أصدقاء الشرف والفضيلة ، فأرسله الى صديق له ، وأخبره بالقتيل ، فأسرع بالخروج معه حافياً ، فقال الغلام : يا عم إلبس حذائك . فقال الرجل : الوقت ضيق ، والفجر كاد يبزغ ، ولما حضر مرتبكا ، هدَّأه الوالد وأخبره بالأمر . . . ثم أرسله خلف بقية أصدقائه ، وكان كل واحد منهم يلبيه لما ندبه إليه ، فلما اجتمعوا ، أخبرهم والده بما كان ، ثم جلسوا جميعاً على المائدة ، وأكلوا الكبش المطبوخ .

ثلاثة نصائح في قصة

وهذه القصَّة ينقلها أخر بشكل مختلف فيقول :

أوصى الوالد ولده قائلا : يا بني . . إياك أن تصادق موظفاً في الدَّولة ، فإنه يخذلك عند الشدَّة بدعوى أنه يحافظ على القانون وعلى شرف الدولة ، وهو في الحقيقة يحافظ على كرسيه وعلى راتبه ، وإياك أن تأمن زوجتك على سرِّك ، فإنها

لن تكتمه أبداً ، وإذا ظفرت بصديق فاحتفظ به . ولن تظفر بصديق صدوق ، فإنَّ أباك اكتسب في حياته صديقاً ونصف صديق . . . وسأريك ذلك كلّه عملاً .

وفي ليلة من ليالي الشتاء ، أقفل الباب على عياله ، وأحضر كبشاً ، وذبحه ، ودفنه في عرق شجرة في فناء البيت . ودخل بعد ذلك على عياله ، وبعد الإلحاح بالسُّؤال ، أخبر زوجته بأنهما دعوا عدواً لهما ، وقتلاه ، ودفناه في عرق الشجرة ، وطلب منها تنظيف المكان من الدم ، لئلا يطلع أحد على السِّر ، فارتبكت الزوجة ، وجعلت تولول وتلوم زوجها وتقول : ضيعتني شابة ، وأيتمت أولادي . . . غداً ينفضح الأمر وتودع في السجن . . . فماذا سيكون حالي ؟ وجعل زوجها يصبِّرها ويأمرها بالستر والسكوت ولكنّها لم تستقر حتى ذهبت الى بيت أهلها مرتبكة ، فسألتها والدتها فأخبرتها ، وجعل الخبر يسير ليلا من منزل الى منزل ، ثم قال الوالد لولده : إذهب يا بني ، وادع لنا الشرطي فلان ، وكان صديقاً حميماً ، فدعاه فلباه ، وكان يظن أنها وليمة دسمة ، فلما جلس ، قال له : يا أخي بيننا خبز وملح وصداقة ، وأنت أخ ، وقد هاجمنا لص ، وقتلناه ودفناه في عرق هذه الشجرة . . فجذب الشرطي نفسه مغضباً ، وقال : تدعوني الى الخيانة ، والى مخالفة القانون ، والى . . وإلى ثم أخرج محضراً ، وأخذ إفادته ، وأمر بسوقه للسجن ، فقال الوالد لولده : إنَّ لي نصف صديق وهو فلان ، اذهب وأعلمه بالأمر لعلَّه يساعدنا . . فلما ذهب وأخبره ، دخل منزله وأخرج جميع ما عنده من حليٍّ ونقود ، ودفعهما للولد ، وقال : إعتذر لوالدك بأنه لا معرفة لي برجال الدَّولة ، وهذا كلّ ما أستطيع المساعدة به ثم أرسله الى شخص آخر ، وقال له : هذا صديق تام . . إذهب اليه وأخبره بالأمر . . فذهب إليه وأخبره ، فلما سمع الخبر ، خرج معه بدون حذاء ولا رداء ، فقال الولد : إلى أين يا عم ؟

فقال : ذاهب الى أبيك فإن أباك ليس هو القاتل ، بل أنا قتلت ، فقال الولد : لو لبست ثيابك ؟ فقال الرجل : الوقت أضيق من ذلك ، فإنني أخشى أن ينفذ الحكم بأبيك ، والآن سأعترف حتى اخلّصه ، وأصير مكانه فانه رب عيال وأطفال . . . ثم ذهب معه حتى وصل للسجن واعترف بأنه هو المجرم فأدخله

الشرطة السجن مع أبيه ، ولما استدعيا للتحقيق ، أخبرهما الرجل بالأمر ، وانكشف الحال .

صداقة الحاج عزيز والسيد محسن

وفي سنة ١٩٥٩ م ، اختلف الحاج عزيز العاجل مع الشيوعيين ، وهو من قرية (سويج شجر) ناحية الفجر ، التابعة للواء الناصرية ، فادخل السجن ، وكان صديقه السيد محسن السيد حسن طاهر غائباً ، فلما حضر وعلم ذهب للمخفر ، وأعلم الدرك بأنه اشترك معه في الجريمة ، فسجن معه ، فقال له الحاج عزيز : ما حملك على هذا ؟ فقال : خفت أن تستوحش ، فأردت أن أكون معك لأؤنسك . .

وهذان الشخصان موجودان الآن ، ولا أظن أنهما بلغا الخمسين من العمر ، وكلاهما عزيز عليَّ ، ولهما عندي مكانة متميزة يعرفها أهل تلك المنطقة . . وفقهما الله تعالى وكثر أمثالهما .

وأكبر أولاد الحاج عزيز اسمه سعد .

الغربة في طلب العز
إشترى ثلاث نصائح بثمانية وعشرين جملاً

قيل : إنَّ أحد زعماء العرب توفي عن ولدين ، فترأس أحدهما مكان أبيه ، وأصبح المال والجاه له وقد تزوج هو وأخوه ، فولد للمتزعم منهما بنت وللفقير ولد ، وكانا معاً يشعران بالكرامة ووحدة النسب ، وكان ولد الفقير لا يرى ثراء عمه وتزعمه يميزه عليه ، فقيل له في ابنة عمه ، فخطبها وأعطاها عمه له ، ولكنَّه اقترح عليه مالاً كثيراً ، فاضطر لاسترفاد الزعماء مستعيناً فأعانوه وهذه سنة متبعة عند أشراف العرب .

ولما تم زواجه منها وعاش معها ، رأى نفسه مأموراً غير آمر ، وتلاحيا يوماً ، فعيَّرته ابنة عمه قائلة له : لو كان فيك خير لما جمعت مهري بالإسترفاد ، فغاضه ذلك فآثر الغربة في العز على الإستيطان في الهوان ، فلم يزل يجد السَّير حتى نزل ضيفاً على زعيم قبيلة من القبائل لا يعرفه ، فبقي ضيفاً ثلاثاً ، ثم استجوبه

وأخدمه الإبل متابعة لإرادة الشاب على أن يعطيه في كلّ سنة بكراً من الإبل وبكرة - يعني أنثى وذكراً من الإبل الأبكار - وشرط عليه ثلاث شروط ، وذلك كله بعد أن أنس منه النبل والكرامة واللّياقة لحفظ الإبل من الغزاة ، ولعلّه من أجل هذا لا يزال الراعي بنظر البدو أفضل الفتيان ، ومقدماً على غيره دون سائر المهن والحالات .

والشرط الأول : الذي اشترطه صاحب الإبل عليه ، أن لا يتأمل الناقة البكر عند تمرغها في التراب .

والشرط الثاني : أن لا يركب البعير العالي .

والشرط الثالث أن لا ينظر الى الأُنثى والذكر وقت اللّقاح .

فقبل الشاب ، ولبث في الخدمة أربع عشرة سنة ، فاتفق أنه خالف الشرط الأول ، فتذكر ابنة عمه وانشغلت أفكاره ، ثم خالف الثاني ، فتذكر أيام عزه ومجده ، فزاد انشغاله ، ثم خالف الثالث ، فهاج بلباله ، وجعل يتذكر أيام عرسه وما كان عليه ، فلما عاد مساء من الرعي ركب البعير العالي ذاهلاً عن الشرط ولما وصل لاحظ صاحب الإبل انه خالف الشرط ، وعلم أنه ناتج عن مخالفة الشرطين الآخرين .

فقال له : يا بني . . إنّ وجودك عندنا لا يفيدنا بعد هذا، لأنك ذكرت الأهل والوطن ، ثم سلمه ثمانية وعشرين بعيراً أبكاراً ، نصفها إناث ونصفها ذكور ، وأمره بالنزوح عنه ، فلما فصل وابتعد تنكر الزعيم المذكور ، واعترضه في أثناء الطّريق قائلاً له : أتبيع هذه الإبل؟ فامتنع ، فقال له : إنك تسير وحدك ، وإنّ حمل ثمنها وحفظه أيسر من حفظها وحمايتها ، وأخيراً وافق الشاب على بيعها ، فقال الزّعيم : إنني لا أشتريها بذهب ولا فضة ، ولكنّني أشتريها بما هو أثمن من ذلك ، قال الشاب : وما ذاك ؟ قال : ثلاث كلمات فيها النجاة والنجاح والراحة ، فامتنع الشاب ، فلج الزعيم في اقناعه ، وبعد المساومة والجدال ، اقتنع فتكاتبا ، ثم سلم الإبل للزعيم كل ذلك وهو لا يعرفه . فقال : خذ الكلمات الثلاث :

الكلمة الاولى : أزرق العيون ، أفرق السنون - الأسنان - انمش اللون ، أو

أحمر اللون إياك أن تصحبه : لأنَّ العرب يعتقدون أنه خادع ماكر فتاك .

الكلمة الثانية : إياكِ والنوم في الوادي إذا جنك اللَّيل ، وعليك بالأعالي .

الكلمة الثالثة : إذا غضبت ليلاً ، فأخر العقوبة إلى الصباح ، وإذا غضبت نهاراً ، فأخر العقوبة إلى اللَّيل .

ثم أعلمه بنفسه ، وساعده بما ينبغي ، ومضى عنه ، وبقي الشاب متفكراً فيما جرى ، فمرة يلوم نفسه ، ومرة يعزيها ومن الصدف أنه بعد ذلك تبعه رجل يحمل الصفات الثلاث المذمومة ، فذكر الوصية ، وأراد التخلص ، فلم يقدر ، ثم لما سايره ، وجده من أحسن الناس ، فتعجب من وصية الزعيم الحكيم ، ولما جنهما الليل ، ناما ، أما الرجل فنام كأنه الخشبة ، وأما الشاب فجعل يستعرض ماضيه ، ثم قال في نفسه : أنا بعت تعب أربعة عشر عاماً بثلاث كلمات ، فإذا كنت أضعت الإبل ، فلن أُضيع النصيحة ، ثم أنسل من فراشه ، واللَّيل قد أرخى سدوله ، وبقي في حذر ، وكان من يرى فراشه يظن أنه فيه ، فانتبه الرجل الذي اجتمعت فيه الصفات ، وتنحنح ، فلم يسمع شيئاً ، فظنَّ أنَّ الشاب غافل ، فأهوى عليه بالسيف ، فخاب ظنه ، فابتدره الفتى بضربة أرداه قتيلاً ، وكانت هذه البادرة تبشره بربح الصفقة .

ثم أخذ أمتعة رفيقه وراحلته وسلاحه وسار ، فأجنَّه اللَّيل في واد من الوديان ، وكان قد أرهقه التعب ، فهمَّ بأن ينام في الوادي ، فتذكر ما كان ، فهبَّ من رقدته إلى اعلى الجبل ، ونام فيه وانتبه ليلاً ، فراعه عجيج وضجيج وصخب ، وتبين أنَّ سيلاً اجتاز بالوادي فحمل ما اجتاز به ، وأنَّ هذه الأصوات أصوات السيل ومحتوياته من بيوت وأمتعة وأنعام وأشجار وأحجار ، فأصبح الصَّباح ، وجعل يعجب ويجمع ما تمكن عليه من الأنعام والأموال ، وحمله معه ، واستيقن مرة أُخرى بالنَّجاح والفلاح ، وعلم أنَّ الحكمة أفضل من الذَّهب والفضَّة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وشكر الزعيم الذي أظافه وآواه ، ثم ذهب إلى منازل عشيرته ، فضرب الخيام قريباً من منازلهم ، فأمر بالقهوة والطَّعام ، وأظهر المجد والعزَّ ، ولم يزره العرب تلك اللَّيلة ،

أما هو فكان يعرف خباء ابنة عمه ، فذهب إليها ليلاً متنكراً ، ليتعرف حالها ، ويخبرها بحاله ، فرآها نائمة وإلى جانبها شاب جميل قد اعتنقته

واعتنقها ، فجرّد سيفه وهمَّ بالقضاء عليهما ثم تذكر الحكمة الثالثة ، فأخر ذلك للصَّباح ، وجلس على باب الخباء ، وهو يكاد يحترق غضباً وحنقاً وغيرة ، فلما انتبهت قبيل الفجر ، جعلت تخاطب الشّاب الذي إلى جانبها : قم يا بني . فقد اقترب الصَّباح ، ففهم أنه ولده ، وأنها حملت به منه ، وولد في غيابه ، فكانت هذه الكلمات الثلاث أثمن مما أنفقه في سبيلها من المال . . ثم أعلم قومه وعشيرته ، فأعلنوا الأفراح واستأنفوا المسرات ، وربما رحلوا بهدايا ثمينة إلى ذلك الحكيم الناصح ، وبادلهم بالمثل والأكثر . . .

العقل في الصَّبر

كان لبعض الأعيان ولد وحيد ، رباه وعلّمه ، ولما بلغ أشدّه أحضره يوماً ، وسأله : يا بني أين العقل ؟

فقال له : في الرأس .

فضربه ضرباً مبرِّحاً . ثم بعد ستة أشهر تقريباً ، عندما نسي الغلام ما كان ، وجه إليه السُّؤال نفسه ، فقال له : في القلب . فعاقبه أكثر من قبل ، فبقي الغلام في حيرة وارتباك ، وتيقن أنه إذا وجه اليه هذا السؤال مرة اخرى إذا لم يجب اباه بما يرضيه ، يقضي عليه . فجعل يفكر في الحيلة ، وتفطن انَّ لوالده صديقاً مخلصاً يعتمد عليه ، ويرتضي عقله ورأيه ، فذهب اليه الغلام ، وخلا به ، وقال له :

يا عم . . إنَّ أبي سألني عن العقل ، فأجبته بكذا وكذا ، فكان منه كذا وكذا وانني خائف على نفسي من الهلاك في المرة الثالثة ، ولست اعلم اليوم الذي يوجه إليَّ فيه السُّؤال ،

فقال له الرجل : قل له : العقل في الصَّبر .

واتفق بعد أيام أنه وجه إليه السّؤال نفسه ، فأجابه بهذا الجواب ، فأنس به وسأله :

أنّى لك هذا ؟

فحكى له القصَّة فقال له :

هلا صبرت ؟

ثم دفع اليه مائة دينار وقال : خذها ، واصنع بها ما شئت ولا تراجعني . .

ففرح الغلام ، وانفتحت امامه أبواب الشّهوة ، فسافر إلى غير بلاده ، وقضى مآربه ، فلما استهلكها انتبه لنفسه ، ولم ينفعه الانتباه ، فكتب لوالده ، فلم يجبه بشيء ، ولم يتمكن من العودة ، فجعل يبيع بعض أمتعته الثّمينة ، وينفق الإنفاق الضّروري ، وأخيراً ، تنزل عن كبريائه ، وتقدَّم إلى حقل العمل ، فلم يجد نفسه يحسن شيئاً الا صبغ الأحذية ، فترخص من صاحب الفندق في مباشرة هذا العمل أمام باب الفندق ، فرثى لحاله ، وقد لمس منه الكرامة والشّرف ، ورخصه ، فباع قلمه الثّمين والسّاعة ، واشترى أحسن آلة لمسح الأحذية ، وصبر ، فجمع مالا كثيراً ، وتفكر يوماً في حاله ، ورجع إلى والده ومعه أكثر مما زوده به ، فسأله عن حاله وعن أعماله ، فقصَّ عليه القصَّة ، وقال لأبيه : إنني لما صبرت ظفرت .

فقال الوالد الحكيم : يا بني . . هذا ما أردت . . هذه مفاتيح الكنوز وأوراق الأملاك الآن أصبحت أهلاً لها .

وهذه القصة حدّثني بها الحاج محمود مصطفى الشوكيني في بيروت سنة ١٣٦٩ هـ ، وهو من التجار الاخيار ، وكان ولده وفيق مطروداً من بيته ، فتوسطت له في أن يرضى عنه ، فذكر لي هذه القصَّة بهذه المناسبة[١] .

الخمر والفجور والقمار

كان لبعض الأعيان ولد وحيد ، وكان ذا ثروة طائلة ، فلما أشرف على الموت أوصى ولده بثلاث وصايا ، بقي الولد وسائر الناس متحيرين في فحواها ، ولا يعرفون الغاية منها .

---

١ ـ وللمرحوم الحاج محمود أولاد لامعون ، منهم ابو قاسم محمد حمود احد التجار الكبار اليوم ومنهم يوسف وحسن وعلي وهم يعملون في التجارة ، وتجارتهم شراء الخيش وإصلاح العتيق منه وبيعه ، وهو عمل واسع النطاق . والحاج محمود هو أخ العلامة الشيخ بشير حمود العاملي ، الذي عاش معنا في النجف نحو تسع سنوات ولمع في الفضل والأدب والتقوى ، وعاد إلى بلاده عاملة وتوفي بعد نحو سنة ونصف ودفن في بلدته شوكين قرب مدينة النبطية ، وللشيخ بشير عدة بنين منهم الشيخ محمود بشير حمود ، والحاج مرتضى حمود ، وهو من كبار التجار ، ومن خيرة المشهورين بالبر وعمل الخير .

قال له : يا بني . . أنت ولد شاب ، ربما تتوق نفسك الى لعب القمار ، وإنني اوصيك أن تلعب مع أبرع المقامرين ، وأقدمهم في المهنة ، وربما تتوق نفسك الى شرب الخمر ، فإذا تاقت نفسك اليها فاشربها في الحوانيت العامة بعد منتصف الليل ، وإياك أن تشربها في منزلك أو منزل صديقك ، بل في الحانات نفسها ، وربما تتوق نفسك إلى ذوات الأعلام من النّساء الشّهيرات بالجمال ، فاذهب إلى التي تريدها ـ إلى منزلها ـ عند الفجر ،وإياك أن تستدعيهاإلى منزلك ، أو أن تأتيها في أول اللّيل . .

يا بني . . إحفظ هذه الوصايا الثلاثة ، فإنك إذا حفظتها ، دامت ثروتك ، وبورك لك في مالك ومجدك وبدنك ، فظلّ ولده وكل من سمعه متحيراً فيها ، ولا يعرف ما يريد ، ولكنّه أصر على تنفيذ وصية والده لثقته به ، وبره فيه .

مات الوالد ، وبقي الولد ، فالتف حوله البطّالون والمضحكون وأمثاله من الفتيان المياسير ، فاتفق أنّ صدره ضاق يوماً من الأيام ، فجعل يطلب شيئاً للتسرية عنه ، فبالغ له أصدقاؤه في أرباح المقامرين ، وفي السلوى والرّاحة في أثناء اللّعب ، وزينوا له ذلك بحكاية القصص المضحكة فمالت نفسه للقمار ، طمعاً في تعويض ما أنفقه من الأموال أيام بطالته ، ورغبة في الراحة ، ومجاراة للإخوان ،فذهب إلى المحل المعهود ،وطلب أشهر المقامرين وأقدمهم في المهنة ، وامتنع المقامرون عن اللعب معه خوفاً منه ، ودعوا له شيخاً رث الثياب ، سيّء الحال ، كان في الطابق السّفلي من المحل ، فجلس معه ، وتحدّث إليه ، وقال له الشيخ :

لِمَ لا تلعب مع هذه الفتية ؟

فقال له : أنا ابن فلان والمرحوم والدي أوصاني أن لا ألعب الا مع أشهر مقامر .

فتناول الشيخ آلات القمار ، وجعل يرميها بغير اكتراث ، فيصيب ما يريد ، ويحصل على غايته المقصودة ، ثم التفت للشاب وقال : كيف رأيت ؟

قال : رأيت مقامراً لا يغلب .

فقال الشيخ : اتعلم يا بني كيف أعيش ؟ ومن أين أقتات ؟

قال : لا .

قال : إنَّ المقامرين لا يرضون باللّعب معي لأنني أغلبهم على كلٍّ حال ، وأنا اشتغلت بهذا الفن منذ الحداثة ، ولست احسن اليوم عملاً من الأعمال ، فانسدت أبواب الحياة في وجهي ، وعجزت عن الكسب ، وأصبحت من أفقر الناس ، وإذا ربح أحد هؤلاء تصدَّق عليَّ بشيء يسير ، أو يستخدمني في حاجة ، فيبرني بالقليل ، وأبوك يا بني كان حكيماً ، وأراد أن يعظك ، ويريك نتائج طلب الثراء من هذا الباب المحرم ، فعافت نفسه القمار ، وحلف أن لا يلعب مع أحد حتى ولو للتسلية ، وبدون عوض .

ثم بعد مدة من الزمن ، وغفلة من الدّهر ، سمع أقرانه وإخوانه يتحدثون عن الخمر وما فيها من محاسن ، فتاقت نفسه إليها ، ليسلي نفسه بها عن هموم الدنيا حسبما زعم اولئك الفتيان فهمّ بها وتذكر وصية المرحوم والده ، فأخر ذلك إلى الليل وذهب إلى الحانة بعد منتصف الليل ، فرأى أقواماً صرعى ، بين من راث في ثيابه وتقيّأ على نفسه ، وأُغمي عليه من شدّة السّكر ووقع في مستنقع في الطّريق ظنه بحراً فسبح فيه ، وبين من يتحرك حركات المجانين ، ويهذي بما يفهم وما لا يفهم ويهاجم المارة ، فصاح بلا شعور بالشرطة والإسعاف ، وظنّ أنَّ هناك وباءاً دخل البلد ، أو معارك قد نشبت ، ولم يكن رأى مثل ذلك من قبل ، فلما حضر الشُرطة طلب منهم الإسراع بإحضار سيارات الإسعاف وموظفي الصحة فأخبروه بالأمر وعلموا أنه لم يختبر الحياة، وعندها فهم الغاية من وصية والده ، وأقلع عما كان قد همّ به ، وحلف على ترك صحبة اولئك الّذين كانوا السّبب في غوايته .

ثم بعد مدة أنسته ما كان ، وكانت قد كبرت زوجته ، ولم يستطع من اضافة غيرها إليها ، محافظة على توازن داخليته ، فجعل يفكر في ما يشبع فيه غريزته ، لانَّ المرأة تفقد القوى الجنسية قريب الأربعين ، وهذه القوى تستفحل في الرَّجل في ذلك السن ، فبقي يفكر ليلاً ونهاراً ، ويكثر التحدّث بهذا الأمر ، وأخيراً ، بعد أخذ ورد ، عزم على الإتصال بذوات الجمال ، اللّواتي يبعن شرفهنَّ بالمال ، فجعل يسأل سرّاً وبأسلوب لا يعرف منه السامع غايته جهراً ، فعلم أنَّ فلانة الشهيرة في جمالها وهندامها وحركاتها هي الوحيدة في ذلك الوقت ، فأرسل لها سراً مع أمينه ، وعينّ لها ليلة خاصة ، وبذل لها ما أرادت ، وتمّ كلُّ شيء .

فلما كانت تلك اللَّيلة ، تذكر وصية والده ، فأخر ذهابه إليها إلى قبيل الفجر ، ولم تعلم هي بذلك ، فبقيت في انتظاره حتَّى يئست منه وأنهكها النعاس ، فلما نامت واستولى عليها الكرى ، جاءها عند الفجر ، فدخل عليها فاستمهلته لتصلح من شأنها ، ولم يقبل مخافة أن يباغته الصَّباح ، فسلَّمت اليه نفسها ، فرآها أمرأة شعثاء صفراء ذات نفس كريه الرائحة ، لا يبدو عليها شيء من الهيجان الجنسي فاشمأز منها ونفرت نفسه ورأى أنَّ ما عنده خير منها ، وتمثَّل له حينئذ أنَّ هذه المرأة قاذورة تستر نفسها بالورد وأنَّها مورد لكلٍّ من عنده مال بدون خصوصية وأنها إنَّما تتودد لا عن حبٍّ ورغبة بل طمعاً في المال فأقلع عما عزم ، وتندَّم على ما همّ ، وأيقن بحكمة أبيه وحمد الله وأثنى عليه ، وتوجه لأعماله وعاش في سعادة وهناء .

قيمة الصَّبر

حدَّث بعض الصالحين فقال : حج قوم في سنة من السِّنين الخالية ، فمرض أحدهم مرضاً منعه من الرجوع مع رفقائه وأرحامه ، فخلَّفوه في المدينة المنوَّرة ، وتركوا له أموالاً ، وأوصوا بعض الثِّقات فيه ، وقالوا : إن برىء يرسل مع الرفقة في العام المقبل ، وإن هلك يبقى المال عندكم أمانة .

فجعل هذا الرَّجل يعاود قبر النَّبيّ (ص) والأئمة (ع) ، فرأى النَّبيَّ مرَّة في الطَّيف ، فشكا إليه حاله ، فقال : إجلس سحراً في المسجد ، وانظر أول داخل ، فإنَّه اذا علم بحالك ، أرجعك إلى وطنك ففعل ، فرأى شخصاً خلق الثياب ، لم يظن فيه ذلك ، فجعل يفكر ، ثم تكاثر الناس ، فضاع فيما بينهم .

وهكذا تكررت الرؤ يا وتكرر هذا إلى الليلة الثالثة ، فلما دخل الرَّجل قام إليه ، وتعلَّق بثوبه ، وشكى إليه حاله فقال : قم معي ، ولا تخبر أحداً ، فسار به قليلاً ، وإذا هو بالقرب من بلده ، فدخلها ، وفرح الناس به ، وأخبرهم بقصَّته ، فجعلوا يتبركون به وبثيابه . . واتفق أنه كان يسير في مكان ، فرأى الشَّرطة تقود صاحبه بتهمة السَّرقة ، وهم يضربونه ويهينونه ، وهو ساكت ، فلما عرفنه ، أقبل إليهم وسعى في تبرئته وتخلية سبيله ، ثم سارا معاً ، فقال الرجل للحاج : إذهب معي نتناول الطَّعام في دارنا ، فذهب معه ، فاستقبلته زوجته بوجه عبوس ، وانهالت عليه بما لا يطيقه غيور ، وهو صابر ، فقال له الحاج :

ما هذا يا أخي ؟

فقال : هذه زوجتي ، فلامه لصبره عليها ، فقال له : إعلم : أنَّني لم أحصل على الصَّلاة في مسجد النَّبي (ص) كلّ يوم الا بصبري على هذه المرأة . .

حدثنا بهذا الحديث الحاج عزيز العاجل ، مستشهداً به على صبره على أذية جماعة من رفقائه ، وهو من أهل (سويج شجر) ، المسماة فعلاً بناحية الفجر ، وقال : وأنا إذا صبرت على فلان وفلان ، يمكن أن أُصلّي كلّ يوم في بيت المقدس . . .

والحاج عزيز هو من قبيلة تسمى بـ (الهدابيين) ، وأظن أنَّهم ينتسبون إلى الشاعر الهدبي الذي قُتل قصاصاً في عهد معاوية ، وفداه الإمام الحسن بن عليّ (عليه السَّلام) بعدة ديات ، وفداه قبله معاوية ولم يقبل ابن **المقتول**[1] . . .

حرر صبح السَّبت ٢٣ ذو القعدة ١٣٨١هـ

حدثني السَّيد إدريس الياسري في القلعة في رجب ١٣٨٢ هـ قال : كنت أذهب إلى مقهى في بغداد قريب الفجر ، لأتناول القهوة المُرة ، فأجد رجلاً مسنّاً عليه سيماء الوقار ، يحضر للغاية نفسها ، فبقيت على ذلك ثلاثة أيام ، لا يكون في المقهى في ذلك الوقت غيري وغيره ، وكان ذلك أيام حكم عبد الكريم قاسم ، وكان كلّ منا لا يتكلّم مع الآخر خوف الرّقابة ، وأخيراً دنوت منه ، وقلت له :

يا عم ما الإسم الكريم ؟

فأجابني ، ثم سألني عن أسمي وموطني فقلت له : الوطن الغرّاف ، والإسم إدريس الياسري ، من آل ياسر الله يكرم ، وهذه كلمة تواضع ، فقال له :

ما يكون منك السيد علوان ـ وهو عضو في مجلس الأعيان في عهد الملوكية .

فقلت : عمي ، ثم سألني عن أبناء عمي ، فلما تعارفنا، وتبيّن أنه من رجال الحكم المتقاعدين سألته عن الوضع ، فقلت له :

يا عم : متى تنجلي هذه الظلمة ؟

---

١ ـ تقدم ذكر الحاج عزيز والسيد محسن ص ١٦ من هذا الكتاب .

فقال يا ابن أخي : قيل إنّ امرأة طلبت من زوجها أن يفحصها الطَّبيب ، وأصرَّت ، فقال لها زوجها : ليس فيك مرض ولماذا نخسر ؟

فقالت له : فلانة راحت للطَّبيب وفلانة وفلانة ، بس آنا .

وأخيراً اضطر إلى صحبتها للطَّبيب فلما فحصها لم يجد فيها مرضاً ، فأصرت على طلب الدواء ، فأعطاها روشتة ، فتبين أنَّ الدّواء يوجب العطاس والضراط ، فلما ذاقته أُصيبت بهما فكلما تكلمت بكلمة عطست وضرطت ، فذاقه زوجها فأصبح مثلها ، فرفعا الأمر للشرطة فذاقوه فصاروا مثلهما ، فرفع الأمر للمحكمة العليا فذاقه الحاكم فأصبح مثلهم وهكذا . . حتى انتهى الأمر إلى أعلى رجل في الدَّولة ، واجتمع الجميع . وصاروا إذا تكلم أحدهم مع الآخر عطس وضرط ، وهكذا نحن يا ابن اخي ، صار انقلاب عند جيراننا في مصر وسوريا ، وهم في حاجة لذلك ، ونحن صرنا مثل تلك المرأة ـ وكان يحكي القصّة ويمثل المشهد .

سبحان الَّذي يهلك ملوكاً ويستخلف آخرين

قال بعض السّادة من العذارات ـ عندما بلغ قائد إحدى الفرق السيد حميد الحصونة الذروة ، وأصبح تحت إمرته سبعة ألوية ، واشتهر أمره ، وصار موضع حديث الناس ـ قال : إنَّ والي بغداد عينَّ والياً على البصرة ، فعظم نفوذه واستعصى على والي بغداد ، فنصحه فلم يسمع منه ، فعينَّ والياً غيره وسلَّمه الختم وقال له : لي عليك شرط واحد . وهو أن تعلق الختم في عنق حمار وتجعل له سائساً ، وأمره أن يوقع البلاغات الرسمية والختم في عنق الحمار .

فذهب وطرد الوالي السابق وبقيت الأوامر كما كانت . ولما عزل الوالي السابق عن الحكم ساءت حاله فقالت له زوجته : لو ذهبت إلى الوالي وسألته عن ذنبك ؟

فقال : أستحي . وأخيراً ذهب إليه مسترحماً ، فقال له والي بغداد : إنك عصيت أوامرنا وترفعت علينا ، وإنَّ ختما لو وضعناه في عنق حمار لكان له ما كان لك .

ثم قال السيِّد العذاري : بعد مدة يأخذون الختم من السيد حميد ويضعونه في

عنق غيره . فاتهمته بأنه يحسده .

ومن الصِّدَفِ أنه بعد شهور من هذا الحديث نحي السيِّد حميد من القيادة الى المتصرفية ، بينما كان تحت حكمه نصف العراق ، فكانت سبع ألوية تتحرك بأمره وإرادته . . فسبحان الله الذي يهلك ملوكاً ويستخلف آخرين[1] .

البهلول والشيخ الهرم

مرّ شاب حكيم بشيخ قد أجهد نفسه في غسل الجلود في أيام البرد ، ويقال : إنَّ الَّذي مرّ بهذا الشيخ هو البهلول ، فقال الشيخ : يا شيخ ، التسعة ما شالت الثلاث ؟ يعني لِمَ لَمْ تستغني بعمل الأشهر التسعة عن الثلاثة ؟

فقال الشيخ : الإثنان والثلاثون أكثر .

فقال : يا شيخ : هل زرعت ؟

قال الشيخ : بلى ، زرعنا ، وكان زرعنا نصيب غيرنا .

فقال له : يا شيخ ، لا تبع رخيصاً .

فقال الشيخ : عمك موصى أي عمك فاهم غير محتاج إلى وصية .

وكان مع البهلول رجل يسمع ولكنه لم يفهم شيئاً من مقالهما ، فاستفهم من البهلول ، فأحاله على غاسل الجلود ، فرجع إلى غاسل الجلود ، وسأله عن تفسير ما سمع منهما ، فأبى فما زال يطمعه في المال حتى دفع له ثلاثمائة دينار إذا فسر له ما جرى بينهما .

فقال له : لما رآني أغسل الجلود في أيام البرد ، قال لي :

لماذا تغسل في أشهر البرد ؟

ولماذا لم تكتف بما تحصله من غسل الجلود في الأشهر التسعة : الصيف والخريف والربيع ، عن غسلها في أشهر الشتاء ؟

فقلت : حاجة أسناني ؛ وهي اثنان وثلاثون ، أكثر من ناتج التِّسعة ، أي

١ ـ جرى هذا الحديث ونحن جلوس في منزل آية الله الحكيم في غرفة خاصة ، وكان الناس يتحدثون عن أعمال السيد الحصونة وأفعاله .

الصّادر في مجموع السنة اكثر من الوارد في الأشهر التسعة المذكورة .

فقال لي : لم لا تتزوج ، وتخلف أولاداً ، ويكون البنون ثروة لك ؟

فقلت له : تزوجت ، وولد لي بنات ، وكنّ من نصيب الغير ، ولما علم أنك لم تفهم كلامنا علم أنك سترجع وتسألني عن تفسيره ، فأوصاني أن لا أُفسره لك الا بثمن انتفع به فقال لي : لا تبع رخيصاً ، فقلت له : أنا لا أحتاج إلى وصية .

الشيخ البهائي (ره) والحمامي

يقال أنَّ الشيخ البهائي (ره) دخل بلداً ، فلم يكرم فيه ، لأنَّهم لم يعرفوه ، وكان الشيخ البهائي صغير الجسم ، فذهب للحمام ، فرأى فيه خادماً حسن الجسم ، عظيم اللّحية والبدن ، فسأله :

كم تنتفع في اليوم ؟

فقال : كذا درهم .

فقال : أنا أُعطيك هذا المبلغ وزيادة مع أكل طيّب وراحة تامة ، بشرط أن توافقني على ما أُريد .

فقال له : طوع أمرك . . .

فذهب ، وأحضر له بزة جيدة تناسب أهل العلم والفضل ، فألبسه إياها ، وقال له :

الآن ينادي المنادي جاء الشيخ البهائي فتتقدّم أنت ، وأكون معك ، كأنّني ولدك ، فكلما قال لك قائل شيئاً ، لا تجب عليه ، بل التفت إليَّ ، وقل :

قل يا ولدي . . . .

ففرح الحمامي بذلك ، ثم خرج الشيخ البهائي الى خارج البلد واستأجر منادياً ينادي بمجيئه ، فهرع السواد والخواص لاستقباله ، فلما رأوا الحمامي ، وعظمة شكله ، لم يشكوا أنّه هو الشيخ البهائي فجعلوا يسلّمون عليه ، وهو ساكت لا يتكلّم ، فيظن الناس به الظنون من خير أو شر ، أقلها أنَّ مقامه لا

يساعده على التنزّل للرّد عليهم .

فلما وصل واستقر به المقام ، زاره العلماء والأعيان ، وجعلوا يوجهون إليه الأسئلة ، وكلما سأل سائل ، التفت إلى الشيخ البهائي وقال له : قل يا ولدي ، فيتكلّم الشيخ بأبرع كلام ، وأحسن بيان من تحقيق وتدقيق وبراعة وبلاغة ، فيعجب به الناس ، ويقولون : إذا كان ولده كذلك ، فكيف يكون هو .

واتفق ان الشيخ البهائي ذهب للإستراحة ، وبقي الحمامي في الغرفة وحده ، فاقترح العلماء على أعظمهم أن يكلّمه بأدب واحترام ، فدخل عليه وسلم ، وأومى بيده إلى السماء ، فأومى الحمامي بيده مغضباً إلى الأرض .

فأخرج له العالم بيضة ، ودفعها إليه ، فأخرج له الحمامي الرَّغيف والبصلة ، فخرج العالم معجباً بفطنته واقتداره .

قالوا له : ماذا سألته ؟

قال : قلت له : من خلق السَّماء ؟ فغضب وأشار إلى الأرض ، فعلمت أنَّه يريد أن يقول : الذي خلق الأرض .

فقلت له بإخراجي البيضة : هل الأرض كروية كالبيضة ؟ فقال لي بإخراج الرَّغيف : إنَّها مسطَّحة ، وبإخراجه البصلة إنَّها طبقات .

فأعظموا فلسفته ، وآرائه وذكائه ، فانتبه الشيخ البهائي ، ودخل على الحمامي ، وقال له : ماذا جرى آنفاً ؟

قال : جاءني شيخ خرف يهدِّدني ، ويقول لي : أنا أُعلِّقك في المشنقة، مشيراً بيده إلى السَّقف .

فقلت له : أحفر لك قبراً وأدفنك في الأرض قبل أن تفعل ، فخاف منيٍّ ، ورشاني ببيضة ، ظناً منه أنني جائع .

فقلت له : أنا لست في حاجة ، عندي رغيف وبصلة ولا حاجة لي في البيضة .

قصة اخرى

أخذ طفل صغير عصفوراً بيده ، فجعل يعبث به ، ثم وضعه في كلتا يديه ،

وأطبق راحتيه عليه ، وأخرج منقاره من عند ابهامه لئلا يموت ، وأبقى عنقه بين السبابة والإبهام ، قائلا في نفسه الآن ألتقي برجل عاقل ، يسألني : ماذا في يدك ؟ فأقول : عصفور ، فيقال لي : أحيٌّ أم ميت ؟ فأقول : إعرفه ، فإن قال حيٌّ خنقته وأريته إياه ميتاً ، وان قال ميت ، فتحت يدي ،وأريته إياه حياً ، فأكون قد غلبته وعبثت به .

فسار في الطَّريق ، فلم يسأله أحد ، فرأى شيخا متّزناً يسير بهدوء ، فقال : يا عم . . ماذا في يدي ؟ فنظر الى منقار العصفور بارزاً ، فقال : عصفور يا بنيّ ، فقال الغلام : احي هو أم ميت ؟ فأحسَّ الشيخ بنية الغلام ، فقال يا بني . . إنَّ أمره بيدك ، فإن أردته حيّاً كان حيّاً ، وإن أردته ميتاً كان ميتاً . .

ألا وإنَّ أرواح الجماعات بيد المصلحين المتزعمين ، وإنَّ الدول الناشئة بأيدي المستعمرين والمستشرقين ، فإن أرادوها حيَّة كانت كذلك ، وإن أرادوا هلاكها كانت كذلك .

قيل : إنَّ امرأة اغتاظت من زوجها ، وعادت إلى بيت والدها ، فثار لها إخوتها ، فقال لهم والدها : أنا أُحضره الآن وأقتص منه ، فلما اجتمعوا ، أمرها والدها بنزع ثوبها ، والدخول عارية على المكان الذي فيه إخوتها وزوجها ، وجرّد سيفه وهددها بالقتل إن لم تفعل ، فاضطرّت لذلك ، فألقت ثوبها ودخلت مسرعة وألقت بنفسها على زوجها ، فسترها بردائه ، وأعرض إخوتها عنها بوجوههم ، فقال الوالد : أنتم لم تستروها من الفضيحة ، وهذا سترها ، فهو أحق بها ، وهي أحق به ، خذ زوجتك وأكرمها وأمرها باطاعته بعد ما كانت تعلن له العداء والبغضاء وتقول : لا أعود إلى بيتك أبداً .

قيمة المال

كان لزعيم قبيلة عربية ولد ، فلما بلغ مبلغ الرِّجال ، وطلب الزَّواج من أبيه ، قال له : اذا أتيتني بخمس ليرات من تعبك وكسبك ، زوجتك ، وكان الزَّعيم ثرياً .

فذهب إلى اُمه ؛ فأخبرها ، فدفعت إليه مالاً جزيلاً ، وقالت له : غيِّب وجهك ، واستبق مقدار ما طلبه أبوك ، وقل له : إنَّني تغرَّبت واكتسبت .

ففعل ، ولما عاد ودفع المبلغ لأبيه ، أراد أن يعرف صدقه ، فطلب منه أن يركب وإياه إلى نزهة قريب البحر ، فلما وصل قال له :

هات الخمس ليرات ، فدفعها إليه فأخذها الوالد ورماها في البحر ، فلم يأبه الولد لذلك ، وعادوا ، ولم يتكلّم الوالد بشيء ، وبعد ذلك طالبه الولد بالزّواج ، فقال الوالد :

إنَّك لم تقم بالشرط ، فرجع الولد كئيباً ، وتعجب من أبيه كيف فهم الواقع ، ثم ذهب واكتسب خمس ليرات من تعبه وتحمّله للذّل والهوان ، وخطر في باله أنّ أباه قد يرميها في البحر ، ويقول له : إنَّه لم يكتسبها من تعبه ، فاشترى سكيناً ، وصمَّم على طعن أبيه بها إن فعل .

فلما عاد أخبر أباه بأنه أحضر المبلغ ، فقرَّر الذَّهاب معاً للنزهة ، واستعدّ الفتى لما صمّم عليه ، فلما وصل إلى ساحل البحر ، قال الوالد :

هات الخمس ليرات ، فمد إحدى يديه ليسلّمها له ، وأخرج سكينه بالأخرى ، قائلاً إن رميتها في البحر رأيت ما لا تحب ـ قالها بكلّ غضب وحماس .

فتبسم الوالد وقال : نعم يا بني إنها من كسبك . . إنَّك أنفقت قديماً المال الكثير في غير محلّه ، وكان مثلك مثل من يرميه في البحر ، ولم تتألم ، والآن إنَّما تتألم لا لأجل الزَّواج ، بل لأجل معرفتك بقيمة المال . . ثم زوجه .

يحكي أنَّ رجلاً ثرياً مات ، وخلَّف ولدين كاملين كانا يعيشان في أُنس ورفاه ، فحسدهما إنسان ودخل بينهما ، فصادقهما ، وأصبح من المقربين لهما ، فجعل كلما انفرد بأحدهما ، حرَّك ضغائنه على الآخر ، حتى امتلأ غيظاً ، واتفق مرَّة أنَّهما سافرا معاً إلى البصرة ، ولما قضيا اعمالهما ، اضطرا للمبيت فيها ، فذهبا في طريق واحد إلى فندق واحد ، فطلب كلّ منهما غرفة مستقلة ، فأجابهما صاحب الفندق : لا يوجد الا غرفة فيها سريران .

فاضطرا للنَّوم معاً ، وكانت الغرفة مظلمة ، فقام أحدهما وأقفل النافذة شاكياً برودة الطَّقس ، وقام الآخر وفتحها شاكياً حرارة الطَّقس ، وتكرر العمل ، وأخيراً انفجرا ، فقال أحدهما للآخر :

إنه ليس الأمر كما تقول ، ولكنَّك عرفتني أبرد ، فأردت ضرري .

وأجابه الآخر بالمثل ، واعتلى الصِّياح ، فأسرع إليهما صاحب الفندق ، قائلاً :

أزعجتم المسافرين وسألهما عن الخبر ، فقالا إنَّهما مريضان ، وإنَّ أحدهما يؤذيه الحر والآخر يؤذيه البرد وذكر كل منهما ان اخاه يريد ان يضرّه فقال : لهما :

أنتما مريضا القلب ، صحيحا البدن ، ثم أضاء الغرفة ، وإذا بالنافذة أطاراً مجرداً من الزجاج الذي يكون في الوسط على وجه يستوي طقس الغرفة في حالتي إقفالها وفتحها

عقوبة الخادم وكرامة الملك

قدم الخادم الطَّعام لسيده بمحضر جمع من ضيوفه الأشراف ، فوقعت نقطة مرق على ثوب السيد ، فغضب غضباً شديداً ، وأمر له بعقوبة شديدة ، فجاء الخادم ، وألقى الإناء كلّه على ثوب السيد فاشتد غضبه ، وأمر بقتله ، .

فقال بعض الحاضرين : لو سألته عن سبب فعله فسأله ، فأجاب لما وقع المرق بدون عمد خشيت إذا عاقبني أن يعيبه الناس ، لأن ذنبي ليس متعمداً ، فقررت الخطيئة ، لتقع عقوبتي في موقعها ، وأردت أن أتحمل العقوبة الشَّديدة لأحفظ كرامة مولاي فلما سمع الملك ذلك منه عفا عنه .

قيل : إنَّ أهالي بلدة شحور من قرى جبل عامل ، اشتكوا إلى الشيخ علي الزين والد صاحب العرفان عدم انضباط الرعاة وعبث الحيوانات في الكروم ، فقال لهم :

ما ترون ؟

قالوا : الرأي رأيك .

قال : أرى أن تذبح البقرة أو الشاة الَّتي تعبث في زروع الناس ، ويقسم لحمها على أهل البلد مجاناً

فسكتوا وتفرقوا ، وكان هو وجيه البلد ، فأمر بعض خدمه أن يترك ثوراً من

ثيرانه في كرم من الكروم ، فلما رآه الحارس أسرع وأعلم بالأمر ، فاجتمع الناس ، فأخذ الثور إلى ساحة البلد ، وأُمر بذبحه ، فاستعظم أهل البلد ذلك ، ولكنَّه أصر تمام الإصرار ، وذبحه ، ووزعه عليهم ، فدخلت الهيبة في قلوبهم ، وخافوا على ماشيتهم ، وتحصنت كروم البلد .

الذين لا يهمهم أمر الناس

حدثناالعلامة الشيخ محمدزغيب البعلبكي من بلدة يونين فقال : كان في بعض الاقطار شيخ قبيله له مضيف ورثه عن آبائه ، وكان متكبراً جريئاً على أفراد عشيرته ، وكان أحياناً يغضب الشخص منه ، فيمتنع عن دخول المضيف ، فيسأل عنه ، فيقولون : هو مغتاظ ، فيقول : ضعوا مكانه بعرة ، يقول ذلك استخفافاً به واحتقاراً له ، فيضعون في مكانه بعرة ، ويعرف هذا بمكان فلان المغتاظ ، واستمر على هذا الحال ؛ وبعد مدة طويلة ، تفرق عنه الناس ، ولم يبق في مضيفه أحد ، وبقي هو وحده ، فكان إذا جلس ، يكون محاطاً بالبعر من جميع جوانب الديوان .

مثل يضرب للحمقاء ، الذين لا يهمهم أمر الناس .

يروى أنَّ امرأة جاءت إلى شريح القاضي ، فقالت له : لي ما للرِّجال وما للمرأة ، وقد تزوجت ابن عمّي ، وكان عندي جارية ، فأولدتها .

فقال لها : من أيهما تبولين ؟

فقالت : منهما .

فقال : أيهما أسبق ؟

قالت : يبتدئان معاً ، وينتهيان معاً . .

فأحضرها إلى أمير المؤمنين علي (ع) ، فأمر ديناراً الخادم ، وكان ثقة وامرأتين أن يعدوا أضلاعها ، فوجدوا في الأيمن ثمانية عشر ضلعاً ، وفي الأيسر سبعة عشرة ضلعاً ، فأمر بها ، فألبست لباس الرِّجال ، ولحقت بهم .

فقال الرَّجل : امرأتي .

فقال (ع) : إنَّها رجل ، لأنَّ أضلاع الرِّجال أقل من أضلاع النِّساء .
فقال : من أين لك هذا ؟

فقال (ع) : ورثته من أبي آدم (ع) ، لأنَّ حواء خلقت من آدم (ع) . فعدد أضلاع الرِّجال أقل من عدد أضلاع النِّساء .

ولعلَّه لذلك قيل : المرأة من ضلع الرجل .

وقال رسول الله (ص) : المرأة ضلع إن قومته انكسر ، وان تركته استمتعت به .

ويقال : إنَّ علم التشريح ينكر زيادة عدد أضلاع المرأة أشد الإنكار ، على ما قيل ، والله العالم .

ثمل النَّعمان يوماً ، فقتل غلامين له ، فلما أفاق طلب من وزيره إحياءهما ، فعجز فصنع لهما قبرين باعد بينهما بذراع ، وأمر أن يسجد لهما كلّ من يدخل عليه كفارة لصنعه بهما ، واتفق أنَّ قصاراً يحمل عصا القصارة رآه الحارس ، فقاده ليسجد لهما ، فامتنع ، فقاده للنّعمان ، فأنكر وقال :

سجدت لهما ولكنَّ الحارس كذب عليَّ ، فلم يسمع النَّعمان كلامه ، وأمر بصلبه وقال :

لك ثلاث طلبات تنفذ قبل الصّلب ، فاطلب فإنِّي لا أردك فيها .

فقال القصار : طلبتي أن تطأطيء رأسك حتى أضربك بعصاتي هذه ، فلاطفه النَّعمان وبذل له أموراً كثيرة . فلم يقبل ، فأمر بحبسه ثم أخرجه وحثه على أن يطلب ما فيه نفع له ، فطلب الطلب الأول ، قائلا :

أرغب أن أضربك على الجانب الأيمن .

وأنف النَّعمان من الخلف بما قطعه على نفسه ، فأعاده للحبس ، ثم أخرجه ، فلما أُحضر في الثالثة ، وكان قد جزع النَّعمان مما كان ، وكان الوزير أشار عليه بقتله ، وأن لا يعطيه أيّ طلب ، فأصرَّ النَّعمان على الوفاء بما قطعه على نفسه ، فقال له :

إقترح فُطلب منه أن يسمح له بضربة على جانب رأسه الأيسر ، فقال النعمان :

سمعتك لما دخلت عليَّ تكلَّمت بكلمة لم أفهمها فأعدها عليَّ ، فقال :

قلت لك إنًّني سجدت وإنَّ الحارس كذب عليَّ .

فقال له النًّعمان : إنَّك صادق في دعواك ، ثم هدم القبرين ، وعفا عنه .

لمحة من حياة فورد، صاحب معمل فورد للسيارات :

قيل لفورد يوماً : لِمَ لم تتخذ سيارة خصوصيّة لنفسك ، مع أنَّك أثرى رجل في العالم ، ومع أنَّ ابنك يتخذ سيارة خصوصية ؟ فأجاب : إنَّ ابني ابن فورد ، وأنا ابن من ؟

وقيل : إنَّه في ليلة عرسه استأذن من عروسه بالذَّهاب إلى مكتبه ، فأخذ دفاتره ، وجعل يشتغل بها إلى أن انتصف اللَّيل ، فمرَّ به أحد اصدقائه ، فقال : أراك هنا ، فأين العروس ؟ فقال له فورد : أشكرك . . ذكرتني بأنَّني متزوِّج .

وقد حدّثني السيّد وهبة شكر ، وهو من سادة بيت شكر المقيمين في الخيام وكان من الظرفاء ، أنّه أرسل إلى فورد عدة رسائل يطلب منه المساعدة المادية ، ويشكو فقره ويقول في بعضها : هل من العدل أن تعيش أنت في هذا الثراء ، وأعيش أنا في فقر مدقع ، فأجابه عن أول رسالة ينصحه فيها بالعمل ، ولما أكثر الرَّسائل ، كتب إليه : إنته ، وإلا قدَّمتك للمحاكمة ، لأنَّك تضيِّع وقتي بقراءة رسائلك سدى . حدثنا بهذه القصة في صيدا في دار الشيخ عارف الزين صاحب العرفان / ١٣٥١ هـ .

عبد الحميد وبلاد عكا

قيل : إنَّ السّلطان عبد الحميد العثماني ، كان إذا ذكر صفد العلي في بلاد عكا ، يقول : عمرها الله ، فيقال له :

لماذا ؟

فيقول : إذا خربت انتشر أهلها وأفسدوا .

حكمة في قصة

رأي مستشرق في سوريا ولبنان

قيل : إنَّ مستشرقاً زار سوريا ولبنان ، فسئل عنهما : فقال : بيروت كراج منظّم ، ودمشق مطعم منظّم .

•

رأي تشرشل في سوريا

قيل : إنَّ سوريا ذكرت أمام تشرشل ، فجعل يستفهم عنها ، وكلّما ذكروا له عنها شيئاً ، يستفهم ، وأخيراً ، قال : الآن عرفتها .. تعنون البلد الذي لا يرضى أن يحكمه غيره ، ولا يستطيع أن يحكم نفسه .

قبل سنوات خلت ، اشتكى رجل من أهل القرى من سرقة الدجاج ، وكان الرجل صالحاً ، فحضرت الشّرطة ، وسألوه أن يتهم أحداً ، فتورّع عن تهمة أحد من الناس ، وكان في الحاضرين رجل من أهل القرية ، فقال : هذه حرفة الشّباب المراهقين ، وعلينا أن نجمعهم ونستنطقهم ، ففعلوا ، فلم يأخذوا منهم حقاً ولا باطلاً ، حتى أمسى المساء ، فعمد الرجل إلى حمار ، وأدخله في غرفة مظلمة ، ووضع على ظهره حبراً أسوداً ، مخلوطاً بالسمن ثم التفت الى رئيس الشرطة ، وقال :

سيدي عندي حمار مبارك؛ وأشاد في فضله وأطال ثم قال: هذا الحمار، من شأنه أن يوضع في مكان مظلم، ويدخل المتهم عليه، ويمسح يده على ظهره؛ ثم يمرّها على وجهه، فإن كان سارقاً نهق الحمار.

فأظهر الإرتياح لذلك ، وجعلوا يدخلون الشباب واحداً بعد واحد ، فإذا خرج من حيث لا يراه الآخرون ، نظر الحاكم الى وجهه فرآه أسود ، فيعلم أنّه مسح على ظهر الحمار ، ومسح بعد ذلك وجهه ، ثم دخل السّارق ، وهو يعتقد بأنَّ الحمار ينهق إذا مسح على ظهره فدخل ، ووقف هنيهة ولم يمسح خشية انْ ينهق الحمار ثم خرج مدعياً أنه فعل ذلك ، فلما رأوا وجهه ويديه غير ملوثتين علموا أنه لم يمسح تهرباً ، فكان ذلك شهادة منه على نفسه ، وبالتالي اعترف بما اقترف .

ويحكى أنَّ نبيَّ الله سليمان(ع) كان يخطب، وأسر إليه بعض الحاضرين أنَّ

جاره يسرق الدّجاج من بيته ، فجعل يعظ ، حتى قال : أما يستحي أحدكم أن يسرق دجاج جاره ، ويدخل المسجد ، والرِّيش على رأسه . . وجعل ينظر للجميع ، فمد الرجل يده ليزيل الريش عن رأسه ، فعرفه سليمان (ع) ، ثم غرمه ثمن الدجاج .

وقيل : إنَّ شخصاً اتهم جمعاً بسرقة أوزة ، فجمعهم الحاكم ، وأجلسهم ، ثم اغفلهم ، وقال للمدعي : لما ظلمت الجماعة ؟ أما تنظر إلى ريش الأوز على رأس السارق ، فمد السارق يده ليمسحه ، فدلَّهم بذلك على نفسه .

دخلَ حسود ـبخيل على الملك، فقال الملك : اقترحا عليَّ ، وإنِّي سوف أُعطي الثاني ضعف الأول : فصار كل منهما يطلب من صاحبه أن يتقدَّم بالإقتراح ليفوز بالضّعفين ، ولكنَّهما كانا معاً حذرين ، وأخيراً .

قال الملك: إن لم تفعلا ما أمرتكما به ، قطعت رأسيكما. فقال الحسود يا مولاي اقترح أن تقلع إحدى عينيَّ ، وأراد بهذا أن ينكل بصاحبه ، فضحك الملك وعجب من مكرهما ، وأثابهما .

عندما تحارب نابليون مع النمسا ، أعطاه ضابط نمساوي معلومات تغلّب بها على خصومه ، وبعد ذلك التقى الضابط به ، وهو ممتط صهوة جواده ، فرمى له نابليون بصّرة من ذهب على الأرض فقال الضّابط النّمساوي : لا أُريد المال ، ولكن أُريد أن أحظى بشرف تقبيل يدك ؛ فأجابه نابليون : هذا المال لأمثالك ، أما يدي ، فلا تصافح رجلاً يخون وطنه .

لما قتل الأمين دخل المأمون على زبيدة معزياً لها به بقوله : لا تجزعي يا أُماه ، فإنّي إبنك بعد ابنك ، فأجابته : كيف لا أجزع على ابن أكسبني إبناً مثلك يا امير المؤمنين .

خطب بنت توموس رجلان ، أحدهما غني ، والآخر فقير ، فزوجها من الفقير ، فسأله الإسكندر عن السَّبب في ذلك ، فقال له : أيها الملك ، إنَّ الغني أحمق ، وليس له تربية تستوجب حفظ غناءه والفقير عاقل ، وله تربية حسنة ، يرجى له الغنى .

قال احمد بن إسرافيل الكاتب : دخلت على عبد الله بن يحي بن خاقان ، فلما

صرت وسط الدّار ، رأيته مضطجعاً على مصلّاه ، فهممت بالرّجوع فلما سمع حسيّ جلس ، فقلت له :

حسبتك نائماً ، فقال : لا ، ولكنّني كنت مفكراً في أمر الدّنيا وصلاحها في هذا الوقت ، واستوائها ، وورود الأموال ، وأمن السّبل ، وفي الخلافة ، فعلمت أنّها أمكر وأنكر وأغدر من ان يدوم صفاؤها لأحد ، فدعوت له وانصرفت ، فما مضت اربعون ليلة حتى قتل المتوكل ، ونزل به من النفي ما نزل .

مات قاض معروف بحكمته وعدله ، وقد أحبه الناس لذلك ، فلما دفن وضع محبوه والمعجبون به باقات كثيرة من الزهر حول نعشه ، فجاء شيخ زنجي ليحيي القاضي تحيَّة الوداع الأخير ، فلقيه ابن القاضي وقال له : انظر يا عم إلى هذه الأكاليل الّتي بعث بها الأصدقاء . فقال الزّنجي : لقد قضى أبوك أيام حياته وهو يبذر البذور الّتي أنبتت هذه الأزهار .

سأل يوماً أحد النقاد برناردشو قائلاً : كلّ شيء فيك حسن يا مستر ، لولا أمر واحد ، فسأله ما هو ؟

فأجابه : هو أنك تجري وراء المال .

فقال : وأنت ، وراء أي شيءٍ تجري ؟ فأجابه الناقد : وراء الشّرف . فهزّ رأسه برنارد شو ، وقال له : ليس ذلك عجيباً ، فكلّ شخص يجري وراء الشّيء الّذي ينقصه .

قيل لنابليون : كيف استطعت أن تخلق الثقة في جنودك ؟

فقال : كنت أرد ثلاثاً بثلاث ، فمن قال منهم : لا أقدر ، قلت له : جرِّب . ومن قال : لا أعرف ، قلت له : تعلَّم . ومن قال : مستحيل ، قلت له جرّب

قال زياد بن أبيه : ما غلبني معاوية الا في واحدة ، طلبت رجلاً فلجأ إليه ، واستجار به : فأجاره ، فكتبت إليه : إنَّ هذا فساد لعملي . فكتب إليَّ :

إنَّه لا ينبغي لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة ، فيكون مقامنا مقام رجل

واحد ، ولكن تكون أنت للشدّة والغلظة ، وأكون أنا للرأفة والرّحمة ، فيستريح الناس فيما بيننا .

القلب واللّسان

كان لقمان الحكيم عبداً مملوكاً ، فدفع إليه مولاه شاة ،؛ وأمره بذبحها ، وقال له : ائتني بأخبث ما فيها ، فذبحها ، وأتاه بقلبها ولسانها ، .

ثم أعطاه شاة أُخرى ،وقال: إذبحها وائتني بأطيب ما فيها ، فذبحها وأتاه بالقلب واللسان ، فسأله عن ذلك ، فقال لقمان : ليس أخبث منهما اذا خبثا ، ولا أطيب منهما إذا طابا .

إبليس والدّنانير

قيل : لما ضربت الدّراهم والدّنانير ، صرخ إبليس صرخة ، وجمع أصحابه وأعوانه ، وقال لهم :

وجدت شيئاً استغنيت به عنكم .

قالوا : ماذا ؟

فقال : الدّرهم والدّينار ، فإن الأب سوف يقتل ابنه ، والإبن يقتل أباه من أجلها .

نهرو

جاء قوم محرمون إلى نهرو ، دكتاتور الهند اليوم ، في أمر. فقال : مثل هؤلاء ، مثل ولد قتل أباه ، فلما مثل بين يدي العدالة ، طلب الرّحمة لأنه يتيم .

الإسكندر وارسطوطاليس

قال الإسكندر لأرسطوطاليس : أيهما أفضل للملوك : العدل أو الشجاعة ؟

فأجابه ارسطوطاليس : إذا عدل السّلطان ، لم يحتج الشّجاعة .

الأعرابي والخمر

قيل لأعرابي : ما لك لا تشرب الخمر ؟

قال : لثلاث خلال فيه : لأنه متلف للمال ، ومذهب للعقل ، ومسقط للمروءة .

الأعرابي والمال

قال أعرابي لأخيه يا أخي ، إنَّ مالك إن لم يكن لك ، كنت له ، وإن لم تفنه أفناك ، فكله قبل أن يأكلك .

كان رجل عنده جمال يكريها في القرى ، ويعتاش من أُجورها ، وكان يسمع الناس يتحدثون عما في المدينة،من نعم ومتع،فعزم في نفسه أن يذهب الى المدينة بعد انتهاء فصل العمل ، ويأكل من جميع ما فيها من أطعمة شهية ، ويدخل الى جميع الاماكن المشتملة على مناظر جميلة .

وبعد انتهاء عمله ذهب إلى المدينة ، وصار يشتري من مختلف أنواع الحلوى والطّعام والشّراب ويذوقه ، ويدخل إلى السينما وأماكن اللّهو ، وآخر ما سمع به شخص ينادي من أحب النّظر والرؤية الى حيوان عجيب فليدفع خمس ليرات ويحضر ، فدفع المبلغ المذكور ، وهو كثير بالنسبة له ، ودخل المكان لينظر ما فيه من أُعجوبة ، فدخل ، فوجد بعيراً ، ووجد أهل المدن والغرباء يتفرجون عليه وينظرون إليه ، وكان هو قد سئم من مناظر الإبل ، لأنَّ عمله المتعب كان معها ، فلما رآه قال : كلّ ما حصّلناه من الجمال ، أضعناه في رؤية الجمال .

كان رجل يدعي البطولة ، فالتقى باسد داجن ، فوضع الأسد قدمه على عنق الرجل فلم يستطع الرجل الحراك ، وصار يصيح باصحاب الأسد ، ويقول : نحوه عني والا قتلته .

كان رجل يلعب على شاطىء النهر ، فمد يده في الماء ، فالتقمها التمساح ، فجعل يستغيث برفقائه ليخلصوه فقالوا له: اتركه وتعالى الى هنا .

فقال يا اخوتي . . انا تركته ، ولكنه هو ما تركني .

حائك حويشي .

يضرب المثل بالحائك عند النجفيين ، ولا سيما اذا كان من محلة الحويش في النجف ، فيقال ان احدهم كان يلبس قباءا بلا سراويل ولا قميص ، اشترى

رأس شاة ، فحمل في احدَى يديه الرأس وحمل باليد الاخرى بقية توابعه ، فانقطع الخيط الذي يشد به وسطه ، فظهر صدره وما جاوره ، فالتقى بامرأة ، فقال لها : استريني . . الله يستر عليك ـ يعَني طلب منها ان تشد له وسطه لتستر عورته .

وامثال هذه البساطة في الناس كثير .

قال الحكيم لأبنه : إذا جاءك الخصمان ، وكانا لئيمين ، ما تصنع ؟

قال : أدفع من جيبي وأُصلحهما .

فقال له : فإذا جاءك وكان أحدهما لئيماً والآخر كريماً ؟

قال : آخذ للئيم من الكريم . فقال له : فاذا جاءك وكانا كريمين ؟

فقال : الكريمان لا يصلان الى مجلس القضاء .

مر الحكيم بصديقه ، فقال له : ما فعلت الجماعة ؟ وما حال الإثنين ؟ وكيف حال البعيد ؟

فقال له : الجماعة تفرقوا ـ يعني الاسنان ـ والإثنان صارا ثلاثة ـ يعني الرِّجلين صارا ثلاثة بإضافة العصا ، والبعيد صار قريباً ـ يعني أنه لا يبصر الا القريب .

قال الملك لوزيره : أسألك عن معنى : ولا ولا ولا ، ثلاث لآت مقرونة بالواو ، فإن اجبت عن ذلك وإلا فعليك كذا وكذا ، فاستمهله شهراً وجعل يسأل العارفين ، فلم يجد حلا .

وبينما كان يسير في الطّريق ، وكان السَّير قد أنهكه ، أستظل بكوخ عجوز ، فأكرمته ، وسألته عن سبب تعبه ، فحدثها مستخفاً بها ، فقالت : لقد نجح الطلب ، ونلت الأرب ، الملك يشير الىمايقصدهالشاعر بقوله :

ولا نحك وراء إذن لسائلنا
ولا نغير عادات غدت فينا
ولا نقول لضيف حل ساحتنا
عربان وادي النقا من خلف وادينا

فشكرها ، ورجع بالجواب إلى الملك ، فأكرم مثواهما .

كان لبعض أشراف العرب المعروفين بالنبل والشَّرف بنت كريمة ، خطبها عدد من الناس ، فكان أبوها يعطيها على مراجعتها ، فتقول له : بشرط ان يؤديني المهر كاملا ، فيقول لها : ما تقترحين ؟ فتقول : من اخبرني عن أول متلوف ، وثاني متلوف ، وثالث متلوف ، فهو الذي يتزوجني .

فطال الامر ، وعجز الخطاب الى ان جاءها احد الفاهمين خاطبا ، وللمهر باذلا ، فاقترحت عليه ما سلف ، فقال : اما اول متلوف ، فذبحنا لاهل السوق الخروف ، لان الضيف من أهل السوق لا يقدر ذلك ، ويستخف بفاعله . . قالت : اصبت .

واما ثاني متلوف : • المساواة بين الضيوف ، لأن منهم من لا يعرف آداب المائدة . . قالت اصبت ..

واما ثالث متلوف فهو ،صنع البر مع من لا يقدر المعروف،فانه عمل ضائع بغير سبب موجب ، فقبلت به واصبحت له .

الأسد وابن آوى

قصَّة الأسد وابن آوى تضرب مثلاً لمن عاش في ظلّ غيره ، ثم نسي ماضيه ، وطلب مساواة رئيسه ، ولمن يريد أن يمثل دوراً ليس له .

يحكى أنَّ أسداً مرّ بابن آوى ، فرآه هزيلاً مخيفاً ، بلا شعر ولا وبر ،،ولا يستطيع الحراك فرثى له ، وسأله عن حاله ، فقال : إنَّ سببه الجوع ، فأمره باتباعه ، وقال : وظيفتك أن ترصد الغنم وأشباهها فإذا مرت بك ، تصيح بأعلى **صوتك احمرت ، فتكون هذه كلمة السر بيننا ، وأنا بعد ذلك أقوم بواجبي ،** ففعل ، فقفز الأسد إلى الماشية ، وافترس كبشاً ثم أكل منه ما أراد ، وتركه لابن آوى ، ولما تكرَّر العمل سمن ابن آوى ، وطال شعره ، وتلمع لونه ، وحسنت حاله ، فذهب الى الأسد ، وقال :

يا مولاي . . أُريد أن أتكلم بحديث وأنا مستحي .

فقال له : قل ولا تخف .

فقال : أنا أُحب أن آكل معك ، لأنك تأكل أطايب الذّبيحةوتترك لي العظام والجلد وهذا حيف ، فغضب الأسد وطرده قائلا : إنّك لا تقدّر المعروف ، وتجحد الجميل ؛ وتتهمني بالسّوء ، ولكن ابن آوى اخذه الغرور ، وأراد أن يمثل دور الأسد ، فجعل يجوب الصَّحراء ، فرأى ابن آوى آخر هزيلاً نحيفاً ، مثله في السابق ، فسأله نفس السؤال وأجاب بنفس الجواب ، فأعطاه المخطط كاملاً ، وقال له :

إنك عن قريب سوف تصبح بديناً وجميلاً ، فمرت الماشية ، وتوسطها ابن آوى الثاني ، ثم سكت ، فقال له رفيقه : وهو على مرتفع عال قل الكلمة الّتي قلتها لك ، فأخذه الخوف ، لعدم ثقته برئيسه ، فغضب عليه ، ثم نزل وتوسط معه الغنم ، فلما همّ بعتابه ، كانت كلاب الماشية قد اقتربت منهما ، فهاجمت الكبير ، واختبأ الهزيل وبعد مدة يسيرة ، اقترب الرّعاة ، وبيدهم عصيّهم ، ومداهم ، فارتبك ابن آوى السَّمين ، واخذه الاسهال ، فانفتح مؤخره ، فبانت حمرة استه ، فرفع الواوي الهزيل صوته قائلا : يا اخي الأن احمرت .

الذئب والجدي

وقف جدي على سطح ، فمرّ به ذئب ، فجعل الجدي يشتمه ؛ فقال الذِّئب : ما أنت شتمتني ، أنما شتمني السطح الذي تحصَّنت فيه .

الحمار والثَّور

إنتطح حمار وثور ، فغلب الثَّور الحمار بقرنيه ، ففكر الحمار طويلاً ثم ذهب إلى الحداد ، يطلب قرنين ، فرجع بلا أُذنين .

مثل كلب الحدّاد

إقتنى حداد كلباً ليحميه ، فكان يأتي اللّص ويسرق البيت والكلب نائم لا ينتبه ، وكان الحداد يقضي شطراً من نهاره في ضرب الحديد ، والكلب غافل لا ينتبه ، فإذا أحضر الطَّعام ، ومدوا أيديهم إلى الخبز ، نفر الكلب مذعوراً ، وشاركهم في غذائهم ، فقال له الحداد يوماً : أيها الكلب النؤوم إذا جاء اللّص لا تنتبه . . وإذا علت صلصلة الحديد لا تنتبه . . وإذا تحركت الأسنان ، نشطت

من عقال .. ما لهذا اقتنيناك .. ثم ضربه فقتله .

الدّجاجة والعصفور

رأت الدّجاجة كومة من القمح وكومة من التبن ، وبدلاً من أن تأكل القمح ، جعلت تنعف التّبن حتى اختلط بالقمح ، فقال العصفور لها :

لِمَ صنعت هكذا ؟ ولِمَ تأكلي من القمح براحة ؟

فقالت له : اتريد أن أترك صنعة من أجل وقعة . . . مثل يضرب لمن يصنع السوء ، ويترك ما فيه الخير له .

الكلب والغزال

ركض الكلب وراء الغزال ، وهو يلهث فقال له الغزال :

لن تلحقني أبداً .

فقال له الكلب : ولماذا ؟

فأجابه الغزال : لأنّني أركض لنفسي ، وأنت تركض لغيرك .

حديث بين اثنين من بنات آوى

كان اثنان من بنات آوى يسيران على رأس جبل ،فنظرا إلى بطن الوادي ، فرأيا دجاجاً وديكة كثرة ، فقال أحدهما للآخر :

بورك لك .. أكل ونوم .

فقال الآخر ، وكان حكيماً : مهلاً إن كانوا كلهم رؤساء ، فهو ما قلت ، أكلنا وشبعنا ونمنا ، وإن كان لهم رئيس واحد ، فلا سبيل إليهم ، لأنهم يتفقون على قتالنا ، فإذا هجموا علينا ، تصبح جلودنا غربالاً من ضرب المناقير .

الثعلب والأرنب

قبض ثعلب أرنباً ، فقال له الأرنب : ما هذا لقوّتك ، ولكن لضعفي .

الثعلب والكلب

قيل للثعلب : أتحمل كتاباً إلى كلب ، ولك مائة دينار ؟ فقال : الكراء واف ، ولكن الخطر عظيم .

ابن آوى والأسد

قيل إنَّه كان ابن آوى ملكاً على الحيوانات ، فلما مات تخلف ابنه الصَّغير من بعده ، فجاءه الواوي معزياً ومهنئاً، ثم طلب منه أن يكر مه بفرخ حمام ودجاج ، فأبى الملك الصَّغير معتذراً بأنَّه لا يخون الرَّعية ، فودعه الواوي ، وهدَّده بقوله :

إنَّك إن لم تخن بالقليل فستخون بالكثير ، وإنَّك سوف تندم إذا لم تحفل بوجهاء رعيتك ، فسخر منه ابن آوى ، وقال له :

إنَّ الملوك لا تخشى أفراد الرّعية .

فذهب الواوي من فوره إلى الأسد فوجده محتجباً في غيله ، منهوكاً بالحمى فسلّم عليه ، وجلس متأدباً ، فسأله عن حاله وحال الرّعية ، فأخبره بموت الملك ؛ واستخلاف من لا يصلح ، وحرّضه على طلب الملك ، وقال له فيما قال :

أنت في أصل خلقتك ملك ، وإنَّك تجوع يوماً وتشبع يوماً ، ولو ملكت لعدلت وشبعت .

فقال الأسد : وما الحيلة ؟

فقال الواوي : الأمر عندي اكتب رسالة لابن آوى بالعزل ، ومره بالإطاعة ، وأنا اوصلها وآتيك به صاغراً ، ففعل ، فرجع الواوي ، فوجد الحيوانات مجتمعة لتتويج ابن آوى ، فناوله الكتاب ، وأطرق ، فجعل ابن آوى يرتعش ، ثم قال : الجواب ، فسكت .

فقال الواوي : إنَّ الأسد يطلب الملك ، وإنه أقسم إن لم تلبه أن يجعل دياركم بلاقعاً ، وأن لا يبقي على وجه الأرض منكم أحداً ، فجعل بعضهم يلوذ ببعض . . فالتفت ابن آوى إلى الواوي وقال :

ما الرأي ؟

قال : إما أن تطيع ، وإما تبذل لي مقداراً من الحمام والدّجاج والأوز ، وله ثور أو ثورين وحماراً أو حمارين وكبشاً أو كبشين ، فقال :

لك ذلك ، ولكن من يقنعه بذلك المقدار ؟

قال : أنا .

فأخذ رسالة بذلك ، فلما رجع للأسد ، قال : ما وراؤك ؟

قال : ما يسرك ، إنّني رأيت تعب الملك ونصبه ، ووجوب نزاهة الملك ، **وقد رأيت لك أن تأكل ويكون المحاسب غيرك ، فدع له الملك . . . واقنع بما بذل** لك ، تعش سعيداً ، ويعيش معذباً مذموماً . فقبل الأسد ورجع الواوي بالخبر ، فمرّ ابن آوى ، فقام اليه الوزير وأسرَّ في أُذنه أمراً ، فقال ابن آوى للواوي :

ومن يؤمننا من الأسد ، فلعله يهاجمنا عند انشغالنا بالمهرجان ، فهل لك أن تحبسه وتشدّه حتى يتم التتويج ؟

فقال : الأمر سهل فأخذ حبلاً ودخل على الأسد وأعلمه بحقيقة الحال ، فبسط يديه ورجليه ، وقال :

إصنع ما بدا لك فشده إلى أعظم شجرة بأعظم وثاق ، فجعل الأسد يقول له :

إياك أن تنسى ، وإياك أن لا تعود ، فأهلك جوعاً وعطشاً ، والواوي يبتسم ابتسامة الصَّداقة ؛ ويقول : معاذ الله أن يكون ذلك ، ثم عاد لأبن آوى ، وتوج ، وبقي المهرجان سبعة أيام ، ونسي القوم من بني الحيوان الأسد ، ثم فطنوا له ، فندبوا شخصاً يذهب إليه ، ويطلقه ، فلم يجرأ أحد على ذلك ، وأخيراً ، أقبل الكلب ، فأطعموه العظام ، ووعدوه بالخير ، وكان الواوي يعرفه بالوفاء لبطنه ، وبالمغامرة وبعدم تقدير العواقب ، فندبوه لذلك ، فأجاب ، ثم حلَّ الأسد من وثاقه ، وبعدما جلس بين يديه ، وحدَّثه بالمهرجان وبالموائد الدّسمة قال :

هلمَّ معي لتأخذ جائزة الملك .

فهرول الأسد مدبراً ، فتبعه الكلب قائلا :

إلى أين ؟

فقال : إنَّ مملكة يربط فيها الواوي الأسد ويفكه الكلب لا أُطيق سكناها . . .

حدثنا بهذه القصة ابن عمنا أبو محمد موسى ذياب الفقيه ليلة ١٤ ع ١ / ١٣٨٣ هـ في حاريص .

بوم البصرة وبوم الموصل

خطبت بوم الموصل ابنة بوم البصرة ، فطلبت منها عدة مقاطعات قاحلة خربة ، فقالت لها بوم الموصل : ما دام فلان الوالي أميراً علينا ، ابشري . . فسأعطيك مهراً لابنتك ألف ضيعة خربة .

قيل : إنَّ العصافير امتنعت من المجيء إلى بيدر الدّخن اعراضاً من صاحبه ، فزاد المحصول في تلك السنة ألف كيلو . وهذه قصَّة مستلبة من مثل عامي تشير إلى أنّ اعراض بعض الناس عن الشَّيء يضرهم وينفع من أعرضوا عنه ، والمثل عراقي وهذا لفظه : زعل العصفور على بيدر الدّخن ، فزاد طغار .

القوصانة والعكوبة

القوصان : نبت تأكله الجمال في لبنان ، ناعم الورق كثير الشّوك دقيق الغصن .

قالت القوصانة للعكوبة : اين نشتي في هذه السنة ؟ قالت : الكلام عند هبوب الأرياح وانما يقال ذلك لأن هاتين النبتتين تكونان ايام الخريف بلا وزن ، ! وليس لهما ثبات في الأرض ، فتقول احداهما للأخرى : في أي أرض سنكون في أيام الشتاء ، وإنما نقول ذلك لأن الريح تتلاعب بهما وتنقلهما من مكان إلى مكان .

قيل : إنَّ رجلاً تعلّم لغة الحيوانات ، فجعل يستخدمها ، فلما كبر سنه ، جعل يطلب المسامحة من كلٍّ صنف منه ، فتسامحه ، حتى انتهى الأمر إلى الجمل ، فطلب منه المسامحة ، فلم يفعل فقال له :

ألم أطعمك ؟ ألم يسامحني غيرك ؟

فقال له الجمل : كلّ ذلك كان ، ولكنّك فعلت معي فعلاً لم تفعله مع غيري .

قال : وما ذاك ؟

قال : قضيت عمري بخدمتك ، وكنت تجرني خلف الحمار .

مثل ضربه رجل عاملي لزعيم من الزّعماء ، لم يقضي حاجته تخوفاً من غضب شخص آخر كان يقدمه الزَّعيم على هذا الرَّجل .

قيل : إنَّ ابن آوى صحب الأسد مرة وأطال صحبته ، فكان يأكل من فضل طعامه ، ويعيش على شرفه فتهابه الحيوانات من الذّئاب والنّمور إعظاماً لمخدومه وهيبة لمصحوبه . . .

واتفق أنَّ الأسد انشغل مرَّة عنه ، فغضب ابن آوى غضباً شديداً ، وقال للأسد : لا تبرّأنَّ منك فلم يجب. الأسد بشيءٍ ، وكان النِّمر حاضراً في المجلس ، فسمع مقالة ابن آوى فقال له :

إنَّ الأسد لم يعش يوماً على فضل طعامك ، ولم ترهبه الوحوش خشية منك ، فإن تبرّأت منه ، كنت كالباحث عن حتفه بظلفه .

من قصص المرحوم الملا حسين قلي

وفيها بيان معنى الزهد

حدثنا الشيخ عبد الزهرا في العمارة عن العلامة الشيخ مشكور الحولاوي ، فقال : كنت أصحب الملا حسين قلي ، وكنت أتأثر بمواعظه ، حتى أنني كنت أدخل غرفة مظلمة وأبكي ، وقد فهم بي والدي فكاد يحرِّم عليَّ صحبته ، واتفق أنَّ بعض المعممين أراد السفر الى خارج النجف ، فطلب رخصة بالسهم المبارك منه بواسطتي ، فجئته بعد الظهر على استحياء ، فأذن لي الخادم بعد إعلامه ، فنزلت للسرداب ، فوجدت فيه حصراناً ، ووجدت في الوسط حصيرة عليها فرشة ، فجلست وذكرت حاجتي فسألني عن وثاقته ،

فوثقته ، فكتب الإذن وختمها ، وكنت نظرت في جانب السرداب ، فرأيت عصارة الرمان والبرتقال ، فقلت في نفسي : هذا الزاهد يأمرنا بالزهد ، ويعيش هكذا ثم لما هممت بالقيام ، أمرني بالتأخر للغداء ، فأحضر الخادم طبقاً فيه الأُرز الجيد (العنبر) وفروجة ومرق آل بخارة ، وكل ذلك من نفائس الطعام ، فتقدم ، فغسل يده ، وغسلت يدي ، ثم قال لي : ليس معنى الزهد ان لا يأكل الطعام الجيد ، ولا يشعر بلذته ، بل معنى الزهد أن يتساوى شكر العبد لله عليه وعلى خبز الشّعير على السواء .

حجر وطين

الكتاب الثاني: المضحك

ذهبت عجوز إلى طبيب فشكت إليه الأرق وقلّة النَّوم ، وبعد الفحص الدَّقيق ، قال لها : دواؤك الزَّواج من رجل عمره خمسون سنة ، فغضبت وشتمته ، وقالت له : أنت تتكلّم بالقبيح ، ولا تراعي الأشراف وأكثرت من هذا الكلام .

فقال الطبيب : أنا طبيب وهذا قدر معرفتي ، وهذا هو دواؤك ، ثم كتبه في رقعة وسلّمها لها ، وكان ولدها في غرفة الإنتظار خارج غرفة الفحص ، فناداه ودفع إليه الرّقعة وقال له : لا تقرأها إلا في البيت ، قال ذلك خوفاً أن يناله منه ما ناله من أمه ، .

فصار المسكين يضرب أخماساً في أسداس ظناً منه أنَّ الدَّواء له ثمن كبير ، وصارت أُمه تثني على الطَّبيب ، وتقول : يا ولدي ما نصنع إذا كانَ الدَّواء غالي ؟ فأنا أدفع له كلّ شيء ، أبيع كذا وأبيع كذا ، فلما وصل إلى البيت وفتحه وجده قد كتب في الرّقعة : الدَّواء زواجها من رجل عمره خمسون سنة ، فجعل يتعجب ، فقالت له امه :

لا تجوز مخالفة الطَّبيب ، وحفظ الحياة واجب ، وهي تتغابى عما في الرّقعة

فقال لها ولدها : إنَّه كذا وكذا .

فقالت : إذهب إلى الصَّيدلي واشتره لي بأيٍّ ثمن كان .

فعجب من أمرها وقال : إنَّه لا يوجد في الصَّيدلية ، ولكنه قد يوجد في ساحة القرية .

فقالت له : إذهب واطلبه ، وإذا لم تجد رجلاً عمره خمسين فليكن رجلين

كل واحد عمره خمس وعشرون ، ليكمل العدد .

ذهب الشيخ فتاح بري مع ابن عمه للشّام ليحضر عقد زواجه ، فعرضت عليه فتاة جميلة جداً فقال : ليس عندي ثروة إلا اثني عشر ولداً ، إن شئتم أعطيتكم بعضهم مهراً لها ، يريد بذلك إعلامهم بأنّه متزوج ، فضحكوا ، ثم تمت الخطبة .

قيل إن تلميذاً أخذ الشهادة ، ففرح به أبوه ، وصحبه إلى رجل خبير ، وأعلمه بنجاح ولده ، فقال له : إنَّ ولدك ناجح في العلم ، ولكنّه لا يعرف السلوك ، فلم يفهم الأب هذا الكلام .

وذات مرّة صحبه إلى مجلس الواعظ ، فجعل الواعظ يعظ ، والتلميذ ينتقد حتى شوّش عليه ، فقال له الواعظ : اسكت . فلم يسكت ، واخيراً غضب الخطيب وأعلن فسقه وأمر بأن يضربه كلّ واحد من الحضور نعلاً على رأسه فخرج بعد هذا الهوان ، وذهب يتعلّم السلوك والدَّهاء .

وبعد سنة حضر مجلس الواعظ ، فجعل يستحسن كلّ ما يقوله ، ولما فرغ استأذن منه في صعود المنبر فأثنى على الخطيب وبارك لأهل بلده به ، واعتذر عما سلف منه ، وقال : يا سيدي . . أُريد السَّفر وأرجو أن تهب لي شعرة من لحيتك المباركة ، تكون حرزاً لي .

قال ذلك على ملإ من الناس ، ففرح الخطيب ودفع له الشَّعرة ، فقامت أُلوف الناس ممن يحضرون المجلس ، وكلّ واحد منهم يريد شعرة ، ومن الصِّدف أنَّ لحيته كانت قليلة الشَّعر ، فلم يزالوا به حتى تركوه أمرداً ، وحينئذ توجه إليه التلميذ ، وقال له : يا سيدي . . ضربتني ألف نعال ، وأنا أخذت ثأري من لحيتك الكريمة .

في حديقة الحيوانات
صراع النمر والأسد المصطنعين

كان لبعض الملوك في فارس حديقة حيوانات ، وكان يزورها بين حين وآخر ، واتفق أن الأسد مات فبقي سائسه كئيباً حزيناً ، لأنّه لم يجد عملاً يعمله ،

فعطف عليه مدير الحديقة ، وقال له : إسلخ الأسد واحشه قشاً ، واشتغل به كأنك تخدمه ، ولعلَّ الملك لا يحضر ،أولا يحب أن يرى الأسد ففعل ذلك وكان يدخل في جوفه ويتحرك أمام البسطاء ، فيظنون أنَّ الأسد هو الذي يفعل ذلك

وفي يوم من الأيام ضاق صدر الملك ، ورغب في النزهة والترفيه ، فزار حديقة الحيوانات ، ثم أحبَّ أن يجمع بين الأسد والنِّمر ليرى ماذا يصنع النِّمر إذا واجه الأسد ، فأمر بذلك ، فاضطر المسؤول ، وذهب إلى سائس الأسد ، وكان اسمه رمضان ، فأخبره بالخبر ، وقال له : أصبحت وإياك تحت الأمر الواقع ، ولا بد أن تدخل إلى جوف الجلد وتتحرَّك ، فأوصى بوصيته ، واستعد للموت ، وجعل المسؤول يفكر بالحيلة ، فأصر الملك على طلبه ، فتقدَّم النِّمر وكاد الأسد يموت خوفاً ، وتبيَّن أنَّ النِّمر أيضاً كان مصطنعاً ، وأنَّ سائسه واسمه شعبان هو الذي يعمل في الجلد ، فلما التقيا ، وكان شعبان يعلم بأنَّ رمضان في جوف جلد الأسد ، وكان رمضان لا يعلم بأنَّ شعبان في جوف جلد النمر فناداه : رمزون ناترس منم شعبون ـ يعني يا رمضان لا تخف ، أنا أخوك شعبان ، فزحف إليه والتقيا وتعانقا ، وتسارا طويلاً .

فقال الملك للمسؤول : ما هذا ؟

قال : أعزَّ الله الملك ، من شدَّة عدلك ، تآلف الأسد والنِّمر ، وأصبح كلُّ واحد منهما يعطف على الآخر .

صبر على حماره عشرين سنة . . . ؟

أخذ جحا حماره إلى السّوق ، ونادى عليه إنَّه فرس أصيل ، فجاء أحدهم ليختبر أسنانه ، فعضّه الحمار عضة منكرة ، فجعل يصيح ، فاجتمع الناس .

ثم جاء آخر فوقف خلفه ليختبره ، فرمحه فكسر رجله فأعلموا رئيس البلدية والهيئة الحاكمة ، فقالوا لجحا : أما تخاف الله . . والسلطة . . تحضر حماراً غير مؤدب إلى سوق المسلمين وتريد أن تغش الناس فيه .

فقال لهم : من قال لكم أنِّي أحضرته الى السّوق لأبيعه ؟ أنا إنما أحضرته لأُري الناس عظيم صبري وأنِّي صبرت عليه عشرين سنة . ولم يصبروا عليه يوماً واحداً .

حجر وطين

عقد لسان الوحش عن الحيوان الضالّ أو الضائع سر من أسرار أهل البيت (ع) ، ويعرف ذلك حتى المسيحيين في جبل عامل : فإنّه إذا ضاع الحيوان وعقد لسانه بالدّعاء المتوارث المعروف ، سلم من الوحوش ، وطالما وجد الحيوان ، ووجدت الوحوش محيطة به وهو سالم .

فاتفق ان رجلا في صورة العارفين عقد لسان الوحش عن شاة ، فوجدت مأكولة ، فعاتبوه ، فقال : أي حيوان أكلها ؟ فقيل له : انثى الذِّئب فقال على الفور : انا عقدت لسان الذِّئب الذَّكر .

منجنيق في بطن عنزة

كان أبو نؤاس معروفاً بالدّعابة ، فقال له أحد الأمراء مرَّة : ما تقول في رجل اشترى عنزاً ، فبينما كان يصحبها ، خرج منها ريح ، ومع الرِّيح بعرة ، فوقعت البعرة في عين رجل ففقأتها ، فعلى من الدِّية ؟

فقال أبو نواس : الدِّية على البائع ، لأنَّه كان قد وضع في بطن عنزه منجنيقاً ، وكان المشتري يجهله .

جلس جماعة في مقهى في بلد أجنبي ، فاشترى كلّ واحد منهم جريدة ، وجعل يتصفّح أخبارها وكان بينهم رجل أُمِّي ، فصنع مثلهم تغطية لما به ، ولكنَّه مع الأسف جعل الجريدة بالمقلوب ، فقال له أحدهم : إنَّها بالإنكليزية ، وإنَّك مسكتها مقلوبة ، فقال له الأُمِّي : الرَّجال اللِّي بيقرأ الجريدة وهو ماسكها بالقلب مش بالجيد . لأنو بالجيد كل واحد بيقرأها .

أخذ راع جريدة ، وكان أُمياً ، وكان يموّه على من دونه من الرّعاة زاعماً أنه يقرأ ، وهم أميّون ، فمسكها بالمقلوب وكان فيها صورة سيارة وحولها اناس ، فلما رأى عاليها سافلها ، استعظم ذلك ، وقال : يا ناس شوفوا هالسيّارة كيف مقلوبة والركاب اللي فيها على حالهم رؤ سهم للأسفل وأرجلهم للأعلى .

يقال : إنَّ برنارد شو كان أكولاً ، فرآه يوماً بعض الناس ، وهو يأكل بشره فقال له : من رآك تأكل هكذا يظن أنَّ في بريطانيا مجاعة . فأجابه على الفور : ما دام مثلك موجوداً فيها ، فلا ريب أنَّها تصاب بالمجاعة .

المضحك

طلب رجل من المسؤول أن يعينه جندياً ، فامتحن نظره على بعد عشرة أمتار ، فلم يبصر ، وبقي يتنزل من مقدار المسافة ، حتى امتحنه على بعد نصف متر فلم يبصر ، فقال له المسؤول : أنت جندي تقاتل مصارعاً لا رامياً .

قال رجل لصديقه : كيف حالك ؟ وما هو عملك في هذه الأيام ؟

فأجابه : شمام هوى قطاف ورد .

فقال الرَّجل : إذا كنت محتاج الى مساعد ، فأنا مستعد .

قال رجل لمحبوبته : إنّي أرى الدُّنيا كلّها في عينيك .

فسمعه رجل كان حماره ضائعاً وكان يفتش عليه فقال له : أرجو أن تدلّني على حماري في أي موضع ؟

قال أحدهم لأبي نواس : سمعت أنَّ الخليفة ولاك على القردة والحمير .

فأجابه على الفور : إذن . . وجبت عليك إطاعتي .

قال الحاكم للمدعي : هل ضربك خصمك ضرباً مبرِّحاً ؟

فقال المدعي : سيدي . . أمهلني حتى أسأل المحامي الَّذي هو من قبلي .

نصح أحدهم شخصاً بأن يترك نوافذ البيت مفتوحة ليلاً ، لأنَّه مفيد للصحة .

فقال له الشخص : هل أنت طبيب يا سيدي ؟

فأجابه : ببساطة : لا ، ولكنّني لصٌّ .

الوالد : هل تعلم يا بنيَّ ما هي نهاية الأولاد الكذّابين إذا كبروا ؟

الولد : نعم يا والدي ، تستخدمهم الدَّولة كجواسيس ،ويستعملهم التجار في المتاجر لاغراء الناس .

نابليون وأشجع ضباطه

قيل : إنَّ نابليون طلب نخبة من ضباطه ليختبر شجاعتهم ، فاجتمعوا ، فأمر أحدهم بالتقدّم فتقدَّم وكان يظن أنه سيمنحه جائزة ، فقال له :

حجر وطين

أنت شجاع ؟

قال : نعم يا سيدي .

فقال له : قف مستقيماً فوقف ، فسحب الطّبنجة ، وأطلق النار من فوق رأسه ، فوقع ميتاً من الخوف ، فأمر بسحبه ، ثم أمر الثاني بالتقدّم ، فتقدَّم فوجه إليه نفس السؤال ، فأجابه بنفس الجواب ، فأمره بالوقوف مستقيماً ، فوقف ، فأطلق النار من فوق رأسه ، فأطار قلنسوته ، وبقي واقفاً ،

فحيّاه ، ثم أمر له بقلنسوة جديدة كجائزة له ، فتنحنح وقال : سيدي . . لو أمرت لي معها ببنطلون ، فتأ مله فإذا به قد أُصيب بالإسهال ، فأتلف ثيابه .

استأجر حشاش سيارة ، وفتح الباب ، ولما دخلها انفتح الباب الثاني ، فوقع على الرَّصيف ، فقام وهو ينفض ثيابه من القذارات ، وقال للسائق : عجيب . . كيف وصلنا بالعجل . . قدِّيش بدَّك أُجرة . ؟ .

نسائيات

قالت الزوجة لزوجها : أنا معي فقر دم ، لازم نصطاف في مكان ممتاز في هذه السنة .

فأجابها الزوج : حق . . ولكن أنا معي فقر حال ، لا أقدر على ذلك .

القاضي للست المتخاصمة مع زوجها : يا ست كيف بتكسري الكرسي على راس زوجك ؟

الست : والله ، يا حضرة القاضي ، ما كان قصدي أكسر الكرسي .

كان أحد الصحفيين عائداً من سفره إلى نيويورك ، فاستقبلته جماعة من النِّساء المعجبات به ، ولما أراد أن يشرب نخب المدعوين ، تناول كأساً وقال : هذه كأس جميع السيدات لأنَّهنَّ أحسن وسيلة لنقل الأخبار بعد الصحافة .

الولد : بابا . . ليش ربنا خلق أبونا آدم قبل أُمنا حوّا ؟

الأب : لأجل أن يلاقي فرصة يتكلّم فيها مع الله قبل ما تجي حوّا .

الزوجة : غداً يمضي على زواجنا ربع قرن .

الزوج : نعم ، وسنقف سكوتاً مَن أجل الحداد .

طلب مدير الشركة حارساً ، فتقدَّم للوظيفة رجل تبدو عليه إمارات الرقة والوداعة ، فلما رآه المدير قال له : نريد حارساً قوياً ، صوته مرعب ، كهدير الرَّعد ، لا يهاب شيئاً ، محباً للعراك ، مولعاً بالمشاكل ، لنخيف به اللّصوص ، فأجابه الفتي بقوله : إذن سأُرسل لكم زوجتي .

قالت المرأة لزوجها : قرأت اليوم في الصحيفة أنَّ القطار انقلب ، وكان فيه امرأة خرساء ، فلما أفاقت أصبحت تتكلَّم .

فقال لها زوجها : أظن أنَّ زوجها سيطالب الشركة بتعويض العطل والضرر لأنها صارت تتكلَّم .

تشاجر رجل مع زوجته ، فتجرأ عليها بالكلام فقالت له : إذا لم تكف عن مثل هذا الكلام ، فسوف لا أبرح هذا البيت وسأُرسل لوالدتي تجيء لعندنا ، فلما سمع مقالها سكت ، وكان هذا التهديد سبباً لحلِّ المشكل .

قالت العروس لعريسها : ما أحد من أفراد عائلتنا يموت قبل أن يتم لهماية سنة من العمر .

فأجابها العريس على الفور : كان لازم تفهميني هذا قبل ما نتزوج .

قالت الفتاة لأُمّها : بذمتك يا ماما مش شايفه خطيبي ظريف ؟

فهزَّت الأُم رأسها وقالت : لا ظريف ولا حاجة ، إنه يذكرني بأبيك يوم كان في سنه .

جاء رجل إلى محام بارع وقال له : يا سيدي أرجو أن تدلَّني على طريق تنقذني فيه من زوجتي فإنّها لا تناديني إلا يا حمار .

فأجابه المحامي على الفور : إذهب إلى جمعية الرِّفق بالحيوان لتدافع عنك .

قالت الفتاة لأمها : إنَّ الشاب الذي سأتزوجه يجب أن يكون محدثاً لبقاً يتقن فنَّ الرّقص والغناء ، ويلازم البيت ولا يدخن .

فسمعها أبوها فقال لها : أنت تحتاجين تلفزيون لا رجل .

الاستاذ للتلميذ : الراديو مذكر أو مؤنث ؟

التلميذ : مؤنث .

الاستاذ : ليش مؤنث ؟

التلميذ : لأنه يتكلّم دائماً .

كانت إحدى السيدات في الثّمانين من عمرها ، وأرادت أن تعترف عند القسيس ليغفر لها ، فقالت له : كنت شابة وكنت جميلة وأنت بتعرف الباقي . .

قالت الزوجة : لقد انكسرت حنفية الماء ودخل الماء في الصالون ، وأصبح كأنه بركة .

فأجابها الزوج بكلٍّ بساطة : شيء جميل .

فقالت الزوجة : فكيف نستقبل الضّيوف ؟

فأجابها : (بالمايوهات) ، وهو لباس ضيّق يستر بعض العورة ، أو كلّها فقط .

قال الساحر : أنا أستطيع أن أُخفي هذه البيضة برمشة عين .

فقال له الزَّوج:جرب في حماتي تنشوف .

أجرم رجل ، فسجن ، ثم أفرجت عنه السلطة قبل انتهاء المدة لمناسبة ما ، فجاءه بعض أصدقائه ، وهنأه بقوله : أُهنيك لأنك خرجت من السِّجن بسبب العفو ، ولولا العفو لبقيت ثلاث سنوات في السجن ، وحرمت من الراحة والسعادة .

فأجابه المسجون : بقوله : لم أنل السَّعادة ولا الرّاحة لأنَّني تزوجت بعد خروجي من السِّجن .

شكت امرأة لصديقها من بيتها الجديد ، بأنَّ جدرانه ونوافذه ليست محكمة ، وأنَّ جيرانهم يسمعون كلَّ كلمة يتكلَّمونها .

فقال لها : يمكن أن تصنعي كذا وكذا ، فيمتنع السَّماع .

فقالت له : حقاً كذلك ، ولكن لو عملت هذا ، لا أعود أنا أسمع ما يقوله الجيران .

إشترى رجل عدداً من المحارم (المناديل) بسعر رفيع ، ولما رجع إلى البيت لامته امرأته لأنه اشتراها بهذا السِّعر وأمرته بإرجاعها ، فقال لها :

بماذا أعتذر للبائع ؟

فقالت له : قل له : طلعوا كبار على أنفي .

قالت الزوجة لزوجها : لماذا تسألني دائماً أين أنفقت النقود ؟ هل سألتك أنا مرة من المرات من أين حصلت عليها . . . .

قالت إحدى المتحذلقات المتصابية : لأديب حاضر النكتة : أخبرني المنجم أنني سأموت في سنِّ الأربعين .

فقال لها على الفور : لو صدق لكنت مت قبل عشر سنوات .

اللّص : هات ما معك من النقود .

المسكين : إرحمني ، فإنَّ زوجتي إن علمت بذلك أهانتني وطردتني .

اللّص : وأنا إذا رجعت إلى البيت بلا نقود طردتني زوجتي .

القاضي للمتهم بالسّرقة : وهو ينكرها : كان يمكنك أن تسرق الرَّجل من دون ان تضربه .

المتهم : إن شاء الله في المرَّة الثانية أعمل بنصيحتك .

القاضي للسجان : ضعه في السِّجن ، حكمت عليه المحكمة بكذا وكذا .

المتهم : الحق على من يقبل نصيحة القاضي .

قالت الزوجة لزوجها : أصحيح أنَّ الصَّلع يصيب الرِّجال لأنَّهم يفكرون كثيراً .

الزوج : نعم ، وكذلك النساء لا تنبت لهنَّ لحى ، لأنّهنَّ لا يسكتن أبداً .

الزوجة لزوجها : أي هدية أحب اليك في عيد ميلادك ؟

فأجابها بهدوء : اريد منك قليلاً من السكوت . فغضبت ورفعت دعوى للمحكمة تطلب فيها الطَّلاق .

الزوجة لزوجها : ألَست وعدتني أن تصنع لي كذا وكذا .

الزوج : نعم ، وأنا مستعد أن أعدك في كلِّ حين .

قال أحد المسيحيين لصديقه : لقد ارتاح فلان راحة أبدية .

فقال له مذعوراً : هل مات ؟ قال : لا ، ولكن ماتت زوجته .

أراد الوالد أن يكرم أولاده ، فقال لهم وهم أربعة بنين : من منكم كان يطيع أمر الماه طول السنة ويسمع كلامها ؟

فأجابه الأربعة بصوت واحد : أنت يا بابا .

الأول : كان عندك خادمة جميلة فأين هي ؟

الثاني : غارت منها زوجتي وطردتها .

الأول : وهل رضيت بهذه الخادمة الجديدة القبيحة ، أم أنَّها غارت منها أيضاً .

الثاني : رجاءاً أخفض صوتك ، هذه هي زوجتي .

توفي شخص مسن، وكانت حفيدته تلعب، فنظرت مرة إلى نظارته ، فأخذتها الطِّفلة ، وجاءت بها إلى أمها قائلة : ماما . . جدِّي نسي نظارته ولم يأخذها معه . فأسكتتها الام ، وبعد مدة مرضت جدَّتها ، فسمعت أهل البيت يتحدَّثون ويقولون إنَّها سوف تلحق بالمرحوم ، فأسرعت الطِّفلة وأحضرت النظارة ، وأعطتها لجدَّتها قائلة لها : خذي هذه النظارة معك لجدي ، وقولي له : إنَّني حافظت عليها ، ولم أتمكن من إرسالها إليه قبل الآن .

قالت لسيدها : على الباب سيدة تريد مقابلتك .

البيك : شو شكلها ؟

الخادمة : على شكل معلمتي .

البيك : قولي لها ماني هون .

كان بعض الناس يوهم زوجته أنَّه أمهر صياد ، فكان يصحب معه بندقيته ، ويذهب للصيد ، ويشتري من الصيّادين الحجل والعصافير وغيرهما ويعود إلى البيت ، فتستقبله زوجته بفرح وسرور ، فخرج مرة إلى الصَّيد ونسي بندقيته في البيت ، ولما عاد اشترى من الصيّادين على المعتاد ، فاستقبلته . زوجته ، وقالت له : كيف ذهبت إلى الصَّيد بلا بندقية ؟ فأجابها معتذراً : معك حق . . كنت كلّما أطلقت طلقة ، أقول مدري شو ناسي .

قصة مصطنعة

تزوج رجل مسيحي ، وبقي مع زوجته ثلاثة أيام ، ثم سافر إلى المهجر ، فولدت له زوجته في غيابه عدَّة بنين ، ولما رجع إلى وطنه قبل الأول ، وأنكر الباقين فخاصمته زوجته ، فرفع أمره للكنيسة ، فحكمت له بهم أجمع ، فرفع أمره إلى المطران ، فحكم له بهم ، ثم رفع أمره للبطريك فحكم له بهم ، وهو يحتج ويقول : كنت غائباً ، ثم رفع أمره للبابا ، وذكر له حجته ، فقال له : إصبر حتى أُناجي ربِّي ، وبعد المناجات قال له البابا :

يا ولدي . . سألت الله في أمرك فقال لي : إنَّ هؤلاء كلّهم كذبوا عليَّ ، ونسبوا لي ولداً ، ولم أقدر على ردعهم ، ولا على تكذيبهم ، فكيف أقدر عليهم إذا كذبوا عليك .

هذه القصة وإن كانت تشبه الخيال أو فيها شيء منه ، لكن ابن شقيقتي الحاج نايف الفقيه حدّثني أنَّه كان لهم صديق ، وكان يقيم معهم في سيراليون من أعمال أفريقيا ، وكان بين سنة وأخرى يدعوهم للإحتفال بولادة مولود له جديذ ، صنع ذلك ثلاث مرّات لثلاث بنين ، مع أنه لم يفارقنا في مهجرنا ، ولم تأت زوجته لعنده .

حدّثني بهذا في سنة ١٩٦٩ م ١٣٨٩ هـ ، وسوف أسأله عن اسم الشخص

وبلدته إذا توفقت لذلك .

ابتلى رجل بكبر البطن فذهب إلى أحد الأطباء ففحصه ، فلم يجد فيه مرضاً ، ولكنَّ المريض لم يرضه ذلك ، وقال للطَّبيب : أنا ذاهب إلى عند غيرك . فلما خرج سأله :

إلى أيِّ طبيب تريد أن تذهب ؟

فقال : إلى فلان .

فعاد الطَّبيب واتصل بزميله هاتفياً قائلاً : سيأتيك رجل كبير البطن ليس فيه مرض ، دبّر حالك معه ، لأنك إن قلت له ليس فيك مرض لم يعطك أُجرة ، ولم يثق بطبابتك .

فلما وصل إليه وفحصه ، جعل يظهر القلق والإرتباك ، ويقول له : مصيبتك كبيرة . فقال له : ما هو المرض يا طبيب ؟

فقال له : أنت حامل بولد منذ أربعة أشهر . . دبر حالك . . .

فخرج مسرعاً إلى البيت ، وصار يقاتل زوجته ويقول لها : قلت لك : ما أقبل تكوني فوق مني ، تعالي دبِّريني ، وكأنَّه كان يعتقد بأنَّ من ينام من الزّوجين تحت الآخر هو الذي يحبل .

قال رجل لصديقه : إذا أردت سرعة التخلّص من الحياة فكن جندياً على الحدود .

فأجابه الآخر : عندي طريقة أحسن منها ، إذهب وتزوَّج فتاة تحمل شهادة تدل على أنَّها متعلِّمة .

يحكى أنَّ رجلاً جاء إلى طحان وقال له : إطحن لي هذه الحنطة ، وكان النَّهار قد انقضى ، فامتنع الطحان وأجله إلى الغد .

فقال الرَّجل : إن لم تفعل دعوت عليك وعلى طاحونتك .

فقال له الطحان : إن كنت مستجاب الدّعاء ، فادع الله أن يجعل حنطتك طحيناً خير لك من أن تدعوه عليَّ وعلى طاحونتي .

قيل إنَّ رجلاً كلّف إنساناً محترماً أن يخطب له فتاة من أهلها ، فذهب ليخطبها ، فلقيه جحا في الطَّريق ، ولما علم مقصوده أصرَّ على أن يذهب معه ، فلما دخل الرَّجل أثنى على أهل الفتاة ، وذكر الرَّجل بخير ، وطلب منهم الفتاة ، فسألوه عن قدرته المالية ، وكان الخاطب قد أوصى جحا بالتزام السكوت ، فقال الخاطب :

إنَّه يملك بستاناً .

فالتفت جحا وقال : انه يملك بستانين ، فأنس الخاطب بذلك ، ثم قال :

ويملك طاحوناً .

فقال جحا : بل يملك طاحونين ، فازداد الخاطب سروراً .

ثم إنهم سألوه عن اكتماله الجسدي ، فأثنى عليه وقال : لا عيب فيه إلا أنَّه يفقد إحدى عينيه .

فقال جحا : بل يفقد كلتا عينيه ، فغضب الخاطب وفسدت الخطبة .

التقى لص بإنسان وجعل يفتشه ويأخذ أمتعته ، فقال له هذا الإنسان : رجاءاً . . أُترك لي شيئاً لأنَّني اذا رجعت إلى البيت وليس معي شيء أهانتني زوجتي وطردتني .

فقال اللّص : وأنا مثلك ، فإذا رجعت ولم أكن قد سلبت الكثير أهانتنى زوجتي وطردتني .

دخل رجل إلى بستان ليسرق من فاكهته ، فأحسَّ به صاحب البستان ، فقصده ، ولما شعر اللّص بذلك ، نزع سراويله ، وجلس كأنَّه يقضي حاجته ، فناداه صاحب البستان :

ما تصنع ؟

قال : أردت قضاء حاجتي ، ووجدت هذا المكان مستوراً .

فصاح به قم حتى أشوف . ومن الصِّدف أنَّ اللّص لم يكن عنده شيء ، فلما قام وجد تحته روث حمار ، فقال له :

ما هذا روث إنسان . . هذا روث حمار . وأنت كذاب . . .

فقال اللص : أنت ما خلّيتني أُسوِّي مثل الناس ، ومن فزعي صار مثل الحمير .

حدَّثني سعيد سويدان من بلدة ياطر ـ قضاء بنت جبيل بمناسبة ما ، أنّه اجتمع قوم ، وصاروا ينكِّتون على الحُجّاج ، وكان الحاج سعيد الآغا من بلدة دير عامص حاضراً ، فحكى قصّة فيها مجاراة للقوم فقال :

استطاع أحد الفلاحين أداء فريضة الحج ، وكان له ثلاثة أولاد ، فصحب معه منهم اثنين ، وفي تلك السّنة كانت امرأة عجوز قد أودعت عنده مقداراً من المال ، فلما عاد من الحج زاره الناس ، وجاءت إليه المرأة وطالبته بالأمانة ، فجعل الرَّجل يستغرب ويتذكر ويقول : لا أذكر ، والمرأة تذكر له الوقت والعلامات ، وهو يحلف بالكعبة والمقامات الَّتي حج إليها أنَّه لا يذكر .

فقالت له : إنَّ أولادك فلان وفلان وفلان كانوا حاضرين ، فأحضر اللَّذين حجا واستشهد بهما ،فكان كلامهما مثل كلام أبيهما، فجعلوا يقولون : نحن ثلاث حجاج . . نقول لك ما في أمانة وما بتصدقي ، وصاروا ينالون منها . . .

فقالت : يا حاج . . إبنك الصَّغير كان حاضراً ، ولعلَّه يتذكر .

فلما أحضروه وسألوه شهد مع المرأة ، وصار يذكِّر أباه على وجه لم يستطع معه الإنكار . . فأحضر الأمانة وسلَّمها للمرأة ، ولما أدبرت التفت الحاج الى ولده الصَّغير ، وقال له : يا مقصوف العمر ، إن شاء الله في السَّنة القادمة إلا ما أبعثك مع أول قافلة للحج . . .

وهنا انتصر خصوم الحجاج ، وكان أشدهم هزلاً مختار قرية ياطر حميد سويدان ، وأعجبوا بحديث الحاج سعيد الآغا . . .

بعد هذا قال لهم : عندي قصَّة ثانية على المخاتير ، وكان حميد سويدان هو مختار بلدة ياطر فقالوا له : هات .

قال : مرض ولد لرجلٍ ، فنذر لله عز وجل إذا عافاه الله أن يدفع لأولاد الحرام ماية ليرة ، فاتفق أنَّه برىء الولد ، فأخذ يفكر فيمن يستحق النَّذر ،

فذهب ليسأل عالماً في قرية ثانية ، فاعترضه اللّصوص ، في الطريق وفتّشوه ، فوجدوا معه المالية ليرة ، فأرادوا أخذها منه ، فقال لهم :

عوضاً من أخذها بالحرام خذوها بالحلال .

فقالوا : وكيف ذلك ؟ فحكى لهم القصّة ، فجعلوا يضربونه قائلين : جعلتنا أولاد حرام . . . فاعتذر لهم وقال : ما أصنع ؟

قالوا : خذها لمختار من المخاتير . . فلما وصل الى البلدة الثانية ، نزل ضيفاً على المختار وأعلمه بالخبر ، وأراد أن يعتذر له ، فقال المختار : صدقوا . . كم مضى على استحقاق النّذر ؟

قال : مقدار كذا وكذا يوم . .

فقال له : هات المالية ، واحسب ما يلحقها من الفايدة لأنّك أخرتها . .

وهنا بردت حدّة المختار ، وانقلبت الدّفة عليه .

في ليلة الإثنين ٩ رمضان سنة ١٣٩٠ هـ ، كنا جالسين للدّعاء ، وبعد ذلك زارنا الحجة الشيخ حسين معتوق ، ومعه العلامة السيد محمد رضا الحكيم نجل المرحوم آية الله السيد محسن الحكيم ، وذهب الحديث يميناً وشمالاً ، وتطرقنا لعادات الأُمم ، ومختلف أطوارهم فانتهى بنا الحديث إلى ما لا يستحسن عادة ، فذكروا : أنّ بعض الأجانب يستقبح العطاس ، ولا يستقبح الضرطة ، وتحدّثوا بأُمور منها :

أنّ أحد باشوات الترك كان جالساً ، وعلى فخذيه بندقية ، فقام إليه بعض وجهاء العرب ليسر إليه أمراً في أُذنه ، ومن الصّدف أنّه فاجأه العطاس ، والأتراك يستنكرون من العطاس ، فعطس عطسة منكرة ، فارتعب الباشا وأخذ بندقيته وصوّبها إليه قائلاً : أنت إذا تريد أن تطلق بالمدفع ليش ما تسوّي إنذار بالأول ؟

ومنها : أنّ شخصاً كان مريضاً بمرض صعب ، فحضر الطّبيب الشهير في زماننا المرحوم الميرزا جميل الخليلي لعلاجه فأوصاهم أن لا يتكلّموا بأصوات مزعجة فشكا إليه أهل المريض بأنّ جيرانهم من المكارية ، وعندهم حمير ، وأنّ

أصواتها مزعجة .

فقال له : تأخذ سمناً وتدهن بها أُستها ، فإنَّها لا تتكلَّم ففعل ما أمره به الطَّبيب .

ومن الغريب أنَّها تلك اللَّيلة لم تنبس ببنت شفة .

فسألوه عن ذلك ، فقال : الحمار لا يستطيع الشَّهيق الا بعد ضمٍّ أُسته ، وبما أنَّها مدهونة بهذه المادة الدهنية ، فبمجرد أن يتحرك ينفتح أُسته ، ولا يقوى على إخراج الصَّوت ، وهذا من الذَّكاء العجيب إذا صح[1] .

ومنها : أنَّ شخصين نجفيين ذهبا إلى بعض الحكام الأتراك لاستقضاء حاجة لهما ، فبينما هما جلوس عنده أحدث الحاكم ، وكان يعلم باستنكار العرب لهذا الفعل ، والنجفيون أذكياء ، فما كان من أحدهما الا أن فعل مثل فعله ، وأشار لصديقه بأن يفعل مثل ذلك ، فاعتذر له بأنَّه ليس عنده شيء .

فقال له بطريق الإشارة : إن لم تفعل ، لم يقض حاجتنا ، ويخشى أن نحدث بما كان ، فأجهد نفسه ، فسلح في ثيابه ، ومذ علم الحاكم بذلك ، قضى حاجتهما ، وأمر له بلباس وحمام .

أوصى رجل لبنيه بحمار ، وهو كلّ ما يملكه ، فاختلفوا بعد وفاة المرحوم على الحمار ، المذكور ، فذهبوا إلى القاضي ، فحكم القاضي على أن يكون الحمار إلى أكسلهم همة ، وأقلهم عزيمة ، ثم قال لهم : تكلموا لأرى أشدّكم كسلاً . .

فقال أحدهم : اشتد بي العطش ، فطلبت الماء ، فغمسني قوم في نهر ، فغمرني الماء إلى قريب فمي ، ثم أخذني الكسل ، فلم أُطق فتح فمي ، وبقيت عطشاناً . . .

وقال الثاني : انتبهت ليلاً ، فوجدت السقف يقطر من المطر على عينيَّ ، فآثرت البقاء على التحوّل كسلاً . .

---

(١) الميرزا جميل كنا مجاورين له في النجف في محلة العمارة ، وقد عاصبرناه أكثر من ربع قرن وكان حسن النكتة ، وكان إذا عاد مريضاً فقيراً لا يتقاضى منه أجرة ، وربما ساعده ببعض المال ، وهذا معروف عنه .

قال للثالث : تكلّم ، فلم يجب من شدّة كسله ، ثم عقد لهم جلسة أُخرى ، فبالغ كلّ من الأولين في كسله ، وأما الثالث فلم يحضر معتذراً بالكسل ، فحكم له به .

قيل : إنَّ رجلاً أمر زوجته بحمل قارورة فيها بوله ليقدّمها للفحص ، فحملتها وذهبت بها الى المختبر وفي أثناء طريقها وقعت من يدها وانكسرت ، وكانت زوجته بسيطة جداً ، فخافت من زوجها وظهر عليها الجزع ، فرأتها امرأة ، فسألتها عن شأنها . فأعلمها فرقت لحالها ، فقالت لها : الأمر سهل أنا أجمعه لك ، ثم دخلت منزلها ؛ وبالت لها في القارورة ، وسلّمتها إياها ، وكانت المرأة حاملاً ، فسلّمتها للمختبر . . .

وفي اليوم الثاني ، ذهب ليحضر نتيجة التحليل ، فاذا فيه إنَّ صاحب البول حامل ، وقد مضى عليه سبعة أشهر ، وبعد شهرين يضع الحمل ، فرجع إلى زوجته ، وجعل يقاتلها ، لأنها كانت قبل سبعة أشهر قد طلبت منه عند الجماع أن تكون فوقه ويكون هو تحتها ، وكان يرفض . . وأخيراً ، غلبته ، فجعل يقول لها : قلت لك ما بصير من فوق . . هياني حبلت . . وغداً عندما ألد ، نفتضح أمام الناس . . .

عاد الزَّوج إلى بيته وهو سكران بعد نصف اللَّيل بساعتين ، فالتقى بالقابلة وهي خارجة من بيته ، فقالت له :

مصادفة عظيمة . . . أنت جئت الساعة اثنين ، وزوجتك وضعت اثنين .

فأجابها : الحمد لله أنّي ما جيت الساعة اثنا عشر . . .

سأل زوج قائلاً : من هو هذا الرَّجل القبيح الذي كنت تراقصينه .

قالت : هو أخي .

فقال الزَّوج عفواً . . . صدقت . . . فقد لاحظت أنَّه يشبهك . . . .

في سنة ١٩٦٨ م أغرقت الحكومة المصرية باخرة إيلات ، وهي من أعظم البواخر الإسرائيلية ، فجاء الضابط الذي أغرقها لينال جائزته من الرَّئيس ، فكافأه بخمسماية جنيه ، فشكا للرَّئيس جمال عبد الناصر قائلاً :

أغرقت إيلات ، فأعطوني خمسمايه جنيه .

فقال له : إحمد الله . . أنا أغرقت مصر كلّها وما أعطوني مليماً واحداً .

حكي أنَّ مدمرة إيطالية أغرقت باخرة عثمانية في أيام العثمانيين في ساحل بيروت ، فغضب أهل البسطة من سكان بيروت ، وتجمعوا ، ونزلوا لمحاربة المدمرة ، وكانوا يلبسون القنابيز والطّرابيش ، وكان بعضهم يحمل الخناجر ، ولما هجموا على المدمرة ، ألقت عليهم قنبلة ، فقتل منهم نحو أربعين شخصاً ، ففروا منهزمين . . .

وفي المساء اجتمعوا للتفكير في كيفية التغلب على الطّليان ، ولم يجدوا حلاً الا تكثير النّسل ، وبعد أيام مرّت امرأة وهي تركض ، وخلفها شاب يركض وراءها ، وهي تصيح : ما في أحد يحارب الطّليان غيري . . .

قال بعض الظرفاء ـ وهو من المسيحيين الذين يعلمون في مدرسة صور الرسمية :

إنَّ الكهنة في الكنيسة عندما يريدون رفع مستوى الرّاهب يأخذون عليه يمين العفّة ، وللمسيحيين أنفسهم حول هذا الموضوع نكتة حسنة . . نقلها احد المعلمين المسيحيين لرفقائه .

منها : أنّهم يضعون الشّخص مع آخرين في مكان ، ويعرّونهم من اللباس ، ويدخلون عليهم النّساء الجميلات من الرّاهبات وغيرهنّ . . ويعلقون في كلّ شخص جرساً صغيراً ، فإن تحرّك علموا ذلك من الجرس ، ولم يقبلوا يمينه . . فلما أدخلوا عليهم الجميلات ، وكانت آخر واحدة منهنّ مثيرة للغاية ، تحركت نواقيس الجميع الا واحداً منهم ، فلما وصلوا إليه أخذه الحياء ، فتحرك الناقوس ، وإذا به لم يتحرّك لشدّة شهوته . .

ويرويها معلّم مسيحي من صور بأنّهم يجلسونهم على الطبول ، فإذا تحرّكوا كثر النّقر عليها ، واتفق أنّ شخصاً كانوا يريدون أن يحلّفوه يمين العفّة لم يسمع

صـوت الطّبلة ، فلما أقـاموه لليمـين نظروا وإذا بـالطبـل معلّق ، وتبينً أنّـه خرقَ الطّبل من أول الأمر ، فلم يتحرّك . . .

قال المعلم لتلميذه ، وكان قد ساعده على حل المسائل العلمية : عندما لاحظ والدك حلول المسائل هل اتهمك بالإستعانة بغيرك ؟

قال : لا ، ولكنّه قال : هذه الأغلاط الكثيرة يستحيل صدورها من واحد .

قالت الفتاة المخطوبة لخطيبها : لا تفكر أن أتزوج بك بغير عادتي ، فإنّني اعتدت أن لا يدخل عليٍّ خطيبي إلا في بيت أهلي .

فقال لها : إذن خذي مصرفك من بيت أهلك .

دخل رجل على حانوت ، فوجد صاحبه وقد وضع أمامه منضدة ، وليس في الحانوت شيء فقال له الرجل :

ماذا تبيع ؟

فقال : أبيع المناضد .

فقال له الرجل : صدقت ، والظاهر أنّها نفدت ، ولم يبق منها الا واحدة .

قال طفل لوالده : هل تخاف من السّبع ؟

قال : لا .

فقال : وهل تخاف من النمر ؟

قال : لا .

فقال : وهل تخاف من الحيّة ؟

قال : لا .

فقال الطّفل عندئذ : إذا كنت لا تخاف من هؤلاء كلهنَّ فلأيٍّ شيء تخاف من أمّي ؟ .

قال الجلّاد للمحكوم عليه بالإعدام : ماذا تطلب قبل الموت ؟ وكان واقفاً

عند المشنقة .

فقال المحكوم عليه : أطلب شيئاً واحداً لا أطلب سواه ، وهو تأمين حياتي .

قال المريض للطَّبيب : هل أنت متأكد أنَّ مرضي بالرِّئة ؟

قال له : ما هذا السُّؤال ؟

قال المريض : كان لي صديق عالجه الأطباء على أساس أنَّه مريض بالتهاب الرئة ، وبعد موته تبين أنَّ مرضه لم يكن فيها .

فقال الطَّبيب : تأكد أنَّه ليس كلّ الأطباء مثل بعضها ، وإنَّني ما دمت أُعالجك ، فلن تموت بمرض التهاب الرِّئة .

قال الزوج لزوجته : بعد عودته من السَّفر : كنت وعدتك أن آتيك بقرد تتلهينّ به ، وقد نسيت .

فقالت : ما صار شيء ، وجودك كافي .

المصريون يعتقدون أنَّ الشخص الطَّويل لا يخلو من البله ، واتفق أنَّ طويلاً وظّف في بعض الدوائر فلما رآه الإختصاصي وامتحنه رأى فيه عقلاً وفكراً وحنكة ، فقال له :

أنت لست طويلاً ، لأنَّ الطَّويل لا يكون كاملاً .

فقال على الفور : يا سيدي ، أنا اثنان قصيران

سمع علي بك الأسعد برجل اسمه خليل ، له قوة وسطوة ، فاستحضره ليتخذه من أعوانه ، فلما رآه أمره بالمصارعة مع المعروفين في القلعة بالقّوة والسطوة ، فتغلب عليهم ، فلما جلس أحب أن يمتحن عقله فقال له :

ما اسمك على حرف الخاء ؟

ففكر طويلاً : ثم قال : خمير ، لأنه لم يجد له اسماً أوله حرف الخاء ، ونسي اسمه .

فقال البك : اجعلوه سائساً للخيل الشموس .

ولما انتهى إلى الإسطبل (الياخور) ، أوصاه بعض الموكلين بأنَّ خيل البك تعرف السائس ، فإذا نوى الشّر عليها ، رمحته قبل أن يبطش بها .

فرجع إلى البك وقال : يا سيدي صحيح أنَّ خيلك بتعلم الغيب ؟ . .

وقف سائل على باب غني ، فقال له الغني : ما فيه أحد من النِّساء في البيت .

فقال الفقير : يا سيدي ، أنا أُريد رغيفاً ولست أُريد عروساً .

مرَّ رجل من يارون وهو مكاري ومعه جمال ، بفتيات من دبعال وأردن أن يعبثن به ، فسألته إحداهنَّ :

هل أنت متزوج ؟

فقال : كلاّ ، ولكن أخي متزوج .

فضحكن منه وقلن : له : وما ينفعك زواج اخيك ؟

فقال : نحن ملاح بكيس بعضنا البعض . فضحكن .

وكانت هذه النكتة سبباً لتعرفه على هذه الفتاة واقترانه بها .

حجر وطين

الكتاب الثالث: اجوبة المسائل

أجوبة المسائل
بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه المجلدة أجوبة المسائل العلمية ، وهي عبارة عن مراسلات تتضمن البحث في مسألة أو شبهة ، وهذا فصل قيمٌ ، وهو بالطَّبع غير مرتب ، ولكنَّه مليء بالفائدة ، حريّ بالإهتمام .

(١) حكم المال المقبوض من البنوك بصورة المعاملة الرَّبوية

وردتنا رسالة من الأخ العلامة السيد هاشم معروف يسأل فيها عن حكم المال المقبوض من البنوك الحكومية بصورة المعاملة الرَّبوية ، فجاء في الجواب ما يلي :

١ ـ لا شبهة في المال المقبوض من البنوك الحكومية إذا كان القابض مستنقذاً ، كما لو كان مجتهداً ، أو مأذوناً .

٢ ـ وأيضاً لا شبهة في التَّصدي لذلك ، لأنَّ المعاملة حينئذ ليست ربوية ، لكونها صورية لعدم تطابق قصدي القابض والدّافع ، ومن المعلوم أنَّ تطابق القصدين شرط مقوِّم للعقد بنظر العرف ، وإذا انتفى التَّطابق انتفى مصداق العنوان المنهيّ عنه .

٣ ـ وعلى هذا فلو قصد الدّافع الرِّبا ، وقصد القابض الإستنقاذ ، لم يكن الدّافع مرابياً ولا القابض . نعم ، من كان منهما يعتقد حرمة ذلك كان متجرياً إن كان ملتفتاً ، وإن كان يعتقد حليته فلا عصيان ولا تجري ، .

٤ ـ وأما حكم إرجاع مقدار المبلغ إلى البنك مع الزِّيادة ، فلا شبهة فيه أيضاً .

لأنَّ المستنقذ مسلَّط على ماله ، فكما كان له الإقدام على الإستنقاذ ، كان له

الإقدام عليه بانياً على إرجاع مقداره مع الزِّيادة . وبعبارة ثانية : هذا البناء ليس حراماً في نفسه ، ولا موجباً لتحريم الإقدام على الإستنقاذ ، وإرجاعه إلى البنك لمصلحة أو لدفع ضرر عنه بالتأخير ، ليس سفهاً ولا تبذيراً .

(٢) في جواز تزويج كلّ من شخصين بأُم الآخر

قرأت هذا السُّؤال في نشرة الإسلام في معارفه وفنونه ، وهو موجه للعلامة الشيخ حبيب المهاجر وقد أجاب عليه بلزوم الإحتياط بالترك لأنَّه عم ، فأرسلت إليه رسالة تتضمَّن مطالب عالية في شوال ١٣٧٠ هـ من قلعة سكر وقد جاء فيها بعد التَّمهيد ما يلي :

إنَّ أسباب تحريم النكاح منحصرة بالنَّسب والرَّضاع والمصاهرة ، وما يلحق بها كالزِّنا واللّواط . أما المحرَّم بالنسب ، فهو العناوين السَّبعة المعروفة المذكورة في الآية ٢٢ من سورة النِّساء .

وأما المحرَّم بالرِّضاع ، فهو انطباق واحد من العناوين المذكورة في الآية الآنفة بدون ملازمة أو ملازمات أو صيرورة أب المرتضع ناكحاً في أولاد صاحب اللَّبن .

وليس في مورد السؤال نسب ولا رضاع كما هو واضح ، إذن فلا حرمة من هذه الجهة .

وأما المصاهرة وما يلحق بها فهي أُمور محصورة معروفة ، وليس تزويج الأُم منها أيضاً .

وأما قولكم (زوج الأُم عم) فهو ليس ثابتاً شرعاً ولا عرفاً ، وإنَّما هو تجوز أو اصطلاح حادث في بعض البلاد ، لا يشمله شيء من الأدلة المعتبرة .

ثم لو سلّم أنه عم تنزيلي ، فهو إنَّما ينفع إذا كان التنزيل شرعياً ، وكونه شرعياً يتوقف على وروده في آية أو رواية ثابتة الحجية ، وذلك غير موجود ، ولو سلّم وجوده فهو مفتقر إلى أمر آخر ، وهو ملاحظة هذه الجهة في دليل التنزيل عموماً أو خصوصاً ، ثمّ لو سلّمنا أنّه عم لغة وعرفاً ، فلا نسلّم حرمة أُم هذا العم ، لأنَّ أُمَّ العم إنَّما تحرم لا من حيث كونها أُم عم ، لأنَّ ذلك ليس له في

الأدلة الشّرعية عين ولا أثر بل تحرم من حيث انَّ أُم العم تارة تكون أُماً له لأنَّها أم أبيه ، فيشملها ما دل على تحريم نكاح الأُمهات ، وأُخرى من حيث أنَّها منكوحة الأب كما لو كانت أم هذا العم غير أم أبيه فيشملها ما تضمن النَّهي عن نكاح منكوحة الأب ، وكلاهما لا يستلزم تحريم أُم العم في مورد السؤال على تقدير كونه عماً لغة وشرعاً .

ألا ترى أنَّ التنزيل ثابت في الرّضاع شرعاً ومع ذلك لم يطبقه الفقهاء على العناوين الثابتة بواسطة الملازمات وما ذلك الا لعدم عموم دليل التنزيل ، وبالأحرى لعدم ثبوت التنزيل بالنِّسبة لتلك العناوين .

مثلاً : لو أرضعت الجدّة ـ أعني أم الأب ابن ابنها لم تحرم أُم هذا المرتضع على أبيه مع أنها أصبحت أُخت ولده وذلك لأنَّ أُخت الولد إنَّما تحرم على أب الولد إذا كانت بنتاً له نسباً أو رضاعاً . وأما إذا لم تكن كذلك فلا ، لعدم الدَّليل على الحرمة . ولذا لم يقل الفقهاء بحرمة أُمّ ولده عليه في الفرض مع أنَّها أُخت ولد جدته بالرضاعة الذي هو ولد له بالنَّسب ، وإنَّما تحرم أُم الولد المرتضع على أبيه النَّسبي لو أرضعته جدته لأُمه للقاعدة المتصيدة من النصوص المعروفة بقولهم (لا ينكح أبو المرتضع في أولاد صاحب اللَّبن) .

ونظير الفرع الآنف ما لو أرضعت الزوجة أُختها أو أخاها ، فإنّها لا تحرم أيضاًمع أنَّها أصبحت أُختاًلأخت أولأخ ولدهامنه .

فوائد تتعلَّق بالبحث الآنف وتطَّرد في غيره
وربما ينتفع بها بعض القراء

الأولى : إنَّ الدّليل إذا تضمن حكماً لموضوع اقتصرنا فيه عليه ، وليس لنا إلحاق موضوع آخر به إلا إذا اتحدت العلّة ، كما لو كانت منصوصة وكان النَّص جامعاً لشرائط الحجية ، وكما لو كانت مستنبطة وكانت قطعية .

الثانية : إذا نزَّل الشارع أحد الموضوعات منزلة موضوع آخر فقد أعطاه أحكامه الشَّرعية كلاّ أو بعضاً حسبما يستفاد من دليل التنزيل عموماً وخصوصاً ، فلو قال الرِّضاع لحمة كلحمة النَّسب ، والفقاع خمرة استصغرها الناس ، والمقيم

بمكة عشرة أيام بمنزلة أهلها ، ويا عليّ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي ، ثبت للولد الرّضاعي حكم الولد النّسبي ، وللفقاع حكم الخمر ، وللمقيم حكم المستوطن ، وللوصي ما كان للنبي (ص) ، و لكن لما علمنا أنّ الميراث مختص بالنّسب والسّبب والولاء ، عرفنا تخصيص التنزيل في الرضاع بما عداه ، ولما عرفنا أنّ النبوة منتفية بعد النبي عرفنا أنّها منتفية عن عليٍّ .

ولتوضيح الحال نقول : إنّما يحمل تنزيل الفقاع منزلة الخمر في قول الشارع : الفقاع خمرة استصغرها الناس على التنزيل بلحاظ الحكم ، لتعذر كونه منها تكويناً بداهة كون الفقاع ليس خمراً ، فلا بد من كونه منها تشريعاً وادعاءً بلحاظ الحكم ، لأنّه هو الذي تناله يد التشريع .

ثم إنّ التنزيل المذكور مختص بالأحكام الأولية الثابتة للشّيء بعنوانه الأولي لظهور الدّليل في ذلك ، فلو كان للخمر حكم ثانوي كما لو كانت منذورة ، أو منقلبة خلاً ، لم يشمله دليل التنزيل لأنّ التنزيل عبارة عن إعطاء أحكام موضوع لموضوع آخر ، فإذا أردنا إعطاء ، أحكام ذلك الموضوع الثانوية ، كان من باب إعطائه أحكام موضوعين طوليين ، وهو ممتنع وكان الأمر أشد إشكالاً لأن القيود تعدِّد الموضوع الواحد ، وإذا كانت من الإنقسامات الآحقة للوجود كانت مترتبة ترتباً طولياً .

الثالثة : ذكرتم أنه لم يتعرض للفرع في الجواهر ، ولم تجدوا به نصاً في الوسائل ، وهو تنبيه حسن ، ولكنّ الفحص في الكتابين المذكورين لا يوجب اليأس عن وجود الدّليل ، فهو ليس فحصاً معذراً في مقام الفتيا .

الرابعة : قلتم الأصل في النكاح الحرمة ، ولعلّكم تريدون أصالة الإحتياط في الفروج الّتي أرسلها بعض الفقهاء في مبحث صيغة النكاح ، ونحن لا نعرف مأخذاً من كتاب أو سنة أو إجماع لأصالة حرمة النِّكاح ولا لأصالة الإحتياط فيه ، بل الأمر بالعكس لقوله تعالى في سورة النساء ـ آية ٢٤ : ﴿ وأحلّ لكم ما وراء ذلك ﴾ ولقوله (ع) في رواية مسعدة : (والجارية تكون تحتك ولعلّها أُختك من الرّضاعة) الخ . والإحتياط في الشّريعة مندوب إليه في الدِّماء والفروج والأموال بل وسائر الأحكام . ولكن ماذا نصنع اذا تعذر الإحتياط ؟ كما لو دار الأمر بين المحذورين ، وكما لو عقد في الفرض ملتفتاً وجاء ، منها أولاد فهل نحكم بلزوم

المفارقة ، وبانتفاء النسب والتوارث والتبعيض خلاف الإحتياط القطعي ، ولكنّه مرتبة منه .

الخامسة : وهي مهمة لأبتلاء كثير من أهل الفضل بها :

إنَّ رأي المجتهد حتّى المفضول حجة في باب الخصومة حتّى على الفاضل ، وأما في الفتيا فرأيه حجة بالنسبة لنفسه بلا ريب ، وأما بالنسبة لغيره فحجيته مبنية على جواز تقليد المفضول ، مطلقاً أو في غير مورد المخالفة .

فلو كان المفضول لا يرى تعين تقليد الأعلم ، وأراد العامي أن يعمل بفتواه جاز له أن يفتيه لأنه بين حكم الله تعالى الذي يعذر من عمل به بمقتضى اجتهاده .

وأما اذا كان يرى تعين تقليد الأعلم ، وكان لا يعتقد بأعلمية نفسه لم يكن له ذلك ، لأنه إغراء بالعمل بما لا تبرأ ذمته بالعمل به ، نعم في مورد الموافقة لا يضر ، لأنَّ التقليد طريقي .

ويحسن ممن يرى تعين تقليد الأعلم إرشاد العوام في هذه الحال .

والمراد من الأعلم العالم المتخصص بهذا الفن المنصرف بكلّه إليه الذي يشهد له العلماء بالتفوق لا من اذا ادعى الإجتهاد المطلق لم يقبل منه ، فإنَّ الفقه بحر واسع ومن لم يعطه وقته كلّه أضاع شطراً من الشَّريعة إذا جلس على منصّة الفتيا ، ولا سيّما إذا كان عجولاً وقطاعاً ، عصمنا الله من الزَّلل ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم .

وقد أجابنا بكتاب مسهب ألصقناه بنفسه على الصَّفحات الآتية .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وله الحمد والمجد

والصَّلاة والسَّلام على محمد وآله الطّاهرين وعلى أمير المؤمنين وعلى ضجيعيه وجاريه ورحمة الله وبركاته العلامة المفضال الشيخ محمد تقي الفقيه دام تأييده . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : جائني كتابكم الكريم فشكرت لكم المساهمة والمعاونة ، ورأيت أنَّ في كلامكم مواقع للنظر رأيت تنبيهكم إليها للغاية الّتي بعثتكم والحقيقة الّتي

دفعتكم ، وما التوفيق إلا بالله .

الموقع الأول : إنَّ قولكم أسباب تحريم النكاح منحصرة في النسب والرضاع والمصاهرة إلى قولكم وليس تزويج الأم منها ، فيه : أنَّه قول لا دخل له ولا ربط بما نحن فيه فإنَّ موضع الشبهة من أم العم تنزيلية يلحقها ما يلحق الأم النسبية من الحرمة أم لا ، فينحصر الجواب ببيان أنها ليست بأم تنزيلية وينتهي الكلام .

الموقع الثاني : قولكم : إنَّ زوج الأم عم فهو غير ثابت شرعاً الخ فيه : أنَّه إنَّما قلنا ذلك تقريباً لجهة الشبهة وتوجيهاً للإشكال في ذلك بأمور تقريبية لم ندَّع ثبوتها شرعاً حتى تقولوا بعدم الثبوت ، وتضربوا لذلك الأمثال ، فإنَّ الأمر لا يحتاج إلى هذا التَّطويل والإطالة بأمور معلومة .

الموقع الثالث : إنَّ قولكم في إصالة الإحتياط في الفروج بأنكم لا تعرفون له مأخذاً صحيحاً من كتاب أو سنة أو إجماع ، فيه أنه يدل عليه من الكتاب والسنة كلّما يدل على اعتبار العلم وعدم الإكتفاء بغيره ، مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ ، وقوله : و﴿ اجتنبوا كثيراً من الظَّنِّ ﴾ ومثل ما جاء في السنة من قوله : ﴿ الوقوف عند الشّبهات أولى من الإقتحام في الهلكات ، وأخوك دينك فاحتط لدينك ، والإحتياط طريق النّجاة ، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث العامة وكلمات العلماء ، وخصَّت الفروج بشدَّة الإحتياط الا العمل بالعلم وترك ما عداه ، ووقوف عند الشبهة ، وترك ما يريب إلى ما لا يريب ، ولا يجدي في المقام التمسك بالعموم ﴿ وأُحلَّ لكم ما وراء ذلكم ﴾ وأمثالها ، فإنَّها من الأدلة الَّتي لا يصح التَّمسك بها بعد استفراغ الوسع في البحث عن المخصّص أو المقيد الا في الشّبهات الحكمية الَّتي يرجع إليها في مقام الكشف عنها عند الإشتباه بها .

أما في الشّبهات الموضوعية الَّتي منها ما نحن فيه فإنَّه إنما يرجع عندها إلى الخصائص والمميزات ، فإن فقدت كان المرجع الأصل العملي ، وهو هنا الإحتياط ، والشواهد على ذلك كثيرة : ألا ترى ما قاله أمير المؤمنين عليٌّ (ع) وقد سئل عن شاة نزا عليها كلب ، فأولدها ولداً لم يعلم هل هو شاة أو كلب ، فأمر عليه السلام بالرجوع إلى الخصائص والمميزات ، أمر أن ينظر في شربه ، فإن

كـان يعبّ كما تعبّ الشـاة فهو شـاة ، وإن كـان يلغ كـما يلغ الكلب فهـو كلـب .

فقال السائل : يفعل هذا ويفعل هذا .

فأمر أن ينظر في أكله فإن كان يأكل اللَّحم فهو كلب ، وإن كان يأكل العلف فهو شاة .

فقال السائل : يفعل هذا ويفعل هذا . فأمر أن ينظر في مشيه ، فإن كان يتقدَّم الماشية أو يمشي في وسطها فهو شاة ، وإن كان يتأخر عنها فهو كلب .

فقال السائل : يفعل هذا ويفعل هذا .

فأمر بأن يذبح ، فإن كان له كرش فهو شاة وإن كان له مصران فهو كلب .

فترى أنَّه لم يرجعه إلى عموم الكتاب والسنة باعتبار أنَّ الشبهة فيه موضوعية ، والمرجع في مثلها إلى المميزات ، فإنَّ فقدت فالمرجع الأصل العملي كما إذا اشتبه المائع مثلاً في كونه خمراً أو خلاً ، ولم يكن هناك ما يميزه ، فإنَّ المرجع إلى الأصل بالإتفاق .

والغرض من هذا أنَّه اذا اشتبه الموضوع في كونه من المحلّل أو من المحرّم كما في مسألتنا هذه إذ اشتبهت أُمّ العم في كونها من نوع الأُمهات التنزيلية فتحرم أم من غيرها فتحل ، فالمرجع إلى المخصِّصات والمميزات الَّتي تميزها فإن فقدت فالمرجع الأصلي العملي المتبع في مقام الشك أما الرجوع إلى الآية فإنَّه أجنبي عن المسألة[1] .

الموقع الرابع : قولكم إنَّه لو دار الأمر بين المحذورينِ ما تصنع الخ . . . وفيه : إنك تريد أن تلزمني بأمر لا يلزمني خاصة بل يعم كلّ من يقول بالإحتياط في موارد الإحتياط مثلاً ما تصنع فيها لو استفتيت في رجل نظر الى امرأة وشك في كونها امرأته أو امرأة جاره فأمرته بالوقوف عنها حتى تتبين فخالف وواقعها فولدت منه واستمر الإنتباه فالذي تصنعه أنت هناك نصنعه نحن هنا[2] .

هذا على حين اني أنا ما أفتيت بعدم الجواز ، وإنَّما أرشدت إلى الإحتياط ، تخلصاً من الفتوى فماذا تنكر ، ولقد رأيت الأعاظم يتهرَّبون من الفتيا ، فماذا

١ ـ أم العم معروفة والشك وإنما هو في صحة الزواج منها وعدمه .

٢ ـ هذا ليس من الدوران بين المحذورين .

عليَّ لو عملت عملهم .

حدثني أحد اساتذتي وأظنه حجة الإسلام الشيخ محمد رضا آل ياسين رحمه الله عن الاستاذ الأعظم آية الله الميرزا الشّيرازي أنه بينما كان معه المرحوم حجة الإسلام السيد حسن الصَّدر بمشيان ، قال له الصّدر ما مضمونه :

إنَّ رسالتكم العملية فيها احتياطات كثيرة وأنا اعرف فتاويكم في هذه المسألة ، فإئذنوا لي بإآخراج هذه الفتاوى في رسالة باسمكم .

قال : وكان واقفاً فجلس إلى الأرض وقال له : ما تقوللي منهوء الضاربني علي علباي تعـال بين فتـواك خل النـاس يحتاطـو وإن طريقتي عـلى ذلك مهـما أمكن وبالله التّوفيق .

الموقع الخامس : إنَّ رأي المجتهد المفضول الخ . . . فإنَّ فيه : أنَّ رأي المجتهد المفضول كما يجوز له أن يبينّ رأيه حيث لا يرى تعينّ تقليد الأعلم ، كذلك يجوز له أن يبينّ رأيه حيث يرى تقليد الأعلم ، ولم يكنٍ للأعلم فتوى في المسألة الّتي احتاج إليها المقلّد ، ولا يمكنه الحصول عليها منه فإنّه يتعينً على المقلّد الرّجوع للمجتهد المفضول ، ويجوز للمجتهد المفضول بيان فتواه كما هو مبينٌ في محلّه .

وأما قولكم : ومن الغريب الخ . . إنَّ الغرائب كثيرة والذي علينا الحمل على الأحسن مهما أمكن وإصلاح أنفسنا والتّضرع إلى الله سبحانه بأن يعيننا على إصلاح غيرنا إنّه أرحم الرّاحمين ، ودمتم موفقين . . .

الأقل حبيب المهاجر

(٣) ثلاث شبهات

من منروفيا ١٨ ذق ١٣٨١ هـ الموافق ٢٢ نيسان ١٩٦٢ م من السيد عاطف العلي اللبناني الشقراوي .

أ ـ لماذا تبقى المجوهرات والذَّهب والأموال مجمدة في مقامات الأئمة عليهم الصَّلاة والسّلام ؟

ب ـ ولماذا لا يوجد جميعة علمية جعفرية يتفرّع منها الأمر والعلم والإجابة وإدارة الأوقاف ؟

ج ـ ولماذا يساوم علماؤ نا على المتوجب عليه دفع الحقوق مثلاً كشخص عليه حقوق بالغة ألف ليرة يأمره العالم بدفعها فيذهب للآخر فيخفض له المبلغ إلى أقل من ذلك ، فيطمع بالثالث فيجد منه أقل أيضاً ؛ أو إنَّ العالم الأول الذي طلب الألف ليرة يرجع فيتنازل إلى قيمة أقل مما وجب عليه شرعاً دفعه ؟

الجواب عن السؤال الأول :

إنَّ هذ الأموال وقفها أهلها لتبقى في المشاهد كما هي ، فيجب إبقاؤ ها عملاً بشرط الواقف لقوله (ص) : « الوقوف على ما يقفها أهلها » .

ولأنَّ النَّبيَّ (ص) عندما فتح مكة المكرمة ترك ما فيها من أموال مع حاجة المسلمين في ذلك الوقت لمثله ولأنه إذا جاز مخالفة المالكين فيما وقفوه جاز سلب أموالهم مباشرة وذلك محرَّم شرعاً وعقلاً .

ولأنَّ الإحتفاظ بالآثار رمز إلى شرف الأمة وعظمة مجدها التاريخي ، فهل يحسن من العلماء تضييع هذا التّراث أو التّلاعب بهذا المجد ، ولماذا لا يوجه هذا

السُّؤال إلى عقلاء الدّول الذين يحتفظون بمتاحفهم بما هو أعظم مما عندنا مع حاجة دولهم وبلادهم إلى مثله ومع أن بعضهم يستدين من بعض بالربا .

الجواب عن السؤال الثاني :

إنَّ العلماء أعزهم الله تعالى متفقون على نظام واحد وهو نظام الإسلام الصَّحيح المتلقى عن النّبي (ص) بواسطة الأئمة (ع) والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم يتلقون ذلك طبقة عن طبقة بتحفظ وإتقان إلى زماننا هذا وهو نظام كامل شامل يؤلِّف منهم وحدة متماسكة الحلق تعمل دائبة بإخلاص ولا يزال المذهب يتوسع قرناً فقرناً ، وجيلاً فجيلاً مع أنه ليس له دولة تساعده ولا سلطة تسانده ، بل هو مطارد غالباً من أكثر الدّول والمنظَّمات لأنَّه لا يقر الظّلم ولا يصبر على الأثرة ولأنَّه يعلن ثورته الصّاخبة على المفاسد والرّذائل .

والعلماء في شرق الأرض وغربها وسهلها وحزنها يعملون لغاية واحدة وإن اختلف الطّريق وإذا فاتهم النَّجاح لم يفتهم شرف الغاية ونزاهة القصد وإذا خالف أحدهم الآخر حمله على الصِّحة وأعانه ودافع عنه وسدَّده وأرشده بقدر الوسع .

وكل واحد من العلماء رقيب على الآخر من أجل ذلك تكثر الملاحظات ويحسبها الجاهل خصومات ومنابذات .

ألا وإنَّ أُمة لا تتمثَّل بواحد بعينه جديرة بالحياة والخلود لأنَّه لا يمكن القضاء عليها إلا بالقضاء على قادتها في أقطار الدنيا ، وأنّى لأعداء الدِّين بذلك وقد شغل الله بعضهم ببعض .

أما المنظَّمات والأحزاب الَّتي تتمثل بشخص واحد فإنَّ القضاء عليها يكون بالقضاء على ذلك الشخص وقد شاهدنا ذلك في عصرنا في النازية والفاشستية وغيرهما وسنشاهده في سائر المنظَّمات إذا مدَّ الله في أعمارنا ، وكلّ آتٍ قريب ،

الجواب عن السؤال الثالث :

العالم المجتهد الورع لا يساوم على الحقوق ولا يقف على أبواب أهل المال

نعم هم يأتون إليه وقد يرى من المصلحة الدينية المساهلة معه .

وأما المرتزقة الذين يعملون هذا العمل فهم لصوص يريدون التعيّش ، وأُوصيكم بالتّسليم لمن تعتقدون باجتهاده ، وورعه ، وعقله ، فإنّه يدلكم على الخير ، ويرشدكم الى سبيل النّجاة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٧ ذي الحجة ١٣٨١ هـ

(٤)

وردنا كتاب من العلامة السيد هاشم معروف يوم الإثنين ٢ ع ١ / ١٣٨١ هـ ، يقول في أوله هذا السؤال موجه اليكم ، وهذا نصّ السؤال :

١ ـ لو فرض أنَّ المقر قصد بإقراره إنشآء التّمليك وأقبض المقر له العين التي أقر بها ، فهل هناك ما يمنع من اعتبار ذلك من قسم الهبة لذي الرَّحم ، بعد أن كان المفروض عدم اشتراط لفظ خاص في الهبة وكفاية كلّ ما يدل على التّمليك فيها ، وقد أنشأ المقر بلفظ الإقرار ، وأقبض العين لرحمه .

الجواب بعد البسملة : إنّه لا مانع من اعتبار ذلك من قسم الهبة ، إذا كان يقصدها وللتوضيح نقول : العقود تتألف من أمرين : قصد وإنشاء ، فلو أنشأ بلا قصد ، أو قصد بلا إنشاء لم يكن عقداً ؛ وعلى هذا فمجرد الرَّغبة في إيجاد مضمون عقد من العقود لا يكفي في حصوله ما لم يقصد نفس العنوان بالإنشاء .

والعقود الجائزة كما ذكرتم ، يصح إنشاؤ ها بكلٍّ ما دلَّ عليها من قول أو فعل حتّى ولو كان مجازاً بعيداً أو كان عنواناً لعقد أو إيقاع آخر .

وعلى هذا فمن أراد أن يوصي لولده أو زوجته أو جهة من جهات البرّ ، ثم مات قبل أن ينشىء ذلك بالقول أو بالكتابة الّتي تدلّ على ذلك ، كان ذلك إرادة وصيّه لا وصيّة .

ومن أراد أن يهبهم أو يملّكهم بعوض ويبرىء ذمَّتهم فأقرَّ بملكيتهم قاصداً الإخبار عن كونه ملكاً لهم ليصير لهم دون سائر الورثة كان ذلك إقراراً بالملكية

كاذباً ، وكان ذلك إرادة تمليك وليس تمليكاً مجانياً ، لأنه لم يقصد الإنشاء بذلك الإقرار .

ولا ريب أنَّه لو علم أنَّ إقراره لا ينفع في الوصول لما أراده لعدل إلى الهبة أو عدل إلى البيع والإبراء ، ولكنَّه لم يفعل فيكون ذلك كلّه إرادة تمليك لا تمليك . ولو أقبض والحال هذه ظناً منه أنَّه صار ملكاً لهم لم ينفع في صيرورته لهم ، لأنَّه لم يقصد بالإقباض إنشاء التَّمليك ، وإنَّما قصد به ترتيب أثر ما وقع ظناً منه أنَّه وقع ، والله المسدِّد .

(٥) سؤال من ليبيريا

وردنا كتاب من ليبيريا بتوقيع الحاج محمد ناصر أبو غازي وهو من مغتربي بلدتنا حاريص بتاريخ ١٢ / ٨ / ١٩٦٥ م . يتضمن سؤالاً يتضح من الجواب .

صورة الجواب مقتطعاً من الرّسالة التي أجبناه بها بتاريخ ٢٤ / ٨ / ١٩٦٥ الموافق ٢٦ / ع ٢ / ١٣٨٥ هـ :

ثم من خصوص المبلغ الذي هو ثلاثماية وستون دولاراً ، الذي قدَّمه أصحابه لمشروع الشيخ محمد عياد ، مشروطاً بأن يكون بيد الحاج محمد مرجي ! ، الذي بدوره رفض قبوله ، ومنع من مساعدة المشروع المذكور به ، إن كان من الحقوق فولايته للحاكم الشَّرعي ، وهو يتصرَّف فيه بنظره في المصالح العامة أو الخاصّة ، وإن كان من باب التبرع فهو ملك لأصحابه ، لذلك يمكنكم مراجعتهم ، فمن رغب في استرجاعه فله ذلك ، ومن رغب في صرفه في جهة خاصة فالرّجاء أن يذكرها ، والسّلام عليكم وعليهم ورحمة الله وبركاته .

(٦) مسائل من كوتا ـ نيجيريا من ابن خالنا الشيخ حسين محمود سليمان

١ ـ إنَّ العبيد في أفريقيا إسلام ونصارى ونحن نستخدمهم ، فهل يجب معرفة دين الخادم أو لا ؟ وهذا السؤُال من جهة الطَّهارة والنَّجاسة .

ج ـ إذا غسل العبد الذي لم تعتقد بإسلامه الآنية أو الثَّوب وكانا نجسين

حكم ببقائها على النجاسة ، ومن اجل ذلك ينبغي لكم معرفة دين الخادم ، أما إذا تسلَّم شيئاً طاهراً ولم يكن معلوم الإسلام فإنه يحكم ببقاء ما تسلمه على الطَّهارة .

٢ ـ هل يجب التَّحقيق مع المرأة بخصوص المتعة هل هي مسلمة أم لا ؟ وهل يكفي إخبارها عن نفسها أنها غير متزوجة ؟ وإذا كانت تحمل طفلاً وقالت إنه ليس لها بل إلى أقاربها أو جيرانها ، هل يقتنع الشاب بذلك ؟

ج ـ يجوز عقد المتعة على الكتابية ، ومن أجل ذلك لا يجب الإهتمام في كونها مسلمة أو مسيحية أو يهودية ، كما أنه يكفي إخبارها عن نفسها بأنها خلية ، أعني ليس لها زوج ، وحمل الطفل لا يدل على أنها ذات بعل أو في عدة ، أو غير ذلك مما يمنع من جواز العقد عليها .

(٦)

مولانا حجة الإسلام العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه أدام الله ظله .

أولاً : ما رأيكم في نفقة الأقارب ، هل تقضي أم لا إذا فاتت ؟

ثانياً : حكم الحاكم الشَّرعي في النفقة هل يجعلها ديناً على المنفق ؟

ثالثاً : إذا ارتفعت حضانة الأم ودخل الأولاد في ولاية الأب بإذن من الحاكم الشَّرعي ، ثم رجع الأولاد إلى والدتهم وأنفقت عليهم مدَّة من الزَّمن دون الرِّجوع إلى الحاكم الشَّرعي ، فهل يحق لها مطالبة الولي بالنفقة أم يعتبر الإنفاق منها عليهم تبرعاً ، أم تعتبر من نفقة الأقارب الَّتي لا تقضى .

بسم الله الرحمن الرحيم

نفقة الأقارب لا تقضى بخلاف نفقة الزوجة ، وحكم الحاكم لا يستوجب القضاء الا اذا امتنع المحكوم عليه ، أو كان غائباً ، وإذن الحاكم بالإستندانة على المحكوم عليه ، وإنفاق الأم على بنيها إن كان بإذن الحاكم وجب القضاء ، والا فلا ، والله سبحانه هو المسدِّد .

حرر في ٢١ شعبان ١٣٩١ هـ

س ١ : هل يصح عقد المتعة على امرأة مطلقة أو أرملة لا يعرف هل تزوجت أم لا وقد سألها : هل أنت متزوجة ، فقالت : لا ، إنٍي لست متزوّجة ، وهل عليه ذنب إذا ظهر خلاف ذلك فيما بعد ، ويكون عرقه نجسا ام لا ؟ وهل إذا كانت من أهل الكتاب ، وقالت بأن ليس لي زوج ، فهل يؤخذ بكلامها ويصح عقدها أم لا ؟

الجواب : إذا علم بخروجها من عدَّتها ، وادعت أنَّها خليّة ، قبلت دعواها وصح العقد ، وإذا تبيَّن كذبها ، كان الوطء من قبل الزّوج وطئاً شرعياً ، لأنه وطء شبهة ، وكان عرقه طاهراً ، ولحقه الولد ، وأما المرأة فإن كانت متعمّدة ، كان عرقها نجساً ولم يلحق بها الولد شرعاً ، وأما الكتابية ففي جواز نكاحها متعة أو دواماً أقوال ، أظهرها الجواز مطلقاً على كراهة ، بل لا يترك الإحتياط بترك النكاح الدّائم مع التمكن من زواج المسلمة ، والله العالم .

س ٢ : هل يصح عقد المتعة على باكرة دون إذن وليّها ويستمتع بها دون أن يفض بكارتها أم لا ؟

الجواب : لا ريب أنَّ الإستئذان أحوط ، وفي المسألة أقوال للعلماء رضوان الله عليهم ، ويمكنكم الرّجوع لمن له أهلية الفتوى من العلماء الأحياء .

س٣ ـ هل يجوز لشخص أن يكون وكيلاً عن امرأة يريد التمتع بها وعن نفسه سواء كانت باكرة أم غير باكرة ، مسلمة أو كتابية أو لا ؟ .

الجواب : يجوز للشخص الواحد أن يتولّى طرفي العقد ، وتوقف بعضهم في جواز تولِّي الزوج طرفي العقد أصالة عن نفسه ووكالة عن الزَّوجة لرواية مجملة أو مسوقة لبيان غير هذا الفرض ، والأقوى ما عليه المعظم ،ولا فرق بين الباكر والثيِّب ، ولا بين المسلمة والكتابية ولا بين عقد الزواج وسائر العقود .

س ٤ : هل يجوز عقد المتعة على زانية مطلّقة أو أرملة دون استبرائها مع العلم بأنَّها لا تعتد ، بعد ذلك ، وهل فيه إثم عليَّ إذا لم تعتد ، ويكون عرقي نجساً ، وإذا كانت الزانية كتابية فهل يصح عقدها أم لا ؟

الجواب : المشهور الجواز مسلمة كانت أو كتابيـة ، استبرأت أم لم تستبرىء ، لقوله (ع): « لا حرمة لماء الزاني » وذهب شاذ إآلى وجوب الإستبراء

إذا لم يستبن الحمل ، وهو الأحوط ، وذهب آخر إلى وجوب العدّة في هذا الحال ، والأقوى ما عليه المشهور والله العالم .

س ٥: إذا كانت امرأة لا تعرف أن تقرأ صيغة العقد، ولم يوجد ثالث لكي يكون وكيلاً عنها ، فهل يجوز أخذ الوكالة عنها ، ويصح العقد سواء كانت باكرة أم غير باكرة ؟

الجواب : نعم : يجوز ، وقد أوضحنا ذلك في الجواب من السؤال الثالث ، وفي ذيل جواب السؤال الثاني فارجع إليه أيضاً .

س ٦ : هل يصح عقد المتعة على الكتابية ؟ وهل يعتبر إذن الولي في الباكرة منهم أم لا ؟

الجواب : يعرف جواب هذا السؤال من جواب السؤال الأول والثاني . ولا فرق في اعتبار إذن الولي بناءً على اعتباره بين المسلم وغيره .

س ٧ هل يعتبر المسيحيات واليهوديات والمجوسيات من أهل الكتاب في زماننا هذا ؟

الجواب : اليهود والنصارى من أهل الكتاب ، وهم في هذا الزمان معاهدون ، والظاهر أنه لا فرق بين المعاهد والذمي وفي المجوس إشكال والأحوط الترك .

س ٨ : هل يصح عقد المتعة على زانية لم تتزوج بعد بدون إذن وليّها ، ودون أن تعتد مع علمي بأنها لا تعتد ؟ فهل يكون عليَّ إثم إذا لم تعتد ويكون عرقي نجساً ؟ وهل يصح الدخول بها إذا رضيت بذلك وما حكم أهل الكتاب في هذا المسألة ؟

الجواب : يجري عليها حكم الباكر ، وبقية السؤال يؤخذ جوابه مما تقدم .

في ١٥ محرم ١٣٩٣ هـ

اذا عقد على امرأة فادعى آخر سبق زوجيته لها وفيه : قاعدتان : إحداهما : تتعلق بالإقرار وثانيهما : تتعلق بحجية لوازم الخبرين المتعارضين

مسألة : اذا عقد على امرأة ، فادعى آخر سبق زوجيتها له ، فعن جمع م

الأصحاب ، أنه لو لم يكن له بينة لم تسمع دعواه وقيل : تسمع .

وعلى كلٍّ حال ، فلوا ادعاها ، وأقام البينة حكم له بها ، ولا ينبغي الإشكال في ذلك ، وتكون زوجته حتى يثبت خروجها من عهدته بفسخ أو طلاق .

وأما إذا عجز عن البينة ، فالتحقيق أن ههنا صوراً :

أولها : لو وافقته على ما ادعاه لم يقبل منها ، لا لظهور الإجماع ، ولا لظهور النَّص ، ولا لأنَّه من الإقرار بحق الغير ، لأنك ستعرف أنَّ ذلك كله غير واضح ، بل لأنَّه من الإنكار بعد الإقرار .

والوجه في ذلك : أنَّها بموافقتها على إجراء العقد المذكور ، تكون قد أقرت عملياً بأنها خلية ، وبأنها ليس لها زوج سابق ، ولا سيما اذا سئلت عن ذلك قبل العقد ، وأجابت بأنها خلية ، فإنَّ إقرارها يكون إقراراً قولياً ، ولا ريب أنَّ الإقرار حجة ، سواء كان إقراراً قولياً أو فعلياً أو كتبياً ، لصدق الإقرار وإطلاق الدَّليل ، وحينئذ تكون موافقتها على زوجية مدعي الزّوجية قبل العقد إنكاراً للإقرار المذكور .

ومن المعلوم أنَّ الإنكار بعد الإقرار لا يقبل ، ولا أثر له ، لأنَّ قوله (ص) : إقرار العقلاء على أنفسهم جائز ، له دلالتان : إحداهما مطابقية ، وثانيهما : التزامية .

أما الدِّلالة المطابقية فهي دلالته على نفوذ ما تضمنه الإقرار في حق المقر العاقل المختار .

وأما الدِّلالة الإلتزامية ، فهي دلالته على عدم نفوذ ما ينافي الدلالة المطابقية بالضَّرورة ، والالزم التَّدافع في كلام الحكيم ، وهذا التقريب الواضح يغنينا عن طلب الدَّليل ، فإنَّ دليل نفوذ الإقرار ، هو بعينه دليل عدم نفوذ الإنكار .

ثم إنَّه : هل يلزم المدَّعي بالمهر والنفقة والقسم ، وتحرم عليه الرابعة ويكون لها نصيب في تركته ؟

لا ريب أنَّ مقتضى القاعدة هو ذلك ، أخذاً له بإقراره ، حتى لو حكم الحاكم بالعدم على تأمل في هذه الصّورة .

وهل تلزم هي بعد موافقتها له بما لا ينافي حقوق الزوج الذي عقد عليها ، لأنَّ ما هو إنكار من بعد الإقرار لا ينفذ، أما لوازمه الَّتي لا تنافي إقرارها ، فمقتضى القاعدة بقاؤ ها ، لأنَّ سقوط إحدى الدِّلالتين لدليل لا يستلزم سقوط لوازمها في الحجية ، لأنَّ كلامها حينئذ ينحل إلى إنكار وإقرار ، وفيه : إنَّ السقوط لو كان لمعارضة دليل أو مزاحمته ، اقتصر فيه على مورد المزاحمة ؛ نظير تعارض الخبرين المتعارضين ، فانه اذا كان سقوطهما بالتعارض يرفع حجيتهما على وجه يكون خروجهما عن ادلة حجية الخبر تخصيصا او تخصصا ، لا يكونان حجة بالنسبة لنفي الثالث واما اذا كان سقوطهما من جهة المعارضة مع بقائهما على الحجية ، فانهما يكونان حجة بالنسبة لنفي الثالث ، ولا يبعد أن يكون المستفاد من الادلة عدم جعل حجية المرجوح وعدم جعل الحجية مع التكافؤ ، نعم : لو قلنا بالتخيير ، كان المتعين الثاني ، وهو الأصح .

ثانيها : لو لم توافق ، وحُلِّفت ، فلا كلام ، لانتفاء الزوجية ، عند من يقول بأنَّها لا تسمع ، وعند من يقول بأنَّها تسمع وتحلف .

ثالثها : لو أنكرت ونكلت عن اليمين ، أوردت اليمين ، وهي محلّ كلام .

قيل : إنَّ الدَّعوى حينئذ لا تسمع ، أو لا يحلف ، لأنَّ اليمين إنَّما تتوجه على المنكر إذا كان ، بحيث لو اعترف لزمه الحق ، وهنا ، لو أقرَّت المرأة بما ادعاه ، لم يثبت مدعاه ، لأنَّه إقرار في حقِّ الغير حسب الفرض ، ولعدم نفوذه ، لأنَّه في الحقيقة إنكار بعد الإقرار .

حكم الزوج العاجز عن النفقة

مسألة : إذا عجز الزَّوج عن النفقة ، فهل تتسلَّط الزَّوجة على فسخ النِّكاح أو لا ؟ وهل يجبره الحاكم أو يجبر وليّه على الطَّلاق ، أو لا ؟ وهل يتولَّى الحاكم ذلك بنفسه مع تعذر الإجبار ، أو لا ؟

الجواب :

عجز الزَّوج عن النفقة ، لا يوجب تسلط الزوجة على فسخ النكاح ، ولا يبيح للحاكم إجبار الزَّوج على الطَّلاق ، ولا تسلّطه عليه ، بعد تعذر إجبار

الزَّوج أو وليّه وبالجملة : الطّلاق حق من حقوق الزوج ، في هذا الفرض وغيره ، لأطلاق الحديث المشهور ، (الطّلاق بيد من أخذ بالساق) .

وأما النفقة ، فهي حق ثابت للزَّوجة في ذمة زوجها ، وعند إعساره تكون ديناً ، وقد أمر الله سبحانه بإنظار المدين المعسر بقوله سبحانه : ﴿ وإن كان ذو عسرة ، فنظرة إلى ميسرة ﴾ .

نعم : إذا توقفت معيشتها على اكتسابها لنفسها بنفسها ، وتوقف ذلك على خروجها من منزلها بدون أُذنه ، جاز لها الخروج ، لأنَّ إطاعتها له حينئذ فيها عسر وحرجٍ ، ووجوب الإطاعة الحرجي مرفوع بقوله سبحانه : ﴿ ما جعل عليكم في الدِّين من حرج ﴾ . وبحديث نفي الضَّرر والضرار ولشاذ من العلماء قول بإجبار الزَّوجِ على الطَّلاق أو إجبار وليّه ، فإن تعذَّر ذلك تولاه الحاكمِ الشَّرعي بنفسه ، ولكنَّه قول شاذ مهجور عند السَّلف الصَّالح ، والله وليّ التَّوفيق .

سلخ شوال ١٣٩٢ هـ .

تفصيل هذه المسألة فيما يأتي :

لم يحك الخلاف في عدم تسلّط الزوجة، على فسخ العقد، أو أجبار الزوج أو وليه على طلاقها ، أو تولّي الحاكم طلاقها بنفسه ، مع امتناعه ، وتعذر الإجبار إذا تجدَّد عجز الزوج عن النفقة بعد العقد ، الا عن أبي عليٍّ بن الجنيد . وعن صاحب المدارك أنَّه ذكر الرِّوايتين اللَّتين يمكن جعلهما مدركاً له قائلاً : والعمل بهما متعين ، وتبعهما السيد في ملحقات العروة وتبعه السيد الحكيم في آخر أيامه ، والمظنون أنَّه لم يراجع غير ملحقات العروة .

وقد حرّرت هذه المسألة في الجواهر ص ١٣٣ ، وفي الحدائق ١٤٦ ، وفي ملحقات العروة ص ٧١ ـ واختار صاحب الجواهر مذهب المشهور ، ومثله في الحدائق بعد الجمع بين الروايتين اللّتين سنذكرهما ، ورواية السّكوني بحملها على القادر ، الممتنع عن الإنفاق ، واختار هذا المذهب السيد أبو الحسن في وسيلته .

وعن العلامة في المختلف والشَّهيد في المسالك التوقف في المسألة .

ومقتضى الأصل والعمومات لزوم العقد ، وعدم تسلّطها على الفسخ ،

وعدم تسلّط الحاكم الشَّرعي عليه ، أو على الطَّلاق لأصالة اللّزوم ، ولاستصحاب الزّوجية ، ولإطلاق قوله (ص) : الطَّلاق بيد من أخذ بالسّاق ، ولظهور رواية السّكوني في ذلك .

ومقتضى صحيح أبي بصير ، وصحيح الفضيل ، وربعي بدواً هو ما اختاره ابن الجنيد وفيه : أنّهما موهونان بالإعراض العظيم ؛ مضافاً إلى إمكان حملهما على رواية السّكوني المنجبرة بالعمل في الجملة ، فإنا لا نعرف خلافاً في هذه المسألة ، الا ما يحكى عن إبن الجنيد ، ومخالفاته معروفة ، وكان استاذنا الفقيه الشيخ عبد الرسول الجواهري يقول :

إنَّ ابن الجنيد ألف كتابه للعلم لا للعمل ، ولإظهار إآحاطته بالنّصوص ، ويؤيد ذلك أنَّه ما من فتوى خالف فيها المشهور ، الا وله رواية ، ولو ضعيفة على وفق مذهبه ، وكان يقول : إنَّ رميه بكونه عامياً تارة ، ويكونه حشوياً ، يعمل بكل رواية في غير محله .

وأما لزوم الحرج والعسر والضَّرر ، فإنَّهما لا يستوجبان ذلك بالضَّرورة ، والا لأسسنا فقهاً جديداً . مضافاً إلى أنَّهما ترفعان الأحكام الإيجابية الالزامية إذا لزم منها الضَّرر والحرج ، ولو أُريد النقض والإبرام لقيل بسقوط النفقة عن الزوج لما فيه من التكليف بغير المقدور ، فضلاً عن العسر والحرج ، ولزوم الضَّرر عليها بذلك ، وإن استلزم كونه خلاف المنة ، الا أنه متدارك ببقائه ديناً في ذمته ، ينظر فيه من عسره الى يسره ، كسائر المدينين .

مضافاً إلى ما حقّقناه في كتابنا (قواعد الفقيه) من عدم شمول دليل نفي الحرج والضّرر للمحرَّمات والا للزم التَّرخيص بالزنا مع كون العفَّة فيها حرج أو ضرر ، ونظائر هذا النقض كثيرة .

والتحقيق : ما قلناه في صدر المسألة من أنَّ النفقة حق ثابت ، وأنَّه ينظر وأنها تكتسب لمعاشها إن لم يوجد من يعينها ، والا فمن بيت المال ، والا فمن سائر المسلمين ، نعم يجوز لها الخروج بدون إذنه ، لأنَّ وجوب الإطاعة في هذا الحال فيه عسر وحرج ، أو ضرر في بعض الحالات .

وأما بالنِّسبة للأمر الجنسي ، فإنَّها امرأة مبتلاة ، ويجب عليها الصَّبر ، كما

حجر وطين
يجب على كلٍّ إنسان وإنسانة ، لا يجدان إلى الحلال سبيلاً ،

ولو فتحنا هذا الباب ، للزم الهرج والمرج ، فما أكثر ما يوجد من الأزواج الذين لا يلبّون رغبة الزَّوجات ، إما لإنصارف نفسي ، وإما لضعف جنسي ، وفي ذلك على الزّوجة ما فيه من العسر والحرج ، ولا سيما في هذا الزّمان الفاسد ، الذي انفتح فيه باب الإباحية ، حتى اهمل ذوو اليسار حلائلهم ؛ فاضطررن غير العفيفات منهنَّ للخيانة حسبما يشاع ويذاع .

وما أكثر ما يصعب على زوجات التجار ، وأهل الأعمال الَّذين يسافرون ، وتطول أسفارهم ، أو يعودون أياماً يسيرة في السنة ، ومثلهنَّ زوجات الجنود والمساجين ، والهاربين ، وما أشبه ذلك .

جملة من المسائل : المتعلقة بنفقة المجنون والإنفاق عنه وبزوجته[1]

س ١ : متى ترتفع النفقة عن أولاد المجنون ؟ وهل لهم سنّ محدّد ؟ وهل هناك فرق بين الذكر والأُنثى ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب : تجب نفقة الأقارب ما داموا عاجزين ، فلو ملكوا مؤنة يوم واحد ، لم يجب لهم النفقة في ذلك اليوم ، ووجبت فيما عداه ، ولا فرق بين الذكر والانثى ، ولا بين الصَّغير والكبير ، ولا بين المجنون والعاقل ، ويجب على الأب أن ينفق على أبنائه بلا ريب ، وإذا كان مجنوناً وله مال تولّى ذلك الحاكم الشَّرعي ، ويجب على الأبناء أن ينفقوا على أبيهم ، وإن كانوا إناثاً على المشهور المدعى عليه الإجماع .

س ٢ : هل يجب على الوالد أن ينفق على زوجة ولده ، عاقلاً كان أم مجنوناً ؟

الجواب : لا يجب على الوالد أن ينفق على زوجة ولده ، عاقلاً كان أو

(١) هذه المسائل وجهها إلينا المرحوم الشيخ عبد الله شرارة ، الذي كان له بناية في الشياح ، وكان مبتلى بهذه الأمور ، ولم يكن له الا ولد مجنون لـ بنت واحدة عاقلة .

مجنوناً . نعم ، إذا كان المجنون بحاجة الى الخدمة ، وكانت هي الّتي تقوم بها ، وكانت غير متبّرعة ، ثبت لها أُجرة مثل من يخدم مثله ؛ كما أنّها إذا طلبت أُجرة على خدمة أولادها منه كان لها ذلك .

س ٣ : إذا كان المنفق وزوجته عاجزين ، وكان والداه بحاجة ماسة إلى الإستعانة بولدهما المختل وبأولاده وكان المختل وأولاده قادرين على ذلك ، وكان ذلك يتناسب وشأنهم ، وكانت زوجة الولد تمنع زوجها وبنيه من الإتصال بهما وعن إعانتهما ، فهل يجوز للجد المنفق الإمتناع عن الإنفاق في هذا الحال ؟

الجواب : إذا كان المختل وأولاده قادرين على معاونة الأبوين ، وكانت هذه المعاونة تستحق هذه الأجرة كانوا قادرين على الإكتساب ، ووجب ذلك عليهم إن كانوا مكلّفين ، ووجب على وليّهم أن يأمرهم بذلك ، أو يجبرهم إذا كانوا قاصرين ، وإذا امتنعوا أجبرهم الحاكم ، فإذا لم يتمكن من إجبارهم ، جاز للمنفق الإمتناع عن تقديم النفقة قبل وقتها لكونهم قادرين عليها بقدرتهم على الإكتساب . نعم ، إذا صار وقت الطّعام مثلاً وكانوا في حاجة له ، ولم يبق مجال للإكتساب وجب بذله لهم وإن كانوا مقصّرين في الإكتساب لا قاصرين .

س ٤ : هل يجوز لولي المجنون أن يطلّق زوجة المجنون مع وجود المصلحة في ذلك ، ومع عدم وجود مال للمجنون للإنفاق عليها ؟ أم يرجع أمرها للحاكم الشّرعي ؟

الجواب : نعم يجوز لولي المجنون أن يطلّق زوجته مع وجود المصلحة سواءً اتصل الجنون بصغره أو انفصل عنه .

بماذا تثبت دعوى الإسلام

لا ريب في قبول دعوى الكتابي وغيره ممن ينتحل غير الإسلام ، أنّه أسلم وانتحل الاسلام ، لتوفر الأدلة الشرعية على ذلك ، فنحن نأخذ باقراره بالإسلام ، وبإخباره عن نفسه بأنّه أسلم ، عملاً بالنّصوص الكثيرة ، ومنها : ظواهر الكتاب العزيز كقوله سبحانه : ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلم لست مسلماً ﴾ ، ونحوه على تأمل فعلاً .

ولعلّ الحكمة في قبول دعواه بلا قيد ولا شرط ، الحرص على انتشار الإسلام وعلى حقن الدماء وصيانة الأعراض والأموال بوجه عام ، فإنّ من أقرّ بالشهادتين حقن ماله ودمه ، ولا ريب أنّ خطره حينئذ على الإسلام أقلّ من خطر الخارج عن الإسلام المعلن بعدائه له .

ولولا ظهور الأدلة وكثرتها ، لاشترطنا في قبول إسلام من ادعى الإسلام مضافاً إلى الإقرار بالشّهادتين باللّسان العمل بالأركان ، ولأمرناه بالإختتان فوراً ، وبمزاولة الطّقوس الإسلامية ، من الطّهارة والصّلاة وغسل الجنابة وغيرها ، وأما اذا كانت غايته شهوانية ، كاستحلال الزواج من المسلمات ولم يمارس الطّقوس الإسلامية ، فقبول إسلامه في غاية الإشكال ، لأنّ الإقرار هنا ـ وإن كان إقراراً ـ إلا أنّه إنّما ينفّذ مع العلم أو الظّن أو احتمال مطابقته للواقع ، أما مع العلم العادي بالعدم ، أو مع قيام القرائن العمليّة على العدم ، فغير بعيد أن تكون الأدلة منصرفة عنه ، وغير شاملة له ، والله العالم .

في الشياخ صبح الأحد ٢٨ شعبان ١٣٨٩ هـ
واصل مسوداته مع سابقه في حاريص

الإرتداد وأحكامه

وردني سؤال من رجل اسمه حسين عبود ، وعنوانه بيروت ، وزارة الزراعة ، قرب قصر العدل ، شارع سامي الصّلح ، يتعلّق بهذا الموضوع (الإرتداد) سنة ١٩٦٩ م .

صورة الجواب عن الإستفتاء ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

لا تقبل دعوى الإرتداد المتمحضة للتخلّص من الزوجية ، كما هو الحال في هذه الأيام ، اذا كانت مجردة عما يرتكبه المرتدون عادة من الأقوال والأفعال الدّالة على الإرتداد ، كالبراءة من النبي (ص) ، والإستهانة به ، وبالقرآن الكريم وبسائر المقدّسات الإسلامية ، لأنّ هذه الدّعوى حينئذ ليست إقراراً من مدّعيها على نفسه ، بل هي له لا عليه ، مضافاً إلى أنّ الإقرار طريق عقلائي ، يثبت به

المقرّ به بنظر العقلاء ، والشارع أقرّهم على ذلك ، ولكنَّ العقلاء لا يفهمون من هذا الإقرار بعد ملاحظة الظروف والملابسات ، إلا الإحتيال والتلاعب .

نعم ، إذا فعلت المرتدة ما يفعله المرتدون ، وادعت الإرتداد ، يحكم بارتدادها ، ويكون هذا الحكم مبتنداً إلى إقرارها المحفوف بقرائن تساعده وتسانده وأما عودتها إلى الإسلام بعد الردة ، فلا تثبت أنَّ ارتدادها كان صورياً ، وإن حصل الظّن بذلك ، لأنَّ مثل هذا الظَّنّ لا دليل على حجيته شرعاً .

وعلى أثر هذا السؤال ، الفنا رسالة في الإرتداد وأحكامه : وهي ما يلي :

الإرتداد قبل الدخول

لا ريب أنَّ ارتداد أحد الزوجين أو كلاهما قبل الدخول ، موجب لانفساخ العقد ، سواء أكان ذلك عن فطرة أم ملّة ، وقد حكى عليه الإجماع في **الرّياض والحدائق والجواهر** ، وحكاه فيها عن **التذكرة** ، معلّلا بعدم جواز نكاح الكافرة ابتداء ، ثم نقلوا وجوهاً أو أقوالاً في ثبوت تمام المهر ، أو نصفه ، أو عدم ثبوته من رأس ، وقد ادعى في **الحدائق** أنه لم يجد نصاً بالنسبة للمهر ، وهو كذلك فيما تتبعناه .

ومقتضى القاعدة أنه : اذا كان الإرتداد موجباً لانفساخ العقد من أصله ، فلا مهر ، وإن كان الحكم بعدم نفوذ الزَّوجية من حين الإرتداد ، فمقتضاه ثبوت المهر كاملاً ، وأما التّنصيف فلا وجه له الا القياس على الطَّلاق قبل الدّخول ، وهو كما ترى ، وقيل : بالتَّفصيل بين كونها هي المرتدَّة ، فلا مهر لها لأنَّها أتلفته بارتدادها وبين كونه هو المرتد فيثبت بارتداده ، ودعوى إتلافها للمهر بارتدادها مصادرة ، فإنه هو المتنازع فيه ، وعمدة الأدلة على انفساخه بالإرتداد هو الإجماع ، وظاهر تعبيرهم بالإنفساخ هو الإنفساخ من حينه ، ولكن اختلافهم في المهر ينافيه .

الإرتداد بعد الدخول

وأما الإرتداد بعد الدخول ، فلا ريب في كون ارتداد الزّوج موجباً لبينونة الزوجة ، وفي أنه اذا كان عن فطرة تعتد منه عدّة الوفاة ، للنص الصحيح الصريح .

وأما إذا كان عن ملَّة ، فالظاهر أنَّها تعتد منه عدّة الطَّلاق ، ودليل بينونتها منه أُمور :

منها : ظهور الإجماع .

ومنها : عدم جواز نكاح الكافر للمسلمة ابتداء ، فبعد الإرتداد يكون أولى ، لأنَّ عقوبات المرتد تدل على أنَّ كفره الإرتدادي أعظم من كفره الإبتدائي ، وهو كما تراه .

وأما ارتداد الزَّوجة بعد الدّخول ، فالظاهر تسليم بينونتها به ، وينبغي أن تكونْ عدَّتها حينئذ ، عدة الطَّلاق ، ويمكن الإستد لال على بينونتها بالإرتداد بأُمور :

منها : ظهور الإجماع .

ومنها : ظهور النَّص الدال على لزوم حبسها مؤبداً ، فإنَّ الحبس المؤبد يمنعها من الإستمتاع بزوجها ، ويمنع زوجها من الإستمتاع بها ، وهذا في قوَّة البينونة ، والتضييق عليها في الملبس والمأكل في قوة سقوط حقوقها الزّوجية ، والعمدة الإجماع المنقول المتلقى بالقبول ، فإنَّ قبوله شهادة عملية به ، ويقويه ـ مضافاً إلى ذلك ـ خلو المسألة عن المدرك ؛ ويوهنه تعليله في التذكرة كما حكي عنها بعدم جواز نكاح الكافرة ابتداء .

هذا ولكنّ الظاهر منهم عدم ابتناء هذه المسألة على تلك المسألة ، فإنَّ ظاهرهم الإتفاق هنا مع أنَّهم اختلفوا في جواز نكاح الكتابية على أقوال ستة تكاد تكون متكافئة .

ثم إنَّ أخبار المسألة ذكرت في الوسائل في الجزء الثاني عشر ص ٥٤٩ وفي الجزء السادس عشر ص ٤١٠ والمذكور هنا هو الأخبار المتعلِّقة في جواز نكاح الكتابية ، ومقتضى الجمع العرفي بينها هو الجواز على كراهية تختلف شدّة باختلاف الموارد الَّتي تضمَّنتها النصوص ، فالتفصيلات في النَّص محمولة على مراتب الكراهة .

حرر في حاريص ١٠ /٩/ ١٩٦٩ م الموافق ٢٥ ج ٢ / ١٣٨٩ هـ

أحكام المرتدة

والمعروف أنَّ ارتداد الزَّوجة عن الإسلام يوجب بينونتها من زوجها ، وأنَّها تعتد منه عدة الطَّلاق ، وأنَّها اذا رجعت إلى الاسلام قبل اكتمال عدَّتها فهي لزوجها ، وأنَّها تعاقب في حال ارتدادها بالحبس ما دامت مرتدَّة حتى تموت ، وبالضَّرب أوقات الصَّلاة ، وبعدم السماح لها بغير اللبس الخشن ، وبالتضييق عليها في المطعم .

بيان ما يثبت به الإرتداد

يثبت الإرتداد بالبينة ، وهو وإن كان عملاً نفسياً يصعب الإطلاع عليه ، الا أنَّه له مظهر خارجي ، محسوس ، يدل عليه ، فهو نظير الشجاعة والكرم والعدالة ، ولا ريب أنَّ هذه الصِّفات تثبت بالبينة ، اذا شهدت الشهود بها أو بما يستوجبها .

ألا ترى أنَّ الإنسان إذا فعل ما يفعله الشجعان سمي شجاعاً ، وإذا فعل ما يفعله الأجواد سمي كريماً ، وإذا سار بسيرة أهل التقوى والصَّلاح سمّي عادلاً ، وأمكن أن يشهد له الشّهود بعد ذلك بالشجاعة والكرم والعدالة .

وكذلك الإرتداد ، فإنَّ الإنسان إذا قال بمقالة أهل الكفر والإلحاد ، عن قصد واختيار ، وأظهر الردة قولاً وعملاً ، فاستباح من حرمة الإسلام ما يستبيحه منه من لا يعتقد فيه ، فتبرأ من النَّبي (ص) واستهان بكرامته ، واستخف بالقرآن ، وبسائر المقدّسات الإسلامية ، وبالواجبات والمحرّمات ، والسّنن والآداب ، كان مرتداً ، وأمكن أن يشهد عليه الشّهود بالإرتداد .

ثم أنَّ الشاهد إذا أجمل في شهادته ، أو احتمل خطؤه في مستنده ، طلب الحاكم منه الإيضاح والبيان ؛ لأنَّ المشهود به يستتبع الحد ، والحدود تدرأ بالشّبهات ، ومن المحتمل أن يكون إقرار المقر بالإرتداد صادراً عن غضب أو إكراه ، أو خديعة أو شبهة ، كما لو عمل المقر عملاً ظنَّ أنَّه به يصير مرتداً ، وقد روى أنَّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين (ع) وقال له : طهرني ، وأقر بالزنا ، فجعل عليه السلام يستوضح منه الحال بمثل قوله : لعلك قبَّلت ، لعلك لم

تدخلٍ ، إلى أن أقر باللَّفظ الصَّريح الدّال على العمل القبيح ، وهذا حكم يطّرد في كلّ ما يستوجب الحد الا ما خرجَ بالدَّليل ، ولا دليل هنا على خروج هذا المورد ، وإن حكي عن الجواهر أنّه حاول إخراجه عن قاعدة درء الحدود بالشّبهات .

ويثبت الإرتداد أيضاً بالإقرار ، اذا كان الإقرار به عن قصد واختيار ، وكان موجباً لثبوت حقٍّ على المقر نفسه ، ويجب أن يكون إقراره مبيَّناً لا إجمال فيه ؛ لأن الإقرار به يستتبع الحد ، والحدود تدرأ بالشبهات ، فإذا أقرت المرأة بالإرتداد ، وكان يمكن تطبيق عقوبات المرتدة عليها ، كلًا أو بعضاً ، فلا ريب في ثبوت ارتدادها بإقرارها حينئذ .

وأما إذا كانت دعوى الإرتداد مجردة عن المظهر لها من الأفعال والأقوال الدّالة على الرّدة ، وكانت متمحضة لغاية يعود نفعها للمقر لا عليه ، كما هو الحال بالنسبة لإقرار الزَّوجة في هذه الأيام به ، لتتخلّص من زوجها ، فإنَّ نفوذ مثل هذا الإقرار في غاية الإشكال ، لأنّه حينئذ يكون من باب الإقرار في حقّ الغير لا في حقّ نفس المقر ، والإقرار في حقّ الغير لا يقبل ، ولا يسمى إقراراً ونظيره ما لو أودعت الانتساب لدين غير الإسلام طمعاً بالحصول على وظيفة أو ما أشبه ذلك .

ومما ينبغي الإلتفات إليه ، أنَّ الإقرار طريق عقلاني لثبوت المقر به على المقر ، وأنَّ الإسلام أقر ذلك ، وجعل قول العاقل حجة على نفسه لا على غيره ، بقوله (ص) : إقرار العقلاء على أنفسهم جائز ، أي نافذ ، ولا ريب أنَّ العقلاء لا يفهمون من الإقرار بالإرتداد إذا كان مجرداً عن القول والفعل الدالين عليه . وكان متمحضاً لغاية يعود نفعها للمقر لا عليه ، الا الإحتيال ، ومن أجل ذلك يشكل الإعتماد عليه ، ويتعينَّ العمل باستصحاب بقاء الزوجية ، إلى أن يحصل اليقين بالإرتداد .

حاريص ـ قضاء بنت جبيل

٢٦ / ج ٢ / ١٣٨٩ هـ / الموافق

١٠ ايلول ١٩٦٩ م

من بيروت في ٣ شوال سنة ١٣٩٣ هـ .

ما قولكم دام فضلكم . . .

اجتمع ثلاثة إخوة ، ودار بينهم حديث بيع وشراء بعضهم أسهم بعض الورثة في عقار يخصهم ، وبينما هم يتناقشون الرأي انتفض أحدهم ، وعمره ٤٥ سنة ، ووقف متحمساً بقوله حانقاً مغضباً وقال لأخيه البالغ من العمر ٤٠ سنة : بعتك جميع ما أملك من أسهم العقار الفلاني بقيمة كذا ، فأجابه على الفور أخوه : قبلت البيع لنفسي بالقيمة المذكورة ، وكان أخوهما الثالث الذي هو من أهل العلم شاهداً عليهما ، فهل مثل هذا البيع ، ومثل هذا القبول وشاهد عالم عدل واحد صحيحاً ، وجائزاً ، وكافياً ولازماً ، أم لا ؟ أفتونا مأجورين ، والله يحفظكم للدّين وأهله .

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا أنشأ البيع المذكور قاصداً به النقل والإنتقال ، على النَّحو المتعارف ، فهو صحيح لازم . وأما إذا أنشأه لا بهذا الدّاعى بل بداع آخر ، أو كان قد بلغ الغضب منه مبلغاً أفقده رشده ، فإنّه حينئذ يكون لاغياً والله المسدِّد .

١٥ شوال ١٣٩٣ هـ .

وردنا سؤال من المعتمد الحاج علي خليل أيده الله تعالى[1] من سيراليون

---

١ ـ الحاج علي خليل بن محمد الحاج قاسم خليل من بلدتنا حاريص ، وله معنا قرابتان
الاولى : ان جدّته زمزم الفقيه دريمة عبد الله الفقيه ، التي هي عمّة جدّي لوالدي المرحوم علي أبو إبراهيم بن محمد عبد الله الفقيه ، وقد توفي اخوها محمد شاباً فتولت هي تربية ولديه علي بن أبو إبراهيم وأخيه الحاج حسن بن أبو إبراهيم وقد عرفا باسم أبيهما ووقتهما .

والثانية : قرابة الإيمان ، فإنه منذ نعومة إظفاره ، يصحبنا ويتفقه في دينه ، وله جلد على الدُّعاء والعبادة ، وهو في الوقت نفسه محتشم ، يستقبل الأضياف في منزله ، ويخالط علية القوم ، ويفضل بما يتمكن عليه من البر على المستحقين ويهتم بقضاء حوائج الناس ، وهو معروف بذلك كله .

وهو يحتفظ بهوية جدّته زمزم الفقيه العثمانية التي مضى عليها اكثر من مئة سنة .

حول الوصيّة ، وقد كان الجواب بما يلي :

من خصوص وصية المرحوم ابن خالتكم ، فإن له من ماله الثلث ، فإن رضي الورثة ، وكانوا بالغين ، يصرف جميع ما تركه في وصيّته ، ثم ، اذا لم يف جميع هذا المال بالوصيّة ، فإن كان فيها واجب مالي كالخمس والزكاة ، وردّ المظالم ، وحجّة الإسلام ، قدّم على غيره بلا ريب ، وفي الكفارات ، والنذور المالية ، وجهان ، ولعل الأحوط تقديمها على الواجبات البدنية ، كالصّوم والصّلاة .

فالكفارات والنذور في رتبة ثانية عن الدّين .

ثم إذا كان أوصى بالصّوم والصّلاة مثلاً وأوصى بوصايا تبرعيّة كقوله : اعطوا للعلماء أو الفقراء ، قدمت الواجبات أعني الصوم والصلاة . وكذا لو أوصى بحجٍ مستحب أو بالزيارة ، لأن الواجب اهم ، نعم إذا علم أنه يريد الجيمع ، وأنّه ليس في نظره شيءُ أهمُّ من شيءٍ ، وجب التوزيع على الجميع بنسبته :

فإذا كانت الصلاة تكلّف عشرة ، والصوم خمسة ، والحج إثنين ، والزيارة واحداً ، قسم المبلغ على ١٨ ، ولحق كلٍّ بنسبته .

فلو كان المبلغ تسعة ، لحق الصلاة خمسة ، والصوم إثنان ونصف ، والحج واحد ، والزيارة نصف واحد .

٢٢ / ٥ / ١٩٧٩ م

حجر وطين

من الكتاب الرابع : قصص العلماء

حجر وطين

من سيرة الشيخ مرتضى الأنصاري (ره)

قيل أنه كان له قرين لا يقل عنه نبلاً ، وبعدما ترأس الشيخ ، إجتمع به ، وتذاكرا في هذا الشأن .

فقال له : بما تقدمتني ؟

فأجابه الشيخ الأنصاري : أتذكر يوم كنّا مسافرين لزيارة الإمام الرضا (ع) ، وأملقنا ، وكان يوجد وباء في المكان الذي نزلنا فيه ، ولم يكن معنا إلا ثمن الخبزفرضيت به أنا وحده ، وذهبت أنت للسوق واستدنت جبنا مع أنك في معرض عدم الوفاء ، واحتججت عليّ بأنه مباح ، فأعطاني الله لصبري وفقري ، وحرمك .

وقد مر حديث الإستخارة في إعطاء الطالب الفقير .

وقيل : أن أحدهم إستغاب إنسانا في مجلسه فسكت .

ولما خرج عاتبه بعض الحضور بقوله : لِمَ لَمْ تنهه ؟

فقال : لو نهيته لاستغابه بغيبة أعظم ، ولقال لي : إنه متجاهر بالفسق.

وقيل : إنه سمع طالبين يتذاكران ، فأطال أحدهما الكلام .

فلما وصل قال لأقلهما فهماً : لم سكت ؟ مشيراً الى ان الجاهل بأصول المخاصمة وقواعد العلوم لا ينتهي من الخصومة .

وقيل أنه رأى بعض أهل العلم ، وقد عرض حزامه .

فقال له : يا شيخنا . . العلم ليس بالحزام .

وقيل أن مجنوناً من أهل العلم التقى بالشيخ صاحب الجواهر ، فقال له : اعطني كذافقال الشيخ : أنت مجنون ، ولا يجوز إعطاء المال للمجانين، قال ذلك على

نحو الدعابة ، فقال المجنون :

المجنون يعطى ولا يؤخذ منه ، والحق أن المجنون يحتاج إلى ولي عليه ، لأنه إذا لم يحسن التصرف ، لم تشرع تصرفاته فإذا كان له حق عند أحد من دين وغيره لم يجز له دفعه إليه ، ولو دفعه إليه لم تبرؤ ذمته ، بل يجب عليه دفعه لولي المجنون . كما إنه لا يجوز دفع الزكاة والكفارات وشبهها للمجنون إذا كان من أصناف مستحقيها ، بل تدفع لوليه . ويدفعها للولي تبرَؤ الذمة وإلا فلا ، نعم المالك مسلط على ماله فله وضعه حيث شاء . فله أن يصرفه في المجانين فيقدم لهم الغذاء واللباس وسائر ما ينتفعون به ، بعنوان البر والصدقة .

وقيل : أن جماعة من التجار زاروا الشيخ الأنصاري ، فرأوا بيته لا يصلح ، فترخّصوا منه في شراء دارٍ له ، فرخّصهم ، فاشتروا المحل الذي فيه مسجد التّرك وكان يعرف باسمه سابقاً ، وشرع في بنائه وذهبوا للحجِّ ، فلما رجعوا وجدوا تفصيله ليس تفصيلاً لدار سكن ، فسألوه عن ذلك ، فأجاب : هذه الدار التي لي .

قلت : يبعد أن يفعل ذلك بدون علمهم ، لأنه من التصرف في مالهم على غير الوجه المأذون فيه ، ومرّ سابقاً أن أمه قالت :

لم أرضعه إلا والثدي طاهر ، أو إلا وهي على الطهارة .

وقيل : أنه كان متقشّفاً جداً .

فجاءه بعض المتمولين وبذل له مالاً أيام شبابه فلم يقبل .

فقال له : أنت إما مرائي وإما غني .

فقال : أنا ليس عندي عائلة إلا والدتي ويكفيني هذا القليل .

وحدثني الميرزا محمد باقر الآشتياني : أن جدّه صاحب الحاشية كان من المختصين بالشيخ والملازمين له في خلواته ، وكان الشيخ في آخر عمره قد أصابه الضعف ، فوصف له ماء اللّحم فكان إذا حضر الغذاء يتعارف مع الآشتياني بالغذاء .

فيقول له : أنا لا آكل ماء اللّحم ، بمعنى أنه يطالب بالأفضل منه[1] .

الميراز محمد باقر الاشتياني توفي في سنة ١٤٠٠ هـ ، وهو من العلماء الفضلاء ، وكان يتولى موقوفات مدرسة مروي - في طهران وكان لنا معه علاقة ابتدأت سنة ١٣٦٢ هـ عندما تشرفنا بزيارة مرقد الإمام الرضا (ع) ونزلنا في مدرسة مروي ، وكان معنا إبن المشكيني الشيخ محمد رضا المشكيني .

فقال لي : إذا اردت أن ترى نفسك فانظر الى الميراز محمد باقر فإنه أشبه الناس بك .

وكان والده الميرزا احمد من العارفين وعمر طويلاً ، وكان جده صاحب المؤلفات واهمها :

وقيل أنه كان له صديق من أهل الصّلاح والرياضة ، فاتفق مرة أنه رآه في وادي السّلام ، أو رآه شخص في الوادي ، وقال له :

سلم لي على الشيخ مرتضى ، وقل له : جاء فلان ، فلما أخبره ضرب إحدى يديه على الاخرى وقال :

رحمه الله توفي ، وتبين أنه كذلك ، وأنه توفي في إيران .

وحدّثني السيد الحكيم أو من هو مثله :

أن الميرزا النائيني (ره) كان داخلا لحرم الحسين (ع) للزيارة ، فرأى بعض العلماء الذين شايعوا رضا شاه في أعماله في الرواق فغير طريقه لأنه لم يحب أن يسلم عليهم ، أو لأنه أحب أن يتجاهل مجيئه خوفاً من العتاب .

ولما رجع إلى البيت أمر تلاميذه بالسؤال عن محله ، فاجتهدوا فلم يجدوا له أثراً ، وتعجبوا وتبين بعد ذلك أنه توفي في ذلك اليوم .

وقبل خمس سنوات تقريباً ، أيام الفيضان في العراق المسمّى عند السّواد موحان ، زارني بعض السادة من بيت الشّرع في منزل الحاج جعفر عبد العبّاس بعد العيد ، ثم لما استقر جعل يعتذر مني بأنه رآني في حرم الحسين (ع) يوم العيد أزور وأصلي ، وانتظرني حتى يسلم علي ، وأنه راقب جملة من حركاتي ، ثم انشغل عني طلبني فلم يجدني .

فأنكرت عليه وقلت له : لم ازر ، ثم ظننت أنه يريد مني شيئاً وأنه يتقرب إلي ، بذلك

ثم قلت له : لعلك رأيتني في زيارة نصف شعبان .

فقال : ألم أكن معك في نصف شعبان في طريق الناصرية ؟

حاشيته على الرسائل من خواص تلامذة الشيخ الأنصاري، وكان في كتابه هذا يحيط بنظريات الشيخ ويرجعها الى أصولها بأوضح بيان .

واعتقد أننا تحدثنا عنه في رحلتنا الأولى لزيارة إيران وقد اجتمعنا معه والشيخ مرتضى الآشتياني الذي ولد سنة وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري ، وسمي باسمه لأن والده رأى الشيخ الأنصاري في الطيف فأخبره بأنه سيولد له ولد وأمر بأن يسميه باسمه وقد حدثنا بذلك الميرزا محمد باقر أعلى الله درجته وقال من أجل هذا كلنا نلقب بالميرزا ما عدا عمّي الشيخ مرتضى .

فتذكرت ركوبنا معاً في سيارة واحدة ، وأنه رجل مليٌّ له أرض زراعية ، وتيقنت أنه صادق في مدعاه .

وقد كنت معتادا على زيارة العيد منذ أمد بعيد ، ولم أتمكن منها بسبب الفيضان . وقد عظم ذلك علي ، وزرت من المسجد ، والله علىٰ كل شيءٍ قدير .

وهذا شيء قد يكون من اشتباه الرائي إما لتفكره في شخص الرائي . فتجسِّمه له المخيلة في غيره ، وإما لوجود مشابه له حتى يظن أنه هو وهذا النوع كثيراً ما يقع .

فقد يرى الإنسان رفيقه أو صديقه مقبلاً ، أو مدبراً فيتبعه ، ثم لا يكون هو .

وأما لما يقوله الرياضيون من أن النفوس قد تتجرد أحياناً ، وتتخلص من عالم المادة ، وتفلت من سجن الجسد ، وهي في هذا الحال يستوي عندها البعيد والقريب والماضي والحاضر والمستقبل ، لأن الزمان والمكان من مختصات الزماني والمكاني والمجردات فوق الزمان والمكان .

ومن ثم قد يرى النائم أو المغمى عليه ، أو الذاهل عن نفسه أموراً مستقبلة أو أموراً ماضية خفيَّة ، ثم يتتبعها فيتبين صحتها ، وعندي بحسب التجربة أن هذا حق لا ريب فيه ، ولكنه لا يجب أن يصدق بنحو الكلّية .

ومن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .

ويقول الرياضيون أيضاً : أن عطايا الله سبحانه لا تحدّ ، ولا تخطر كلها على بال أحد ، فقد يعطي شخصاً شيئاً ، ويعطي غيره لغيره .

إن الرياضي عندما يكون فارغ النفس ، بمعنى أنه منقطع العلاقات عن كل شيء ، ومتّصلاً بربه خاصة ، تمر عليه شبه السنة ، فيرى فيها ما يرى ، وهي قد تكون لحظة ، ويرى فيها ما يحتاج الى وقت .

لأن هذه المشاهدة من أعمال الروح في عالمها المجرد عن المادة ، وهي غير محدودة حينئذ بالزمان والمكان ، وبالبعد والقرب ، وبالماضي والحاضر

والمستقبل .

مثلاً رأيت مرة في سلسلة إقرأ أن أطول طيف يراه الإنسان خمس ثواني . فاستنكرت ذلك ، ورميت الكتاب .

ثم بعد سنوات التقيت بأحد الرياضيين ، وبعد أن آنس مني القرب منه ، وتقبل آرائه ، ذكر لي مثل ذلك ، فاستنكرت وقلت :

كيف يمكن أن يعلم ذلك ، فإنه يرى وهو نائم ، فإذا انتبه لا بد وأن يكون قد مضى عليه مدة .

قال : إذا كنت أرقاً ، إستلق على فراشك ، ثم ضع ساعة كبيرة قبالة وجهك ، فبالطبع ، إن عينيك ستهومان ، فاحفظ ما يمرّ عليك من الصور ، ثم التفت الى الساعة ، واعرض مجموع ما مر عليك من الصور على ما مضى من الوقت ، تجد صحة هذه النظرية .

وهم يستدلون بهذا على تجرد الروح ، وعلى أنها بواسطة هذا التجرد تستشرف الماضي والمستقبل سواسية ، غير أنها بواسطة الرذائل ، لن تستطيع التجرد ، وإذا تجردت كانت محدودة لا ترى إلا بنسبة ما تتمتع به من الفضائل .

وهم يعتبرون أن أول أثر للأعمال الصالحة ومخالفة النفس ، هو الأطياف الصادقة .

والثاني : الخطرات الذهنية .

فإنه يخطر في باله أن زيداً يجيئه ، أو يموت يوم كذا ، فيكون ذلك وهذا نظير الأطياف ، قد يكذب .

والثالث : المشاهدة ، وهو أن يكون في حال الإنتباه ، ويرى زيداً يدخل منزله أو ميتاً ، ثم يتنبه فيحفظ ويؤرخ ، ويتضح أن الأمر كما رأى ، وهذا ما سميناه بالتجرد .

والرابع : أن يرى شيئاً مكتوباً فيقرأه ، وأنا أقول : لا حدّ لذلك ولا منتهى ، وإنّ عطاء ربك غير مجذوذ .

ومما اتفق في هذا الشهر ، شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨١ هـ ، أن طفلاً من النعمانية ، بلدة قرب بغداد ، تابعة للواء الكوت ، عمره أحد عشر سنة ، ووالده عامل فقير ، وكان هذا الطفل يعطي في المدرسة نتائج المسائل الحسابية بسرعة .

وبعد أخذ ورد عرض على محطات الإذاعة في ليالي متعددة ، ورجع الى بلده ، وصار الناس يزورونه ليشاهدوا عجائبه ، وتبين بعد ذلك أنه فاشل في أكثر دروسه ، وأنه بارع في الحساب ، وأنه يقول :

أنا لا اعرف القواعد الحسابية ، ولكن عندما توجه إليّ المسألة ، أرى نتيجتها مكتوبة ، فأقرأها .

وهو حديث العراق كله في هذا الشهر المبارك ، شهر رمضان ـ ١٣٨١ هـ الموافق شباط ١٩٦٢ م ـ فاغدقت عليه الحكومة والتجار بالهبات وأصبح والده من الأغنياء وقيل أنه كان يجيب قبل الآلة الحاسبة ، وأنهم غلطوه مرة لأنه خالفها وتبين أن الحق معه بعد إعادة العمل .

من سيرة صاحب الجواهر (ره)

حكى الشيخ عبد الحسين الجواهري ، وهو من أحفاد الشيخ (ره) أن سبب بناء المقبرة المعروفة باسمهم.، والمدفون فيها صاحب الجواهر (ره) : أنه جلس يوماً متفكراً ، فدخل عليه الحاج فلان القندهاري أو الهراتي ـ لا يحضرني اسمه ـ فسأله عن سبب تفكره .

فقال : إن أجله قد اقترب لأن الجواهر كملت ، وامور الدنيا انتظمت ، ولم يبق إلا الموت ، وأنا أفكر في مكان أجعله قبراً لي ، فإن الأجل قريب .

قال : هل ترضى أن يدفن معك أحد ؟

قال : من ؟

قال : أنا .

قال : وحدك ؟

قال : وإبنتي .

قال : لا بأس .

فقال : إشتر النجف واصنع ما شئت على هذا الشرط ، وعليَّ الثمن .

فاشترى مكان المسجد والمقبرة المعروفين فعلاً باسم مقبرة صاحب الجواهر ودفن هذا التاجر وإبنته في صحن دار الجامع في المكان المفروش بالصخر المرمر . . .

سمعت هذا الحديث منه في النجف عصراً في مسجدهم سنة ١٣٦٧ هـ .

وحدثنا أستاذنا القديم السيد حسين الحمامي النجفي الموسوي :

أن صاحب الجواهر استطرق على الشيخ مرتضى الأنصاري ، فراه مستقلاً في الدرس ، فكأنه دخل في نفسه شيء عليه وكان الناس خلفه فسمع وهو يقول :

غلبته ، غلبته ، فسأله بعض تلاميذه .

فقال : عندما رأيت الملا مرتضى على ما هو عليه ، داخلني شيء ، فعلمت أنه من الشيطان ، وقد رضيت ، وغلبت الشيطان .

وحدثنا العلامة السيد محمد سعيد فضل الله الحسني العاملي العيناثي :

أن صاحب الجواهر في أول أمره ، كان يتمنى أن يجد طلاباً يحضرون درسه ، ثم لما رأس ، إتفق أنهم اجتمعوا في يوم ماطر أيام رياسته ، فقال مخاطباً ، ولده المتوفى :

هلم وانظرهم ، وكأنه خصّه بالنداء ، لأنه كان مهتماً في تكثير عددهم .

وحدثنا عمن حدثه ، أنه كان يقول :

الفلاح يكرب الأرض على ثورين ، وأنا قد كتبت الجواهر على تلميذين : كنت أدرسهما وأكتب .

وحدثنا آحاد أن صاحب الجواهر كان يعرض الجواهر على بعض فضلاء عصره ، فكان يشمئز منه ويحقرها ، ويقول له :

أعطها للبقال يلف بها اللبن .

ولما تزعم ، وشاعت بين أهل العلم ، كان يقول :

لو كنت أعلم أنه يكون لها هذا الشأن لجعلتها أجود مما هي عليه ، وأنا إنما كتبتها لنفسي .

وحدثنا غير واحد ، أنه سئل عن المرجع بعده ، وكان مردداً بين الشيخ مرتضى الأنصاري وبين بعض أولاد الشيخ جعفر كاشف الغطاء أو أحفاده ، فعين الشيخ مرتضى .

فقيل له في ذلك .

فقال : إذا قال قائل للملا مرتضى أنا جائع يفهم معنى الجوع .

وكأنه يريد أن يقول أنه عاش أمداً في الفقر ، أو هو مرتاض يعرف ألم الفقير بخلاف الآخرين .

وكان الشيخ الوالد أعلىٰ الله مقامه يعظم الجواهر ، وكان ينقل عن الشيخ علي باقر الجواهري أنه كان يقول :

جدي مرة يكتب كأنه يغمس القلم في دماغه ، ويكتب ، وأخرى يكون على خلاف ذلك .

ولقد رأيت إجازته بالإجتهاد المطلق ، وجواز الرجوع إليه في التقليد على ظهر متاجر الجواهر الخطية .

والإجازة من الشيخ أحمد الإحسائي ، وبعض آل الشيخ جعفر كاشف الغطاء ويوصيه بالتأمل في كلمات السلف .

وكانت هذه النسخة موجودة في مكتبة أستاذنا الشيخ عبد الرسول الجواهري وهي بخط جيد ومصححة بقلم المؤلف .

وحدثنا السيد حسين الحمامي أنه كان منعماً أيام رياسته ، حتى أنه كان يشتري النبات ـ السكر الفضي ـ بالعدل ـ كهس خيش ـ وأنه أبتلى بالانتقاد .

وحدثنا بعضهم أنه أحتاج قواعد العلامة ، فافتقدها ، فلم يجدها ، فتفأل

في القرآن الكريم فجاءت الآية الكريمة : وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ، وكان عنده خادم إسمه إبراهيم فاستدعاه ، وسأله :

هل رأيت كتابا صفته كذا وكذا .

قال : بلى ، هو في المكان الفلاني وأحضره .

والجواهر أفضله ، حسبما أعلم ، متاجره .

من سيرة المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي

يحكى أنَّ الميرزا محمد تقي الشّيرازي اجتمع هو والسيد كاظم اليزدي ، وكلاهما كان رئيساً دينياً فذكرا تقصيرهما في جنب الله تعالى ، وبكيا ، فقالا :

ما الحيلة ؟

فقال الميرزا الشّيرازي : إنّ الميت إذا مات يقول : ﴿ربِّ ارجعوني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ . ونحن بمنزلة من أُذن له في الرجعة ، فلنستأنف العمل .

وحدّثنا الأُستاذ الحكيم مدَّ ظله عن الحجة المقدّس الشيخ باقر القاموسي (ره) :

أنَّ الميرزا جاء من سامراء إلى النّجف زائراً ، فعقدت له جماعة عظيمة ، ثم ذهب إلى مسجد السّهلة و والكوفة ، وخرج معه ثلَّة من عظماء العلماء والعارفين فمما لاحظناه منه أنه على ما معه من حفدة وأعوان وبنين وأحفاد وخدم ، احتاج إلى ماء للدّواة قام إليه بنفسه ولم يكلّف ، وبالطّبع ، إنّهم استبقوا لإحضاره ، وإنه خرج من المسجد في موكبه والناس خلفه ، ولما مشى خطوات وقف وتفقد شيئاً ، فرجع ، ورجع الناس معه وظنوا أنّه يريد العودة ، فتبين بعد ذلك أنّه نسي « الكفية » المنديل الذي يستعمله فتناوله ، وعاد . . .

وحكى عنه بعض ولده أنّه لم يطلب منهم طعاماً قط ، ولا شراباً ، إلى أن يأتوا به إليه أو يعرضوه عليه .

وكان القاموسي يقول : صحبته درس عملي للمتدبرين .

وفي زمان الميرزا الشّيرازي ، قامت الثورة العراقية ضدَّ الإنكليز ، وكان ذلك بعد وفاة المرحوم السيد كاظم اليزدي .

وحكى القاموسي (ره) أنه بعد وفاة الميرزا الشّيرازي الكبير تفرّق تلامذته ، وجلّهم من العظماء وبقي الميرزا محمد تقي في سامراء وشاع اسمه وشاع بين الطّلاب أنَّ السّبب في خروج أعيان أقرانه من سامراء هو الميرزا محمد تقي .

فاتفق أنَّ القاموسي زار مع صديقه العلامة السيد باقر الهندي سامراء في ذلك العهد ، وبعد عودتهما قال السيد باقر :

ذهبت لسامراء وأنا أحمل في نفسي ما أحمل على الميرزا محمد تقي بسبب ما أسمع عنه ، وكنت أتصوّره إنساناً مخيفاً ، وصادف أيام عاشوراء ، وبينما كنت في بعض المجالس إذ قدم شخص،فظهر الإهتمام به من الحضور ، فسلَّم وجلس ، وبعد ذلك فهمت أنه الميرزا محمد تقي وكان وجودي في مجلس هو فيه من أثقل الأشياء عليَّ ، ولم أتمكن من الخروج ، فجعلت أراقب حركاته ، فرأيته يديم الذِّكر ، ولا يلتفت إلى ما حوله ، فكنت أقول في نفسي عنه : ياكبير المدجلين ، إنَّك بهذا لا تخدعني .

ثم رأيت كأنّه لا يتوجه للمقبل ولا للذاهب ، ورأيتهم ينظمون بعض الأمور فرأيته لا يتدخل ، ورأيته يوافق بدون معارضة .

مثلاً أرادوا موكباً فوافق ، وأرادوا الخروج فوافق ، ونحو ذلك . . .

ومن كان يرغب في الإستيلاء على زمام الرِّياسة يتدخل بطبعه في هذه الأمور وغيرها ، فيرجح ويقرّب ويبعّد ويوجّه ، أما الرِّجل فإنّه كان مشغولاً بنفسه ، فقلت حينئذ : إنه مكذوب عليه ، فتبدّل رأيي فيه ، وذكرت هذا للسيد باقر ، فقال :

هو كذلك ، وأنا أعرف هذا منه من قبل .

ومن الغريب أنَّ السيد باقر كان يعرف نفرة القاموسي منه قبل هذا ، ولكنّه لم يبيِّن له ابتداءاً ، ولعلَّه لامه على عدم بيانه له .

وحدثنا الأُستاذ الحكيم مدَّ ظله أنَّ الميرزا محمد تقي باحث مسألة : ﴿ من فاته سجدتان من ركعتين ﴾ . فبقي في تدريسها تسعة أشهر ، وهي من مسائل

الفروع الستينية المعروفة التي أسهبنا فيها في كتابنا الفروع الستينية ، كما أنَّ الأُستاذ نفسه باحثنا مرَّة أوائل البيع من المكاسب ، فتعرَّض فيه لأُمور كثيرة ذكرتها في كتابنا مكاسب الفقيه ، ثم قال :

أطلنا ، ولكنّنا باحثنا نصف الأصول ، وذكر مثل هذا عن الميرزا محمد تقي الشيرازي (ره) في الفرع الانف .

من سيرة المرحوم السيد إسماعيل الصدر

كان السيد إسماعيل الصّدر ممن أُسندت إليهم الفتوى بعد الميرزا الشِّيرازي الكبير في سامراء ، ثم انحطَّ مقامه في الرِّياسة لظهور عدم لياقته العلمية .

فعن الميرزا النائيني (ره) وهو شيخ مشائخنا ، أنّه كان يدعو له ثم ترك ، فسئل عن السَّبب ، فقال :

حضرت عليه صلاة المسافر فأكبرته ثم رأيته في غيرها على خلاف ذلك ، قلت : وأظنه كان يتهرّب من الرِّياسة العامة ، فلم يبذل جهده في الفقه أمام الطلّاب .

وسمعت من والدي قدس الله روحه أنّه حضر درسه ، ورجح له بعضهم أن يطلب اجازة منه . فقال : فرأيت نفسي أقوى منه ، واستحقرت طلب الإجازة من مثله ، وفي عقيدتي أنَّ من يجيد صلاة المسافر ، ويشهد له بإجادة تدريسها المحقق النائيني ، جدير بأن يجيد جملة من معضلات الفقه .

ويقال : إنَّ السيد إسماعيل كان فرداً في عالم الرّياضة ، حتى أنَّ الملاّ حسين قلي زار سامراء فسئل عنها فأجاب :

وجدت فيها إنساناً ونصف إنسان ـ يعني بالإنسان تلميذه الملاّ فتح علي الذي انفصل عن درسه ، ونزح إلى سامراء ، وبالنصف إنسان السيد إسماعيل الصدر ـ.

وقيل : إنَّه كان إذا زار النجف ينزل ضيفاً على بعض طلّاب المدارس ، ويغيّر مكانه ، ويخفي أمره ، ولا يرضى بالحفدة ، ويدل هذا السلوك على تهربه من الرِّياسة .

والرّياسة والمثل العليا لا يجتمعان . والرِّياسة والخلوات بمناجاة الله لا

يجتمعان ، لذلك أقول : نعم ما اختاره ، وإن كان مقام جهاد الرّئيس مقام عظيم ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

وقيل : إنّه دعي إلى دار آل الجواهري ، وهم يجيدون المآدب في ذلك العهد ، فاستكثر ذلك ، فقال له بعضهم :

ليست هذه ماء لحم ، معيراً أياه بطعامه ، فغضب وخرج ، وجرت بينه وبينهم وحشة ، حتى أنّني سمعت من السيد موسى بحر العلوم أنّ بعض مردتهم أساء الأدب معه ، لا أدري في حضوره أو في غيابه ، فانه قام ليلبس حذاءه ، فلم يجده فجعل يقول ما مضمونه :

أين ذهب الصّدر .

ننقل هذا عظة للعاملين ، لعلّهم يصبرون على البلاء والعاقبة للمتقين ، والدنيا فانية ، والآخرة باقية .

حجر وطين

من الكتاب الخامس: مجالس الواعظين

بسم الله الرحمـن الرحـيم

مقدمة

الحمد لله وحده ، والصَّلاة والسَّلام على محمد وآله الطّاهرين . . .

أفضل شيء تشتغل به يراعة الكاتب ، أو تحوم حوله آمال الراغب ، كلمة توصل إلى خير دائم ، أو تفكير في هداية إلى مَثَلٍ أعلى ، وما عدا ذلك فهو تسلية ، والتَّسلية لولا ما فيها من تسكين الآلام ، لكانت العناية بها ضرباً من الخبل ، وكان الإهتمام بشأنها جريمة على المجتمع . لأنَّ إنفاق العمر فيها وفي سبيلها إنفاق له بلا ثمن .

وقلما تجتمع التَّسلية والموعظة النافعة ، المشتملة على الحكمة ، الَّتي جعلها النَّبيِّ محمد (ص) ضالة المؤمن ، والَّتي يعتبرها العقلاء كنزاً ، وذلك لأنَّ من يعيها يصل بها إلى كنوز باقية ، أو يسلِّي بها نفسه عن كنوز فانية ، ويستهدف من ورائها الكنوز الَّتي لن تبيد ، فلا يقع في سجن الكرب والحرمان ، ولا ينفق ثروة العمر ، فيما لا ينفع بل يضر . .

وكثيراً ما تتجاوز التَّسلية الحدَّ الوسط ، فيعقبها ما كان يشكوه قبلها ، فيقع في مثل ما كان فيه أو يكون أشد وأعظم ، كما هو قاعدة رد الفعل . . .

من أجلِ ذلك ، تصبح التَّسلية ضرباً من الخبل ، ويصبح طلبها مضيعة للوقت في النَّظرة الأُولى ، ومضيعة للنَّفس في النهاية . . .

وحديث الصَّالحين والسَّالكين والعارفين يجمع بين التَّسلية والحكمة . . .

وإذا نبا الحديث حيناً ، فقد يقع في مواقعه أحياناً ، وإذا لم ينتفع القارىء

بواحدة منه ، فلربما انتفع بها غيره ، وانتفع هو بغيرها ، وعلى الله قصد السَّبيل . . .

ومما جرى معي يوم الجمعة عشرة شعبان سنة ١٣٨٣ هـ ، أنني عندما أردت الخروج من مدينة العمارة في العراق ، اجتمع آحاد من الوجهاء لو داعي ، وتقدَّم الحاج عريبي ، وهو صاحب الكاراج والسيّارات حسبما أظن ، وأغلق باب السيارة ، فانطبقت على إبهام يدي اليسرى ، فأحسست أنَّها انقطعت ، وكان الطقس بارداً برداً شديداً ، فلففتها بالعباءة ، وصرت اصر على السرعة في السير ، لأُخفي أمري عنهم ، والتفت أحدهم وكان بجانبي وقال :

شيخنا دم . . . دم . . .

فالتفت ، وإذا بالدَّم يقفز من ابهامي قفزاً متقطعاً ، فناولني الحاج عريبي منديلاً من الحرير كان بيده ، فشددته ، وأمرت السائق بالإسراع نحو أقرب مستشفى ، وسيطر عليَّ الوهم حتى أخذني العرق من حيث لا أشعر ، وقد وصلت الى المستشفى ، فناولت أحد الوقوف دينارين لا غير ، وقلت له : يوجد فقراء هنا ، قال : بلى ، فقلت له : فرقهما ربعاً لكلٍّ فقير ، ثم دخلت غرفة التضميد فغسلها بالسبيرتو وبالدَّواء الأحمر ، وضمدها ولم أشعر بالألم ، وقيل لي إنَّ ذلك بسبب خروج الدّم .

ثم لما وصلت بعد المغرب إلى مدينة العزيزية قرب بغداد ، أردت الصلاة والتطهير ، وكنت أخشى إذا حركت الضَّماد أن ينفجر الدَّم ، ولكن لعدم وجود ألم ، فتحت الضماد ، وغسلت يدي برفق ، فلم أشعر بشيءٍ ، ثم جعلت أتأمل موضع الجرح ، فلم أهتد له ، نعم ، كانت حمرة الدَّواء الأحمر قد صبغت إبهامي صبغاً شديداً ، والحمد لله رب العالمين .

دعوة المظلوم

في ١٥ رجب سنة ١٣٨٨ هـ حدثني ابن الخال الشيخ سليمان آل سليمان البياضي أثناء عودتنا من سامراء بمناسبة ما ، أنَّ المرحوم ابن عمه الشيخ مرتضى سليمان جاء من السنغال لزيارة وطنه ، وذهب لزيارة السيدة زينب (ع) وذلك قبل نحو عشرين سنة من هذا التاريخ وكان فلان من أقاربهم معه ، فأخذ عربة

على خيل لزيارة السَّيدة زينب (ع) ذهاباً وإياباً ، وتبيَّن أنَّ صاحب العربة ناصبي ، فسب السيدة زينب بعد عودته لدمشق وهما معه ، فأخذه الغيظ حتى انفجر عزنيه بالدَّم ، لأنَّه لا يستطيع أن يصنع معه شيئاً في دمشق ، ثم التفت إلى صاحب العربة وقال له :

إما أن تريك السيدة زينب اليوم ما تستحق ، وإما أننا نحن لسنا أهلاً لحفظ كرامتنا .

ومضى لسبيله ، وبعد نحو ساعتين ، ذهب إلى ساحة المرجة فبينما هو واقف ، وإذا بصاحب العربة ، فجعل كل منهما ينظر إلى الآخر ، فبينما هما كذلك ، وإذا بسيارة جيش مسرعة أخذت صاحب العربة في طريقها ، فحطمته ، وانفجر رأسه ، وانكسرت رجله ، فدنا منه وقال له : وهو في هذا الحال : هذا جزاء من اعتدى على أهل البيت (ع) ، وبعد لحظات ، مات الرَّجل ، فشفى الله غيظه ، وانتصر لأوليائه .

قصة الحاج إبراهيم عاصي
صاحب مكتبة العرفان

في هذه الساعة من ضحى نهار الأحد ٢٠ شعبان سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٢ / ١١ / ١٩٦٩ م ، ذهبت لتعزية الحاجة أم أكرم عاصي ابنة عم عيالنا أم الرِّضا زوجة المرحوم الحاج إبراهيم عاصي المعروف بالحاج إبراهيم زين صاحب مكتبة العرفان المعروفة في بيروت ، وكان معنا ابن الخال العلامة الشيخ سليمان آل سليمان ، فحدَّثتنا الحاجة أم أكرم بمناسبة جاءت عفواً أنَّ المرحوم الحاج إبراهيم الَّذي مضى عليه مدة طويلة مقعداً بسبب الفالج ، وكان يتمتع برشده وعقله ، وكان في بعض الأوقات يشير بيده مسلماً فتقول له :

ماذا تصنع ؟ فيقول :

أُسلِّم على أئمتي . . . ها هم كلهم عندي ومعهم عزرائيل ، وكان يقول لها : كثيراً ما استغثت بهم وطلبت من عزرائيل ، وهو يرتدي البياض ، أن يقبض روحي ، فيقول : ما عندي إذن وورقتك للآن ما سقطت ، وكان يعدها بالبرو المكافأة إذا عافاه الله تعالى .

وقبل وفاته بأربعة أيام قال لها : الآن سوف تستريحين مني ، إنَّ عزرائيل أخبرني أنه أُذن له ، قال لها هذا ليلا ، فجعلت تمنيه بالسلامة ، وهويصر على ما أخبرها ، فأصبح من الغد ، وقد ارتبط لسانه ، فعلقوا له مصلين ، وعلقوا في أنفه الأوكسجين ، وتكلَّم في اليوم الثالث في الساعة الرابعة بعد الظهر بكلام ، وبعد ساعتين فارقت روحه الدنيا . . رحمة الله تعالى عليه .

ونحوها قصة المرحوم الحاج حسن سويد الحاريصي

وبعد عودتي وشروعي في كتابة هذا الحادث ، دخل عليَّ أبو علي الحاج محمد حسين سويد وخاله الحاج حسن رباعي والحاج علي خليل والحاج حسن بردى والحاج كامل شعيتو والحاج عبد المجيد بردى ، فحكيت لهم القصة ، فقال أبو علي سويد ، واستشهد بالحاج علي خليل : إنَّ عمه التقي المرحوم الشيخ حسن سويد ، كان مريضاً ، وفي يوم وفاته كان في حالة جيدة ، فطلب حضور ولده محمد حسن فاحضر ، ثم أمره بارسال رسول الى بنت جبيل ليحضر إخوته من المدرسة .

فقالوا له في ذلك ، فقال : إنني مفارقهم اليوم ، وعند الظهر ، سألهم : من أرسلتم ؟

قالوا : فلان .

قال : إلى أين يكون قد وصل الآن ؟

قالوا : إلى قرب بلدة الطيرى .

قال : إذن ، لا يلحقوني ، وهكذا كان فإنه توفي عصراً قبل ورودهم .

وأغرب من ذلك ما حدَّثني به الحاج محمد علي دقيق من بلدتنا حاريص أنَّ محمد حسن ابن المرحوم الشيخ حسن سويد لما سمع أباه ينعى نفسه جعل يبكي بكاء شديداً ، فالتفت إليه والده وقال له :

إذا وضعوا أباك في اللِّحد ولقِّن الشَّهادة ، وهز الملقِّن كتفه ، فإن فتح عينيه ، فلا تبكي لأنه يكون من أهل الخير ، وإن لم يفتحها ، فابك بقدر ما تتمكن .

قال الحاج محمد دقيق سمعت هذا فبقي في نفسي ، فلما أرادوا تلقينه تقدّمت ، فرأيته فتح عينه ، وكان المرحوم الشيخ حسن يلقن الموتى الشّهادة ، والظاهر أنه استند في ذلك إلى رواية يرويها عن أهل البيت (ع) .

حكى السيد هاشم السيد محمد من سكان **قلعة سكر**[1] ، وأصله من النَّجف ، ويقول إنّ أصلهم قبل ذلك من بغداد من آل البصام ، فقال : مررت في طريقي إلى القلعة بالحي ، وكان الخطيب المشهور المرحوم الشيخ محمد حسن المعروف بدكسن[2] يقرأ عندهم ، فقال لهم :

إننا مللنا من الوعظ والإرشاد ، وفي هذه الليلة ، عندي قصة جميلة أحب أن أنقلها لكم . . .

قال السيد هاشم : فآثرت المبيت في الحي لأستمع القصة ، فلما صعد المنبر ، قال : ركب أحد التجار في سفينة في البحر ، فانكسرت ، وغرق من فيها ، وكان التاجر من جملتهم ، فألقى ثيابه ، وتعلّق بشيء حتى تقاذفته الأمواج الى جزيرة ، وهو عارٍ جائع خائف ، فجلس على الشاطىء مفكراً ، فبينما هو كذلك ، وإذا بخيل قد أقبلت ، وهم أربعون فارساً ، ومعهم جواد مجنب خالي السرج ، فلما وصلوا اليه سلّموا عليه ، وقدموا له اللّباس ، وأمروه بالركوب ، فركب وساروا به حتى بلغ قصراً أدخلوه إليه ، وألبسوه التاج ، وسلّموا له الملك ، وقالوا لك كل ما تشتهيه ، فتنعم أياماً ثلاثة ، ثم استصفى واحداً من حاشيته ، وسأله عن شأنهم ، فقال :

نحن امراء البلاد ، ولا نتفق على تمليك واحد منا ، لأننا متساوون في الشّرف ، فاتفقنا على تدبير المملكة ، وفي كلّ سنة ، نحضر إلى هذه الجزيرة ، ونتجوّل فيها ، فأول إنسان نراه نجعله ملكاً علينا .

قال الرجل : وما يصنع الملك عندكم ؟

---

١ ـ السيد هاشم توفي سنة ١٤٠٠ هـ وكنت قد وصلته بشيء من المال بواسطة ولدي الشيخ محمد صالح الفقيه والشيخ محمد محسن الفقيه فمات قبل وصوله إليه فأرجعوه .

٢ ـ من الخطباء الحفاظين وكان يتمتع بصوت شجي جدا ، وكان هو القارىء الخاص للشيخ خزعل أمير المحمرة ايام امارته عليها .

قال له : ما يشتهي من الأمر والنّهي والعزل والنصب والتدبير والأكل والشرب والنكاح وسائر الشّهوات إذا كان لا يضر بحال المملكة ، وعلينا الإطاعة ، كل ذلك إلى سنة ، فإذا انتهت تلك السنة ، أخذناه ورميناه في جزيرة كذا .

قال : وما في تلك الجزيرة :

قال : الوحوش والسِّباع والهوام . فجعل الرجل يفكر في مصيره ، فاقترح عليهم أن يهيئوا له البنائين والعمال ، وأن ينقلوا مواد البناء إلى تلك الجزيرة ويحوّلوها إلى مدينة كأحسن ما يكون من المدن ففعلوا ، وفي سنة واحدة قبل انتهاء المدة ، أقبلوا به ووضعوه فيها ، فوجد نفسه قد انتقل من مدينة لأحسن منها ، ومن حياة لأفضل منها .

ثم رجعوا إلى أنفسهم ، وفكروا في شأنه ، ووجدوا منه عدلاً وعقلاً ، فطلبوا منه العودة إليهم واستمراره في الملك إلى أن يوافيه الأجل .

ثم إنه وعظهم فقال : اعلموا أيها الإخوان : أنَّ كلَّ من يولد في هذه الحياة ، يولد عارياً ، ، ولا يملك شيئاً ، ثم يهيأ له السَّرير والفراش الوثير ، وتقدَّم له الخدمات ؛ ولكنَّه بعد أن ينتهي أجله ، ينقل إلى المقابر الموحشة ، فمن قدم العمل الصّالح ، وجده وتنعم فيه وأنتم ، إذا فعلتم لأنفسكم كما فعلت أنا لنفسي ، كانت عاقبتكم بعد الموت إلى خير ، وإن قضيتم حياتكم هذه في الشّهوات ، كان مصيركم مصير من ملك عليكم قبلي .

العارف والشيطان

قيل : إنَّ بلداً من البلاد انتشر فيها الفساد ، وفشى فيها المنكر ، فبلغ ذلك بعض الصّالحين فشد الرِّحال إليها ، ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاعترضه إبليس في بعض الطَّريق بصورة ناصح ومنعه بقوله مثلاً : إنَّهم لا يسمعون ، ولا يقبلون ، وقد نصحهم غيرك ، وإنّني أخشى عليك . . . فأصر العارف الصّالح على ما عزم عليه ، فدافعه الشَّيطان حتى اشتبكا ، فصرع العارفُ الشَّيطان ، فقال له الشيطان :

إنني ناصح لك ، وأنا أقول لك : عندي رأي آخر ، أليست الغاية من

سفرك الطاعة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

قال : بلى .

قال : أنا أُدلّك على كنز تأخذ منه كلَّ يوم كيساً مملوءاً بالدَّراهم ، فتتصدَّق به وتكرم وتحصل على الثواب وتنتفع ، فوافقه ، فكشف له عن مكان وجد فيه الكنز المذكور ، فأخذه وفرقه . . .

ثم تكرر ذلك أياماً وانقطع ، فلما لم يجد العارف المال ، قال : أذهب لتلك القرية ، ويعترضني ذلك الرجل ، فإن أرشدني إلى الكنز ، والا ذهبت للبلد ، فاعترضه الشَّيطان كما اعترضه أولاً ، فتصارعا ، فصرع الشَّيطان العارفَ ، فتعجب العارف من ذلك ، وعرف أنه الشيطان ، وعلم أنه غلبه في المرة الأولى ، لأنه كان مخلصاً ، وغُلب في الثانية لأنَّه لم يكن مخلصاً ، بل ضمَّ إلى قصد الأمر بالمعروف طمع الحصول على المال . . .

حدثنا بهذا السيد محمود الحلو ، وهو عالم في بلدة تقع ، بين لواء الكوت والعمارة .

صبح الإثنين ٧ ع ١ / ١٣٨١ هـ

جاء أحدهم من حج بيت الله الحرام ، فجعل يحدث عن سفره ، من حلِّه ومرتحله ، وكان بعض العارفين يصغي لحديثه ، والمحدِّث مسترسل جذلان ، فقال له العارف :

هل أحرمت من مكان كذا وكذا .

قال : بلى .

فقال العارف : هل نزعت ثيابك ولبست ثوبي الإحرام ؟

قال : بلى .

قال : أحسنت ، ثم قال له :

هل نزعت ثياب الكبر وأردية الزهو وسراويل الرذيلة عندما وقفت في ذلك المكان ؟ هل نزعت اثواب القلب القذرة ، ولبست أثواب الفضيلة ؟

فأطرق الحاج قليلاً واسترجع ، ثم قال العارف :

هل سعيت بين الصَّفا والمروة ؟

فقال الحاج : نعم .

فقال العارف : هل تصوّرت أنَّ جملة من الأنبياء والأوصياء والعارفين سعوا في ذلك المكان ؟ وهل تصورت إقبالهم على ربِّهم سبحانه ، وانقطاعهم إليه ، وهل قارنت بين حالك وحالهم ؟

فاسترجع الرجل .

ثم قال العارف : دعوت بين الركن والمقام ؟

قال : بلى .

فقال : هل تمثّلت رسول الله يدعو .

وهكذا استمر السؤال والجواب ، حتى كان حال هذا الرَّجل في ساعته أفضل من حاله في رحلته ، عصمنا الله من الزلل ، ووفقنا للعلم والعمل .

في يوم الجمعة ٢٦ من شهر ربيع الأول ، سنة ١٣٨٦ هـ كنت في قرية انصارية التابعة إلى قضاء النبطية ، فذهبت لأداء الصَّلاة في المسجد وكان معي جماعة من أهل القرية ، ولما انتهيت من الصَّلاة التفت إليهم قائلاً :

هل أنتم فقراء أم أغنياء ؟ فأجابوا بأنَّ فيهم الفقراء ، وفيهم الأغنياء وتعجبوا من هذا السّؤال ، فقال لهم الحاج حسين هزيمة : انتظروا لنعرف المقصود منه ، قلت لهم : غناكم هذا وقتي أو مؤبد ؟ وفقركم وقتي أو مؤبد ؟ فلم يفهموا ما قلت . فطلبوا توضيح ذلك فقلت لهم

إنَّ غنى المال غنى مؤقت ، لأنه إن لم يخسره صاحبه في حياته ، خسره بعد وفاته ، وحرم منه ، وأنا ، إنَّما سألتكم عن الغنى الدّائم ، وهو العمل الصّالح ، والفقر الدّائم ، وهو الحرمان من أسباب رضوان الله ، ثم التفت إليهم وقلت :

وجهوا هذا السّؤال الى أنفسكم ؛ وأجيبوا عنه ، ثم شرعت في الموعظة باختصار ، وعقبتها بقولي :وجهوا هذا السؤال إلى أنفسكم بين حين وآخر ، فربما

وجدتم الغنيَّ فقيراً والفقير غنيّاً .

المال والبنون والعمل الصالح

كان لرجل عاقل ثلاثة أصدقاء ، يحب أحدهم كما يحب نفسه ، فيفديه بالغالي والرَّخيص ويقاتل للدفاع عنه ، ولأجله ، ويقطع في سبيله المسافات البعيدة والقريبة ، ويحرسه ويسهر عليه في اللّيل ، ويخاف عليه الإصطلام والضّياع .

ويحب الثاني حباً دون ذلك الحب ، فيعطف عليه ويواسيه ويؤازره ، ويعطيه .

ويحب الثالث ولا يعتني به بل يتصل به عرضاً وبالمناسبة ، فاتفق أنه حكم عليه بحكم لا مفرَّ منه ولا مناص ، ولا مهرب ولا خلاص ، وأنبأته المحكمة بأنه إذا فداه أحد الثلاثة أو توسط له ، قبلت شفاعته .

فذهب إلى الأول وأعلمه ، فاعتذر إليه قائلاً : أنت تعلم بأنني لا أستطيع الحركة من مكاني ، ولا يمكنني أن أُغادر عتبة الدّار ، فوجد ما قاله حقاً .

ثم جاء للثاني وأعلمه ، فقال : أستطيع الذَّهاب إلى باب المحكمة ، وأنت تعلم أنني لا أستطيع الدُّخول إليها ، فوجد ما قاله حقاً .

ثم جاء للثالث فقال : أنا رفيقك ، وسأُدافع عنك ما استطعت ، وهكذا كان . . .

فتأسف الرَّجل على التَّهاون به واعتذر إليه ، وندم على ما كان منه اتجاه الصَّديقين الأولين .

أُنظر إلى هذا الحديث ، واعتبر ، فرب حكمة في قصَّة ، إذا أهملها السامع ، تركت في نفسه غصَّة .

المحكمة هي نهاية كلٍّ مخلوق ، فالموت حتم ، والقبر محكمة الله تعالى ، وأما الأصدقاء :

فالصَّديق الأول هو المال .

والثاني الزّوجات والأولاد والآباء والأمهات .

والثالث هو العمل الصّالح .

قصة المجاور البراوي :

حدثني بعضهم ، ولعله الشيخ محمد علي اليعقوبي ، الخطيب التاريخي الماهر قال :

في أوائل هذا القرن ، هاجر رجلٍ من عرب العراق إلى النجف للمجاورة ، وكان يقيم في البادية ، وكان عاقلاً في دينه مجنوناً في دنياه ، فلما وصل النجف متزهداً ، رأى خربة في محلّة العمارة قرب دار المرحوم الشيخ جعفر الكبير ، فاتخذها مقراً ، وأحس به أطفال النجف ، وهم أشرّ الأطفال في المدن ، فجعلوا يؤذونه ، وهو لا يلتفت إليهم ، فكانوا يقذفونه بالحجارة ، ويتبعونه من مكان إلى آخر ، واتفق في يوم من الأيام أنّهم أدموا ساقيه .

فجاء للصحن الشّريف ، وكان فيه مجلس للموعظة ، يحضره الرجال والنِّساء ، كلّ على جانب ، ولا يزال هذا المجلس حتى اليوم ، وكان وعاظه الشيخ حسون والد الشيخ باقر حسون المعاصر ، والشيخ شريف وغيرهم ، وكان الخطباء ، قبل صعود المنبر ، يجتمعون في بعض الأواوين ، فجاء هذا الأعرابي ، وجلس معهم ، وترخص منهم بصعود المنبر ، فظنوه سائلاً يريد الإستجداء ، فأذنوا له مشترطين التخفيف . . .

فلما صعد المنبر ، التفت إلى القوم ، قائلاً بلغته : يا أهل النجف . . . إنني رجل عربي ، لا أعرف الوعظ ولا الإرشاد ، ولساني عامي ، ولغتي جلفية .

يا أهل النجف ، هذا مقام أمير المؤمنين الذي خدم الإسلام ، وضحى في سبيله ، ثم أسعدكم الله بمجاورته ، فله عليكم حق الإطاعة لله ، والعمل بالشّريعة ، وأنا لست عالماً لأعلّمكم أحكام الصّلاة والصّيام وسائر الواجبات والمحرّمات ، بل على كل واحد منكم أن يذهب ويتعلم . . .

ثم قال أما الرجال فأنا أعذرهم ، لأنهم في النّهار مشغولون بكسب

معايشهم . . . فإذا جنّهم اللّيل ، آووا إلى فراشهم منهوكين ، لا يمر ببالهم الا ما كانوا فيه في النّهار ،وأما النساء فلا عذر لهنّ ، وإنني أعرف سُنّةً من السُّنن أُحب التنبيه عليها ، وهو التسمية عند مقاربة الزوج زوجته ، الرجال ينسونها لشدّة تعبهم ، ولذا تكون ذراريهم غير طيبة ، ويصدر منهم فعل القبيح ، الذي لا يرتضيه الإسلام ، ولكنّ النّساء ما بالهنّ لا يذكرن الله سبحانه .

ثم أخرج ساقيه المدماة ، وقال : هذا من أطفال النجف ، ومن آثار التفريط في السُّنن والواجبات ، ثم دعا لهم بالمغفرة .

فكان حديثه هذا أبلغ حديث ، وعظته هذه أعظم عظة ، أنّب فيها الرجال بتوجيه الخطاب للنساء من باب « إياك أعني فاسمعي يا جارة » . . . كما أنه نبّههم إلى أقل السُّنن من باب السخرية ، ليحفزهم على فعل الواجبات وترك المحرمات . . . رحمه الله برحمته الواسعة .

حرر في شهر رجب ١٣٨٣ هـ

دعوة المظلوم
وظلم عاد

سمعت من بعض الخطباء أنّ عاداً عاش نحو ألفي سنة ، وأنه تمادى في الظّلم والجور ، وأنه فرض العمل على كلّ أحد على أن يعمل يوماً لعاد ويوماً لنفسه.. واتفق أنّ امرأة كانت حاملاً وأنه ألزمها بالعمل ، فاعتذرت المرأة بالحمل ، فألزمها بيوم عنها ويوم عن حملها ، فنالها من التعب والألم ما نالها ، وأرقت ليلتها ، حتى إذا انتصف اللّيل ، وقفت تحت السّماء ، وكشفت رأسها ، واتجهت بجميع حواسها إلى ربّها ، وقالت : إلهي . . ما ضرّني عاد . . ولكن ضرّني حلمك عن عاد .

وكانت جنته قد كملت ، وكان قد ذهب ليدخلها ، فأمر عزرائيل بقبض روحه عند وصول موكبه إلى باب المدينة ، ثم سأل الله سبحانه عزرائيل : هل تأثرت لقبض روح عبد أمرتك بقبض روحه ؟ فاستعاذ بالله وقال : أمرتني أن أقبض أرواح قوم في سفينة في لجج البحر ما عدا طفل كان معهم ، وكانت السفينة قد تحطمت ، ففعلت ، وبقي الطّفل على خشبة وحده .

قال : أتعرفه ؟

قال : لا .

قال : هو هذا الجبار عاد الذي أنجيته وملكته ، ثم كان منه ما كان .

إنَّ هذه القصص أشبه بالقصص المسماة بالإسرائيليات ، وهي من أروع القصص ، سواءاً صحت أو اصطنعت .

قصَّة عن أبناء الأغنياء

ذكر بعض القصّاصين : أنَّ موسى بن عمران (ع) عندما كان ذاهباً إلى المناجاة ، مرّ برجل مغمور بالرّمل ، فسلّم عليه وسأله عن حاله ، فشكا اليه وقال :

يا نبيَّ الله إسأل ربك يرزقني « وزرة » متزراً حتى أتستر به ، وأخرج إلى المجتمع ، وأشتغل ، فأحصل من الرِّزق ما يقوتني .

ثم مر بموكب فيه جلال وعظمة وابهة ، وعليه ملامح الثَّراء والسّعة ، يقدمه رجل سريّ ، فسلّم عليه ، فوقف وعطف ، فلما همّ بالحركة قال الرّجل : يا نبي الله إسأل ربك أن يخفِّف عنّي .

قال : وماذا يخفف عنك ؟

قال : إنَّ النِّعم متوفرة وهي تزداد يوماً فيوماً وأنا لن اُفرط بها ، وقد حمّلتني هماً عظيماً .

فذهب موسى متعجباً ، وسأل الله سبحانه عن شأنهما بعد ما سأله فيهما ، فأوحى الله تعالى إليه : إنَّ الأول كان أبوه ثرياً ، وكان كلما همّ أبوه بصدقة ، منعه ، ويقول له . إذا أنت فعلت هذه المبّرات ، فمن أين نعيش نحن ؟ وقد اتكل على مال أبيه فوكلته إليه ، قل له : فليصبر وإن لم يصبر أمرت التراب والرّمول أن تغمره .

وأما الثاني، فكان يأمر أباه بالإنفاق إذا امتنع عن الإنفاق ويقول له : إنَّ الّذي أعطاك يعطينا ، فإنه قد اتكل عليَّ ، فأعطيته ، قل له : فليصبر وليشكر ، والا أمرت السَّماء أن تنطبق عليه ذهباً وفضَّة .

كيفية لطف الله بعباده

عن كشكول الشّيخ يوسف البحراني ، كيفية لطف الله بعباده ، وتدبيرهم بحكمته ، أنَّ امرأة كانت فقيرة ولها بنون ، فكانت تشتري صوفاً ، وتغزله وتبيعه ، فتشتري ببعض الثمن قوتاً وبالبعض الآخر صوفاً وهكذا ، فاتفق في بعض الأيام أنَّ غراباً هبط من الجو على غزلها الذي اعدته للبيع وطار به ، فعظم ذلك عليها ، وجاءت إلى نبي الله داوود (ع) قائلة :

يا نبيَّ الله .. أليس الله تعالى عادلا قال : بلى .

قالت : كان من أمري كذا وكذا ، وما أدري ما أصنع ؟ فظلَّ نبيّ الله متفكراً ، وبينما هو في هذا الحال إذ دخل عليه عشرة أشخاص والمرأة حاضرة .

قالوا : يا نبي الله .. كنا في سفينة في البحر ، فأصابها عطب وكدنا نغرق من خرق فيها ، فنذر كل واحد منا أن يتصدّق بعشرة دنانير ، إذا نجاه الله تعالى ، وبينما نحن كذلك إذ وقعت علينا صرة فيها غزل ، فالتفتنا وإذا بها قد سقطت من غراب في الجو ، فسددنا الشق ونجونا .. وهذه الدّنانير ، فقال لهم : ادفعوها لهذه المرأة ، ثم قال لها : هذا من لطف الله وعدله .

لئن شكرتم لأزيدنكم

جاء رجل إلى نبي الله موسى يشكو إليه الفقر ، ويسأله أن يسأل الله تعالى أنه هل يبقى فقيراً طول عمره اولا ، فأوحى الله تعالى إليه : إنه يغنيه في عمره سنة واحدة ، فأعلمه بذلك فقال يا نبيّ الله : اسأله أن يقدمها لي ، ففعل ، فما زال يترقب انقضاء السنة ولما انتهت السنة ، صار الرزق يفيض عليه ، فعاد إلى نبي الله تعالى وسأله عن السبب ، فناجى الله ، فأعلمه أنه حفظ النِعمة ، وفعل البر ، فبارك له ، لأنه شكر النِّعمة ، وهو القائل : (لئن شكرتم لأزيدنكم) .

قصة تتعلق بالعلامة
السيد أمين علي أحمد

عصر أمس الخميس عشرون ذي الحجة سنة ١٣٨٤ هـ ، كنت أتمشى في الشّارع قرب البيت ، وإذا بسيارة سائرة رجعت إلى الوراء ، ونزل منها اثنان ،

وسألاني مسألة تتعلّق بالطّهارة والنجاسة ، فقلت لهما : ليصحبني أحدكما الى البيت ، والآخر يحضر السيارة فوصلنا وجلسنا وانتهيا من سؤ الهما ، ولم ينصرفا ، فقدمت لهما القهوة ، ثم سألتهما عن مقرهما فأخبراني انهما في الأصل من قرية هونين الداخلة فعلاً في حدود إسرائيل ، وأنهما يقيمان في بيروت في منطقة برج حمود ، وسألاني عن عدة مسائل ـ وكان أسم أحدهما حسين شحرور ، والآخر حسين كذا ، وذكرنا ألطاف الله سبحانه بعباده ، وذكرنا أنَّ أهل الدين قد يصيبهم ما يصيب غيرهم ولكن بلاؤ هم يكون أسهل ، وعاقبته أهنأ ، فإن بني إسرائيل قتلوا يحيى (ع) ، ولكنَّ الله سلّط عليهم بختنصر ، فانتقم منهم ، وآل ابي سفيان قتلوا الحسين (ع) ، وأهل بيته ، وبعد ست سنوات لم يبق أحد ممن اشترك في المعركة ، فضلاً عمن تولّى العمل ، وبقي زين العابدين (ع) لمرضه ، ونجد اليوم عدداً من ملوك الأرض وامرائها ينتسبون لأهل البيت(ع) .

فقال حسين شحرور : قبل سنتين ، فتحت المحل صباحاً ، ففاجأني شخص أسمه الحاج موسى دعموش ، وقال : مشروع خيري ، فيه عالم مريض وله عائلة[1] ، فقلت له : كم تريد ؟

فقال : القدر الممكن .

فقلت له : هل تحمل ما أدفعه لك من الأعيان . ؟

قال : نعم .

فجعلت أزن من كل صنف في الحانوت ، كيلواً واحداً أو كيلوين أو ثلاثة أو أربعة ، من سكر وشاي وسمن وحمص وعدس وصابون ، فاستكثره ، فوضعتها في صندوق وسلمته له ، وبعد ما فارقني بقليل ، اندفق عليَّ الناس للشراء فبقيت طيلة ذلك النّهار ، واليوم الثاني ، وأنا وشريكي ومعنا أولادنا ، والبيع متصل ، حتى ضجرنا ، وأغلقنا الباب في وجه الناس ، فأحصيت ما في الدخل ، فكان خمسة آلاف ليرة لبنانية وعدة مئات ، وأنا منذ شرعت في التجارة ، يكون أكبر دخل عندي لا يزيد

١ ـ بعد ذلك تعرفت على الحاج موسى دعموش وذكرت له القصة ، فقال : العالم هو السيد امين علي أحمد ثم قال : ان كثيراً من اهل الخير اذا التقيت بهم يطالبونني ويقولون السوق واقف ، لعلك تكلفنا بأمر خيري ليفتح الله علينا لأنهم رأوا بركة على هذا العمل .

عن ألف وخمسماية ليرة لبنانية ، أليس هذا من تأييد الدّين وأهل الدين ؟

فقلت له : هذا حق ، إذا نظرنا إلى العالم ، وسألناه : كم عندك من الأعوان والأنصار ، يقول : ولا واحد ، وإذا قلنا : كم عندك من الأرض ومن الواردات المالية أيضاً يجيب بالنفي ، ثم اذا رجعنا الى الواقع نجد الزعماء وأصحاب النفوذ يخشونه ويعظمونه ، ونجد حياته المادية فوق حياة الوسط من الناس ، أليس وجود الشيء من اللاّشيء من أفعال الله سبحانه ، ثم بعد ما تعرفنا عليهم ودعونا لهم ، ومضوا ، دخلت المنزل للإستعداد للصّلاة . . ولما خرجت وجدتهم قد ذهبوا .

ثم أخبرت أنهم رجعوا القهقرى في السيارة بعد المغادرة ، ووضعوا مقداراً من الشاي وبعض الحلويات ، في الديوان :

ومن الصدف أننا في سنة ١٩٧٧ م الموافق ١٣٩٧ هـ ، كنا في منزلنا في حاريص ، وكان عندنا احمد العلي وموسى الفقيه وأبو حكمت محمد الحاج عباس خليل ، وكلهم من بلدتنا حاريص ، وكان الطّقس بارداً ؛ والناس في خوف شديد ، وكانوا معظم هذه اللّيالي يجتمعون ويتحدّثون ، وكان من جملة ما تحدّثنا به قصّة أبي كامل حسين شحرور ، فاستعادها أبو حكمت ، وألح في الإستفسار عنها ، فظننت أنه يريد النّقاش في شيء منها ، فجعلت أُدافعه ، فقال : إنما أستفهم عن هذه القصّة ، لأنّ عندي حديثاً يتصل بها ، فلت له : وما ذاك ؟

فقال : هذا الرجل كان عندنا قبل أيام، ونقل لي هذه القصّة ،ثم نظر الى داركم، وقال : لمن هذا البيت ؟ فقلنا له : للشيخ ، وذكرنا له شيئاً عنكم .

فقال : لي قصّة عجيبة مع صاحب هذا البيت ، ثم قال : إنني جئت في سيارتي من بيروت لأجل تصريف ما فيها من البضاعة ، فصرت أجتاز بالأماكن الّتي اعتدت البيع فيها ، حتى انتهيت الى ميس الجبل ، فلم أستفتح ببيع شيء منها ، وفي أثناء رجوعي ، وقفت عند صاحب هذا البيت ، ثم صنعنا بعض الخير ، وخرجنا من عنده ، فما وصلنا الى صور حتى كنا قد بعنا جميع البضاعة .

قلت : وبين القصتين نحو من خمس عشرة سنة ، وهذه القصص وأمثالها من ألطاف الله سبحانه بعباده ، توجههم إليه وتقربهم منه ، وتكون في النّهاية حجة على كل من له بها علاقة حتى من سمعها وصدق بها .

حجر وطين

قصة الشيخ حسين معتوق[1]

في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٩٢ هـ الموافق سنة ١٩٧٢ م ، جاء العلامة الشيخ حسين معتوق لصلاة الظُهر في المسجد في الغبيري ، وكان الحاج عبد الكريم دقيق الحاريصي وغيره حضوراً ، فرأوه متغيِّر الحال ، فأخر الصَّلاة ، ونادمه الحاج محمد جليلاتي وداعبه ، ولما أتم الصَّلاة ، انقلب على جنبه ، وحاول التجلد ، فلم يتمكن ، ثم قام إلى المرحاض ، فوقع بعد خطوات ، وعلم ابن اختنا العلامة الشيخ محمود فرحات بذلك ، فنقله الى الجامعة الامريكية ، وتعهد باموره ، لأنهم لم يقبلوه بدون تأمين مال أو تعهد شخص موثوق ، فمنعوه من الكلام ، ومنعوا عنه الزوار ، وحدَّث بعد ذلك بما رآه ، فأول من دخل عليه ممن اعرفهم الحاج علي خليل الحاريصي ، فقال له : بعدما أقوى احدثكم بأمر مهم .

ثم بعد ذلك زاره الحاج محمود شاهين من يارون ، فحدَّثه بما كان ، ثم شاع الحديث ، ثم في نهار الجمعة ١٦ حزيران ١٩٧٢ م ، الموافق ٥ ج ٢ / ١٣٩٢ هـ حدثني أخي العلامة الشيخ علي الفقيه أنه زاره هو والعلامة الشيخ إبراهيم والشيخ سليمان ، وحدّثهم بما كان . . .

والشيخ حسين معتوق من علمائنا الأقلاء في وقتنا هذا في بلادنا ، وهو رفيقنا وعشيرنا دهراً طويلاً وبمقتضى ما نعرفه من ذوقه ، لا يكاد يؤمن بمثل ما جرى له لو أخبره به غيره ، ولو سمعه منه لا يحدِّث به ، وإنِّني أنقل الحديث فعلاً مع أنِّي كنت أُحب أن أسمعه منه ليكون مطابقاً لقوله ، ولكنّني أُدون فعلاً هنا ما فهمتـه من النَّقلة خوفـاً عليه من الضِّياع والنِّسيان ، قال : بينما كنت أُتقلّب على سرير جدرانه من حديد ، رأيت شخصين تحت السرير أو قرب السَّرير ، وكنت أحسبهما من عمال المستشفى فصحت بهما : ما وقوفكما هنا ؟ وكانت غايتي من هذا الكلام معهما طلب العون والإسعاف .

فقالا له : نحن لا صلاحية لنا . . . فاعتقدت أنهما منكر ونكير ، ولكنَّني تعجبت من حضورهما ، مع أنني لم أزل في دار الحياة ، فقلت لهما : أنتما منكر ونكير ؟

---

١ ـ توفي (ره) فجأة في بلدة صير ـ قضاء النبطية ١٤ صفر سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢١ / ١٢ / ١٩٨٠م ودفن فيها . وكانت وفاته ليلة الإثنين

فقال أحدهما : متبسماً أنت تعظ في المسجد ، ولا تعرفنا ، فاعتقدت أنهما من الملائكة الَّذين يحضرون عند الموت ، وقرأت قوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة الَّتي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم ﴾ فصلت ، آية ٣٠ . .

وقرأت أيضاً قوله تعالى : ﴿ إنَّ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم يضربون وجوههم . الى آخر الآية ﴾ فقال أحدهم متبسماً : أنت كافر ؟ مستفهماً استفهاماً تهكمياً ، فعلمت أنهم الملائكة المعنيين بالآية الأُولى ، واطمأننت ، ولم أخش الموت ، ورأيت شخصاً ثالثاً . . .

ثم سألتهم : أين عليّ بن أبي طالب ؟ فقالوا : موجود ، فقلت : يا مولاي ، نريدك في هذه الساعة .

فقال : تنقلب مرّتين ، وتستقر على وسط السَّرير ، ولا بأس عليك هذه المرة[1] ، وكان من ورائي ، فأردت الإلتفات ، فلم أتمكن ، فانقلبت مرّتين واستقريت ، وكنت قد قلت له : يا مولاي عندي عبادات مكدَّسة ، فقال : سمعت أنَّ غزرائيل أرسل علماً لأحد قبل موته بشهرين ؟

قال بعض الوعاظ : كان نبيُّ الله موسى (ع) ذاهباً للمناجاة ، فلقيه رجلٌ حطّاب ، وسأله أن يسأل الله أن يرزقه ، ففعل ، فأوحى الله تعالى إليه : إنَّ رزقه هو ما هو فيه . فخطر في بال الحطاب أن يرتحل بعائلته وبنيه على حماره إلى المدينة ، فلما دخلها وجد دلّالاً يريد أن يبيع داراً ، فقال في نفسه : أشتريها ، وأعده بالثَّمن إلى الصَّباح ، وعند الصَّباح اعتذر إليه ، فزاد على الدّار ، فكانت من نصيبه ، وكانت زوجته حاملاً ، وفي اللَّيل جاءها المخاض ، فأنجبت ولداً ذكراً ، فاحتار بالقذارات ، وأراد تنظيف الدّار ، فأخذ معولاً ليحفر ، فوجد فيها كنزاً ، فحفر مكاناً آخر ، ودفن القاذورات .

---

١ ـ في هذه الساعة من نهار الإثنين ١٢ / ١ / ١٩٨١ الموافق ٤ ج ١ سنة ١٤٠١ هـ كنت الاحظ مسودات هذا الكتاب ـ وعندما انتهيت الى قوله : لا بأس عليك هذه المرة ، تنبهت الى ما فيها . ولاحظت أنها بمنزلة إخبار له بموته فجأة في المرة الثانية ، وفي هذا عبرة لمن اعتبر ، وقرينة على صحة كل ما تضمنته هذه القصة .

وفي النّهار دفع ثمن الدّار ، واستأجر الدّلال لينادي الفقراء ، ويدعوهم للطّعام في بيت فلان الحطّاب ، ولم يزل يفعل البرَّ والخير فاجتاز به النبي (ع) فسأله عن أمره ، فأخبره ، فسأل الله تعالى عن ذلك ، فأوحى الله إليه إنَّ هذا الرِّزق للمولود الجديد ، وهو لسبع سنين ، ثم لما انقضت السِّنون السَّبع ، بقي الخير وزاد الرزق ، فعاد الى النبي ، وسأله ، فأوحى الله إليه : أنه شكر النعمة ، وحفظها ونشر البر والمعروف ، وأكثره ، فجعلت السَّبعة سبعين سنة .

أكل الرِّبا

كان بعض التجار الَّذين لهم بنا اتصال بواسطة المعاملة يرابي ، وفي آخر أيامه ، جعل أمواله بيد ولده الكبير ، واسمه أبو ذر ، فأصابه مرض الزلال ، فوسطني لولده ليأذن له في مراجعة الطَّبيب ففعل ، ثم جاء ني ، وشكا إليَّ أنه لا يبذل له بعض المغذِّيات ، فتكلَّمت مع ولده ، فجعل يجترىء عليه ويقول : ألم أشتر لك برتقالتين وكذا ؟

ثم وسطني أخيراً على أن يعطيه ثلاثة دنانير عراقية ، ليذهب إلى لبنان ، وله ديون هناك على الطّلاب العامليين يستحصلها ويعيش من طريق الضِّيافة عليهم ، كما كان يستعمل ذلك قبل هذا ، فلم يعطه معتذراً بأنه إذا مات هناك من يحمله للعراق ، كلّ هذا والأب تام العقل والشعور ، يذهب ويجيء ، وأخيراً ، مات ، وقد رأيته بحالة يرثى لها .

نقلت هذه القصة في النجف الأشرف ، بحضور الطبيب العارف الحاج شرافة الله الهندي النجفي[1] ، فقال : إنَّ النطفة إذا تكونت من الغذاء المحرّم ، كانت هذه العاقبة منتظرة ، وقد رأينا كثيراً من أكلة الرِّبا يموتون فقراء ، ورأينا أولادهم أعداءاً لهم ، ورأينا عاقبتهم في الدُّنيا سيئة ، نسأل الله تعالى التَّوفيق لما فيه رضاه .

في شهر محرم ١٣٧٨ هـ وقفت على عطار لشراء دواء ، فأسرَّ إليَّ بعض من كان معي أنَّه رياضيّ ، فافتتحت معه الحديث مستنكراً عليه تركيب الأدوية ، فقال لي : أنا بعت من كتب الطب الَّتي اشتغلت بها بمبلغ مئة وخمسين ديناراً ،

---

(١) توفي الحاج شرافة الله في النجف سنة ١٣٦٥ هـ تقريباً وكان مجاوراً لنا في محلة العمارة .

وبعت كتاباً واحداً بكذا دينار لعظيم خطره ، وللآن ما عثرت له على نسخة ، وقد اشتغلت مع الدكتور محمد حسن عشر سنين ، ولكنَّ الدنيا لا يمكن الخلاص منها ، ـ قالها مبتسماً ـ .

فقلت له : يمكن أن يخلص منها بالإخلاص .

فقال : لا ، المخلص قد يكون أكثر بلاءاً من غيره ، فهو بالإخلاص لا يخلص ، ولكنَّه بالإخلاص يرضى ، وبالرضا يخلص منها ، وقد وجدت في هذه الكلمة من روح الواقع ما أتحفني بكثير من الراحة . . جزاه الله خيراً .

وقد توفي في هذه السنة ـ سنة ١٣٨٠ هـ ، رحمه الله تعالى .

ليلة البارحة ، ليلة الأحد ١٢ رمضان هـ ، تأخر عندي رجل في الدِّيوان رابني تأخره ، فأمهلته حتى افتتح الحديث ، فأخبرني أنَّه كان سركا لا عند مجيد الموحان ، وأنَّه كان في صغره يحب العبادة ، فطلب من الشّيوخ المصلِّين أن يعلِّموه الصَّلاة ، فسخروا منه ، وأكثروا ؛ فقال لهم : الذي اُحبه وأتولاه هو يعلِّمني . . بعد ما يئس . . ولما نام ، رأى في المنام شخصاً علَّمه من الصَّلاة ركعتين ، وعلَّمه على أسماء الأئمة (ع) ، فحفظ ذلك كلَّه بأيسر وقت ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الذي قلت عنه للجماعة بأنِّي اُعلِّمك ، وسألته عن تعداد الأئمة ، فعدَّدهم . وكان ذلك في قلعة ـ سكر ـ لواء الناصرية .

الموعظة من العامل

كبر عبد عند سيِّده ، وعجز عن الخدمة ، ورغب في التفرغ للعبادة ، فقصد بعض العلماء الوعاظ والتمس منه أن يتكلَّم في فضل العتق لعلَّ سيِّده يعتقه ، فأجابه لذلك ، وبقي العبد منتظراً نحواً من أربعين يوماً ، حتى ظنَّ أنَّ العالم قد نسي ما وعده به ، وأراد تذكيره ، واتفق أنَّ العالم تكلَّم في فضل العتق وحث عليه ، وكان مولى العبد حاضراً ، فقام مولاه من وقته وساعته ، وسأل العالم عن كيفية العتق ، ثم أعتق العبد ، فجاء العبد إلى العالم وشكره ، وقال : ما ضرك يا مولاي لو قلت هذه الكلمات منذ كلَّفتك ، لكنت تفرَّغت

١ ـ السركال بلغة العراقيين المسؤول عن الجماعة من الفلاحين . ولعلها مغربة عن الفارسية .

لخدمتك في هذه المدَّة ، فقال له العالم : الموعظة من العامل بها تؤثر وقد كنت مملقاً ، فانتظرت إلى أن تهيّأ عندي ثمن عبد ، فاشتريته وأعتقته ، ثم حثثت الناس على العتق .

حدَّثني أبو عبد الله الحاج محمد عبد الله سبيتي من كفر صير ، من بلاد عاملة ، من قضاء النبطيّة ، ان بيت قميحة من بلدهم لهم أقارب سنَة في شحيم ، تقرّبوا بهم ، وأصبحوا يجاملونهم ، فبنى بعض أقاربهم داراً في شحيم ، ونقش على الباب رسماً لسيف ذو الفقار ، ثم جاء الزلزال الّذي دمر شحيم سنة ١٩٥٤ م بأجمعها تقريباً ،فسلمت دار هذا الرَّجل الّذي هو قريب بيت قميحة واعتقد أنَّها ببركة هذا السَّيف .

أكل الحرام وآثاره

يقال : إنَّه كان لبعض العلماء الصّالحين العارفين ولد ، وكان الناس يكرمونه على حساب أبيه ، فكان الولد يحمل مسلَّة[1] ، ثم يجيء خفية إلى السَّقائين ، فيطعن القربة بمسلَّته ، فينفجر ماؤها ، فيمتص الطفل من ذلك الماء ، وكانت التهمة توجه إلى غيره من الأطفال ، وأخيراً ، علموا به ، ثم أخبروا أباه ، فجاء إلى زوجته ، وأخبرها وسألها : هل أكلت حراماً أثناء حمله ؟ وأخيراً قالت :

إعلم أنَّني اشتهيت رماناً أثناء حمله ، فمرَّ بي أبو الرُّمان ، فقلت له : أرني الرُّمان ، ولم يكن عندي ثمنه ، فأخذت واحدة وطعنتها بإبرة ، ومصصتها ، ولم أكتف بذلك ، بل فعلت باخُرى كذلك ، ثم رددت الرّمان عليه بدعوى أنه ليس على وفق الطلب .

فقال العالم العارف : هذه الإبرة خلقت تلك المسلَّة .

---

(١) المسلَّة إبرة غليظة

حجر وطين

أمثال عربية

١ ـ تعست العجلة .

قيل إنّ عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، أرسلت مولاها ليأتيها بنار ، فوجد قوماً خارجين إلى مصر ، فخرج معهم وأقام بها سنة ، ثم رجع وأخذ ناراً ، فوصل ، فعثر ، فتبددت النار ، فقال : تعست العجلة ، فذهبت مثلاً . . ولعل ما فعله كان عمداً ، ليقول كلمته فتكون عذراً له وفيه يقول الشاعر وفي غلام اسمه (غراب) :

ما رأينا لغراب مثلاً إن بعثناه يجيء بالمشملة
غير فند أرسلوه قابساً غاب حولاً ، ثم سب العجلة

والقابس : من ذهب ليأتي بقبس من نار ، وهي الجذوة .

٢ ـ أشأم من براقش . . على قومها جنت براقش . . على نفسها تجني براقش :

قيل إنّ قوماً غزوا أعداءاً لهم ، فلم يهتدوا ، فنبحت كلبة لهم تسمى (براقش) ، فعلموا مكانهم وقصدوهم ، ونالوا منهم مأربهم ، فقالت العرب ، أشأم من براقش ، وقالوا أيضاً : على قومها جنت براقش .

وقال أبو عمر بن علاء : هي أمرأة لبعض الملوك ، غاب فاستخلفها ، وكانت اذا خافت تدخن فيجتمع الجيش ، واتفق أنّها دخنت من غير خوف ، فجاء الجند مسرعين ، فقال لها وزيرها : أشغليهم بأمر ، فأنك إن أرجعتيهم من غير عمل ، لم يأتوا في المرة الثانية ، فأمرتهم ببناء قصر في فناء قصرها ، فلما أتى الملك أبصره ، فقال :

ما هذا ؟ فذكرت له الحادثة .

فقال : على قومها تجني براقش .

وربما يقال : أرجعتهم من غير عمل ، واتفق أنّ عدّوها هاجمها ، فدخنت فلم يجتمعوا ، وقاسوا هذه المرة على ما قبلها ، فغلبت ونهبت ، ولما رجع الملك اخبروه بما جرى فقال :

على نفسها تجني براقش .

٣ ـ كالباحث عن حتفه بظلفة :

يروى أنّ رجلاً أخذ عنزاً ليذبحها ، فلم يجد سكيناً ، وبينما هو يطلب سكيناً ، إذ بحثت العنـز بظلفها ، فبانت سكين فذبحها بها ، فقيل لمن يتسبب في مضرة نفسه : كالباحث عن حتفه بظلفة ، وقيل : عنز السوء المثيرة لحتفها . .

٤ ـ من الأمثال الصينية :

لست تجد رجلاً يحب الفضيلة بقدر حبه للجمال . .

صانع الأصنام قليل التعبد ، لأنّه يعرف المواد التي صنعت منها .

اذا شككت في شخص فلا تستخدمه ، واذا استخدمته فلا تشك فيه .

الذين يعلمون لا يتكلمون ، والذين يتكلمون لا يعلمون .

٥ ـ قال رجل للمبرد : قد أسمعني فلان في نفسي كلاماً فاحتملته ، وأسمعني فيك كلاماً فاحتملته .

فقال المبرد : **إحتمالك في نفسك حلم وفي صديقك غدر .**

قلت : وفات المبرد أن يقول : وإعلامك إياي بذلك نميمة . فهذه فضيلة ورذيلتان .

٦ ـ قال الحكماء : اذا عمل الإنسان لغاية ولم يحصل عليها ، يكفيه من عملها نفعاً أنّه يسلم من عواقب التواني ، التي هي أسوأ من مغبات الخيبة .

٧ ـ اذا أنت لم تنفع فضرّ فإنّما
يراد الفتى كي ما يضرّ وينفع

٨ ـ قال لقمان : يا بني . . إياك والسؤال ، فإنّه يذهب ماء الحياء من الوجه ، وأعظم من ذلك استخفاف الناس بك .

٩ ـ وقال بعضهم : من سأل حاجة ، فقد عرض نفسه للذل ، فإنّ قضاها المسؤول استعبده بها ، وإنّ رده رجع كلاهما ذليلاً . . هذا بذل البخل ، وذاك بذل الرد . .

١٠ ـ للمؤلف في صباه سنة ١٣٤٧ هـ : من لم يكن صريحاً في رأيه عاش عبداً . .

وقد رآها المرحوم العلامة الشيخ رضا فرحات آنذاك ، وذلك في سنة ١٣٤٧ هـ تقريباً ، فكتب تحتها : من كان صريحاً في رأيه عاش فرداً . .

وللمؤلف أيضاً في نفس ذلك التاريخ : كن حراً وكن جريئاً ، تعش في هذه الحياة سعيداً .

وله أيضاً المواصلة إحدى ثمرات الذكرى ، والذكرى هي المقياس الذي تقاس به درجات المحبة وله أيضاً : تأملت في المجتمع ، فوجدت الناس قد اتفقوا على الكذب ، وقبلوه وهم يعلمون به ، فإذا زار أحدهم صديقه ، يقول له : أهلاً وسهلاً ، سررت بتشريفك . والحال أنّه قد حال بينه وبين جملة من أعماله ، ويقول له عندما ينصرف ، ما هذه العجلة . . . والحال : أنّه قد يكون في بعض الأوقات يتمنى أنّه لم يجيء . . . وعندما يجتمع بمعارفه يقسم لهم أنّهم لا يذهبون من باله ، وأنّه كان عازماً على زيارتهم أو مواصلتهم ، وأنّه سأل عنهم ، مع أنّه قد لا يكون ذكرهم ، أو لا يحبهم . . .

مثل الحريص ، مثل كلب الصيد ، تعب القنص عليه ، ولذة الأكل لغيره . .

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه . .

١١ ـ يقول كالفن كولدج ـ رئيس الولايات المتحدة الأميركية ـ البشر لا يضعون القوانين ، وإنما يكتشفونها ويدونونها .

١٢ ـ قال أمير المؤمنين (ع) : أعداء الرجل قد يكونون أنفع من إخوانه ، لأنّهم يهدونه الى عيوبه فيجتنبها ، ويخاف شماتتهم ، فيضبط نعمته ، ويتحرّر من زوالها بغاية طوقه .

كل شجاع كريم وليس كل كريم شجاع .

من قل صدقه قل صديقه . .

كتب كسرى لأبنه : يا بني ، لا عفة مع الشح ، ولا مروءة مع الكذب .

لبعضهم : امسكوا المعروف عن ثلاثة : عن اللئيم ، فإنّه بمنزلة الأرض السبخة ، وعن الفاحش ، فإنّه يظنه خوفاً منه ، وعن الأحمق ، فإنّه لا يعرف قدره . .

كان فتى جميل من طي يجلس الى الأحنف ، فقال له يوماً :

يا فتى . . هل تزينين جمالك بشيء ،

قال الفتى : نعم ، اذا حدَّثت صدقت ، واذا حدِّثت استمعت ، واذا عاهدت وفيت ، واذا وعدت انجزت ، واذا ائتمنت لم أخن .

فقال الأحنف : هذه هي المروءة حقاً .

دخل ذو القرنين على بلاد ، فوجدها بلا حاكم ، فسأل عن ذلك ، فأجابوه : إننا لا نحتاج إلى حاكم ما دام قوينا يرحم ضعيفنا ، ولا يعلو عليه ، وكل منا عالم بما له وما لغيره فلم يتعده .

قيل لمعاوية : إلى أين بلغ عقلك ؟ قال : إلى حيث لا أثق بالناس .

قال أمير المؤمنين (ع) : **لا تعمل شيئاً رياءاً ، ولا تتركه حياءاً . .**

قيل :جود الرّجل يحببه إلى أعدائه ، وبخله يبغضه الى اصدقائه .

وقيل : أفضل الناس من عاش الناس في فضله .

قيل لمجنون : في ما يسعى هذا الخلق ؟
فقال : في ما لا يجدونه . . فإنهم يطلبون الراحة وهي لا تكون في الدنيا . .

حرب البسوس

أشأم من البسوس .

٢ - هيهات ، دون عليان خرط القتاد .

٣ - المستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

وعمرو هو جساس بن مرة ، وقصة هذا البيت هو أنّ كليبًا حمى مرعى لإبله ، وكان يبيحها لإبل ابن عمه جساس ، واتفق أنّ الجرمي زوج البسوس استجار بجساس ، فأرسل ناقته مع إبله ، فرآها كليب في المرعى ، فأنكرها ، فرماها بسهم ، فأصاب ضرعها ، فرجعت الناقة ترغي إلى أن بركت في جنب صاحبها ، فصاحت البسوس :

واذلاه ، واغربتاه .

فقال لها جساس : اسكتي أيتها الحرة ، فوالله لأعقرنّ بها فحلاً هو أعز على أهله منها .

فسمع بذلك كليب ، فظنّ أنّه يريد أن يعقر عليان ، فحل إبل كليب ، فقال كليب : هيهات ، دون عليان خرط القتاد ، فذهبت مثلاً .

والقتاد : الشوك ، وخرطه : مشق شوكه من أعلاه ، بحيث تقابل بطن الكف رؤوس الأشواك وهو مثل يضرب لمحاولة الأمر الشاق ، ثم أنّ جساساً تحين الفرص ، فعلم بخروج كليب وبعده عن الحي ، فتبعه على فرس فرماه بسهم ، فأرداه قتيلاً ، فقال له كليب قبل موته : إئتني بشربة ماء ، فلما أتاه بها أجهز عليه ، فقيل :

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرّمضاء بالنار

ومن أجل هذا الحادث ، نشبت الحرب بين تغلب وبكر ، وتسميها العرب حرب البسوس ، وكانت الغلبة لتغلب ، لأنّها كانت موتورة ، والموتور أشد استماتة ، والله ينصره ، وكان يتزعم التغلبيين المهلهل ـ أخو كليب ـ وقد دامت هذه الحرب أربعين سنة ، حتى كاد الحيّان يضمحلان ، فقالت العرب : أشأم من البسوس .

والمهلهل هو أول من هذب الشعر وأطاله ، ومن ثم سمي المهلهل ، وقد كانت مراثيه في أخيه من أبرع المراثي على قدم عهدها ، وهو خال امريء القيس ، ومن رثائه لأخيه :

نبّئت أنّ النار بعدك أُشعلت ... واستب بعدك يا كليب المجلس

ومنه قوله :

وتكلموا في أمر كل عظيمة ... لو كنت بينهم بها لم ينبسوا

* * *

أهاج قذا عيني الإدكار ... هدوّاً في الدّموع ولا انحدار

وبات الليل مشتملاً علينا ... كأنّ الليل ليس له نهار

ومنها :

فدرت وقد عشى بصري عليه ... كما دارت بشاربها العقار

ومنها :

خذ العهد الأكيد عليّ عمري ... بتركي كل ما حوت الدّيار

ولست بخالع سيفي ودرعي ... الى أن يخلع الليل النهار

وقيل إنّه لم يخلعها أربعين سنة ، حتى مات ، وسواد الناس حتى اليوم يمقتون جساساً ، ويضربون المثل بلؤمه وغدره ويضربون المثل بحفاظ كليب وعظمته ، فيقولون : حمى كليب . ويقولون لمن لم يعمل عملا يفتخر به : كأنه يحمل رأس كليب .

تسمع بالمعيدي خير من أن تره ، قائله النعمان بن المنذر :

وقصّة هذا المثل هو أنّ شقة بن ضمرة المعيدي كان يغار على إبل النعمان ، وقد أعجزه ، فلما قبض عليه ، استحقر منظره ، وقال : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فذهبت مثلاً ، فقال المعيدي : أبيت اللعن ، إنّ الرجال ليسو بجزر ، وإنّما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

ومعيد : اسم قبيلة عربية ، .

والناس يقرؤ ون : تسمع بالسكون ، والظاهر أنّه مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، وتره : بلا ألف ، حذفت للوقف على الهاء ، فإنّ أصلها تراه ، وهو مذهب في الوقف والناس يظنّونها ساكنة ، ويحتارون في إعرابها .

أحمق من هنبقة ـ أنزى من تيس تميم .

وهنبقة هو يزيد بن ثوران أحد بني قيس بن ثعلبة ، جاهلي ، يلقب بهنبقة ، ويكنى بأبي الودعات ، لأنه نظم عقداً من ودع ، وعلقه في عنقه ليعرف به ولا يضيع ، فراقبه أخوه إلى أن نام ، وأخذ العقد ، ووضعه في عنقه ، فلما انتبه هنبقة ، قال لأخيه : أنت أنا ، فيا ترى من هو أنا ؟

وقيل : إنّه كان يرعى الغنم ، فيأتي بالسمان للمرعى الخصب ، ويبقى الهزال بالموضع القاحط الجدب ، ثم يقول : لا اصلح شيئاً أفسده الله .

وقيل : إنّه اختصم إليه بنو راسب وبنو طفاوة في غلام ، فقال : ارموه في البحر ، فإن رسب فهو من بني راسب ، وإن طفا فهو من بني طفاوة .

ورأى مع الناس جراداً ، فقال : لا يهولنّكم ما ترون فإنّ أكثرها موتى .

واشترى اخوه ثوراً بأربعة أعنز ، فركبه فأعجبه عدوه ، فقال لأخيه : زدهم عنزاً .

وركب الثور مرة ، فرأى أرنباً تحت الشجرة ، فخاف منها ، فهمز الثور ثم ارتجز :

الله نـجـاني ونـجـى الـبـقـرة   من جاحظ العـيـنين تحت الـشجـرة

وقال مالك بن مسمع للأحنف بن قيس مرة وهو يداعبه ويفخر بالربيعية لأحمق بكر بن وائل أشهر من سيد بني تميم ـ يعني بالأحمق : هنبقة وهو ربيعي وائلي ـ .

فقال الأحنف : لتييس بني تميم أشهر من سيد بكر بن وائل ، وهذا التيس

الذي يضرب به المثل بالنزو فيقال : انزى من تيس بني تميم ، هو تيس لبني حمان من تميم ، نزا على عنز ، وأوداجه مقطعة ، فضرب به المثل .

ما فتَّ بعرة ، ولا قطع شعرة .

مثل يضرب لمن يعجز عن الأمر ، وقيل إنّه وجد اثنان ، أحدهما اسمه بعرة ، والآخر شعرة ، فسأل احدهما الآخر : ما فعل فلان بحاجتك ؟ فقال : ما قطعني ، ولا فتك

أطول من عوج بن عنق .

تمر الأجيال ، وتنطوي الأيام ، ولا تلد النساء مثل عوج بن عنق ، ذلك الرجل الذي يحق للتاريخ ، إنّ صدقت الأخبار أن يدوّن اسمه ، ويحتفظ بما يؤثر عنه ، ليكون عظة للمغرورين بقواهم .

يقول الناس : أرسل نبي بني إسرائيل سبعة أشخاص إلى العمالقة ، يدعونهم إلى الله تعالى .

فرآهم أحد العمالقة ، فحملهم في كمه ، وأتى بهم إلى الملك ، وألقاهم أمامه ، وحينما علم بخبرهم سخر منهم ، وكان عوج حاضراً ، فغضب لكرامة قومه ، وأخذته الحمية ، فسألهم عن قومهم وسعة بلدهم ، فاقتطع صخرة بقدرها ، وحملها على رأسه ، وجاء بها ليلقيها عليهم ، فيهلكهم عن آخرهم ، فدعا عليه نبيهم ، فأرسل الله من السماء طائراً عظيماً نقرها ، فمزقها ، فهبطت في عنقه ، فأصبحت طوقاً ، فجعل يعالجه ، فجاء موسى (ع) ، وكان طوله عشرة أذرع وطول عصاه مثلها ، فقفز عن الأرض ، وضربه بعصاه ، فأصابه في عقبه وهو مشغول بنفسه فوقع على الأرض ، وأكلته السباع والهوام ، ولم يستطع دفع ما ألمّ به .

وقيل إنّه كان قبل الطوفان ، وأنّه تعلق بسفينة نوح (ع) ، وهمّ بأن يغرقها ، فكلمه (ع) فيها ، فقال :

ما أردت سوءاً ، وإنّما أُريد أن أهتدي بها كي لا أعثر ببعض الجبال أثناء سيري في الماء .

وقيل : إنّه كان يأخذ السمكة من البحر ، فيشقها ، ويرفعها إلى كبد السماء حتى تشوى في حرارة الشمس .

وقيل إنّ أُمه تشبهه ، وأنّ بينه وبين آدم (ع) آحاد ، وأنّه بقي إلى زمان موسى (ع) ، والله العالم بذلك كله .

قاتل الله الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله .

كلمة لبعض الملوك قالها فذهبت مثلاً ، وسببها ما قيل : إنّ بعض الملوك كان له جليس يحبه ويقربه لكماله وعقله ونضجه وأدبه ، فحسده الوزير وعزم على الغدر به ، مخافة أن يتقدمه عند الملك ، فصنع له طعاماً شهياً ، أكثر فيه من الثوم والبصل ، فلما اكل منه ، قال له الوزير :

إنّ الملك يكره ، هذه الرائحة ، فإذا دنوت منه فاستر فاك في كمك .

فشكره الرّجل على هذه النصيحة ، وكان مؤدباً محافظاً ، ثم أسرع الوزير الى الملك ، وقال :

إنّ فلاناً يشكو من مجلسك ، ويقول : إنّه يشم من فيك رائحة كريهة لا يقدر على الصّبر عليها .

ثم رجع الوزير إلى بيته ، ودخل هو والرّجل معاً على الملك ، فأدناه الملك على عادته ، فجعل كلما اقترب الملك منه ليحدّثه ، أو يستمع له ، أعرض الرّجل بوجهه ، وستر فاه بكمه ، فغاض ذلك الملك ، فتناول قرطاساً ، وكتب كتاباً وختمه ، وناوله الرّجل وقال : تعطيه إلى عاملي فلان ، وكان قد أمر العامل بضرب عنق حامل الكتاب .

فرآه الوزير ، ورأى إقبال الملك عليه ، فظنّ أنّ في الكتاب جائزة ، فطلب الوزير من الرجل أن يتولى هو إيصاله له ، والرجل ظن أنّ فيه جائزة أو سراً ، فآثره بإيصاله لينال الوزير شرف الخدمة والوفاء عند الملك ، ثم أنّ الوزير أسرع في إيصاله ، فلما رآه العامل نفذ ما فيه وقتل الوزير وعلم الملك ، واستدعي القاتل ، فأخبره بأنّني نفذت امرك .

ثم لما اجتمع الملك بالرجل سأله عن الكتاب ، فقال :

ظننت أنّ به جائزة ، وقد آثرت الوزير بها ، وهو أيضاً رغب في ذلك ، ثم رآه الملك لا يبعد عنه ، ولا يستر فمه ، وكان قد ذهب غيضه ، فعاتبه ، فأخبره بالقصة ، وأنّه اكل الثوم والبصل ، فعلم أنّها مكيدة من الوزير ، فقال الملك :

قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله .

قال المؤلف : الحسد مقياس الشخصية ، فانه مقياس ضعة الحاسد وسموّ المحسود :

من الضروري أنّ الإنسان لا يحسد من هو دونه في أُمور الدنيا ، ولا يحسد من يساويه ، لأنّ المحسود هنا ليس لديه شيء يفقده الحاسد حتى يتمنى زواله عنه وانتقاله إإليه ، وإنّما يحسد الإنسان من هو فوقه ، فإذا أراد الإنسان أن يعرف نسبة شخصيته من شخصية غيره ، فلينظر ، فإن كان يحسده دل ذلك على أنّه أفضل منه ، ويمتاز عليه ، فالإنسان يستطيع معرفة المنحطين عنه بحسدهم إياه، ويستطيع أن يعرف الذي هو أفضل منه بحسده اياه .

قال دعبل الخزاعي :

إن يحسدوني فإنّي لا ألومهم
غيري من الناس أهلَ الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

وقال أبو تمام :

واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت ، أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال عامر . .

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع العصا
وما علم الإنسان الا ليعلما

مثل يضرب للعاقل الذي ينصح وينبه على ما هو أصلح ، ولصاحبه قصّة ، فقد قيل : إنّ هذا البيت لعامر بن الظروب بن عباد اليشكري ، أحد حكام العرب في الجاهلية ، وقيل أنّه تحوكم إليه مرة في خنثى ، فاستمهل ، فأتى إلى داره ، وكان عنده جارية يقال لها سخيلة ، كانت ترعى الغنم فإن بكرت ، قال

لها : ضحيت ، واذا رجعت قال لها : مسيت . .

فرجعت ، فلم يقل لها شيئاً ورأته صامتاً مفكراً ، فقالت له : ما عراك ؟

فقال : دعيني وشأني ، فأعادت عليه القول مرة أُخرى فقال : اختصم إليّ في ميراث خنثى ، له ما للذكر وما للأُنثى ، ولم أدر أأجعله امرأة أم رجلاً ؟

فقالت : لا أبا لك . . أقعده ، فإن بال من حيث تبول الرّجال ، فهو رجل ، والا فامرأة ؟

فقال لها : مسى سخيل بعدها أو ضحي . فذهبت مثلاً . .

وفي آخر عمره كان يسهو ، فيقضي بغير الحق ، فكان ابنه يقرع له العصا اذا سها فينتبه .

وقيل في تفسيره أيضاً : إنّ النعمان أرسل رجلاً يرتاد الكلأ ، فأبطأ ، فغضب وقال :

إن قال خصباً لأقتلنه ، وإن قال جدباً لأقتلنه .

وعرف بذلك اخوه ، فقال للنعمان : أتأذن لي أن أُنذره ؟

قال : لا .

قال : أُشير إليه ؟

قال : بم ؟

قال : فأقرع العصا ؟

قال : فاقرع . .

فلما ورد ، أخذ أخوه عصا من بعض جلسائه وقرع بها عصاه قرعاً مختلفاً إلى أن فهم أخوه القصّة : فقال : لم أحمد خصباً ولم أذم جدباً ، الأرض مشكلة لا خصبها يعرف ، ولا جدبها يوصف ، رائدها واقف ، ومنكرها عارف ، أولى لك ، بذلك فرأيت .

وقيل : إنّ العصا اسم فرس لجذيمة ، كانت لا تلحق ، فقال قصير لجذيمة : أنا أقرعها لك اذا أقبل العسكر .. فحينما أقبل ، قرعها ، فأنف جذيمة من الفرار ، فركبها قصير ، ونجا ، فقيل : لو كان لجذيمة حلم لركب العصا ، فذهبت مثلاً .

زينة تحتاج مسماراً : من الأمثال العامية .

كان لبعض الملوك بنت واحدة من أنبل أهل زمانها ، خطبها كثيرون ، فشح بها ، وكان لملك آخر ولد كذلك ليس له سواه ، خطبها فزوجت منه ، فزينت الطريق من مملكتها إلى مملكته ، وجملت كل ما ينتظر أن يكون ، فلما التقى بها ، وجد كمالاً وجمالاً ، ووجدت ذلك فيه .

قال لها : هل رأيت نقصاً في هذه الزينة ؟

قالت : نعم ، إنّها تحتاج مسماراً واحداً .

أعاد السؤال وأعادت الجواب ، فاستغرب ذلك منها ،

فقال لها : وما فائدة المسمار ؟

قالت : يسمر الفلك به لئلا يتحرّك ، ليقف الزّمان ، ويدوم البقاء .

فقال لها : وأنّي لي بذلك .

أبوه كواني

قدم رجل لصديقه لبناً رائباً ، فتناوله ، وجعل ينفخ عليه ليخفف من حرارته ،

فقال له الرّجل : إنّه لبن - يعني إنّه بارد لا يحتاج الى تبريد .

فقال الصديق : نعم ، ولكن أباه كواني ، يعني الحليب عندما سخن على النار ، شربته فكواني .

وهذا مثل يضرب للشخص الذي يكون طبعه على خلاف طباع آبائه ، ويريد الإنسان من صديقه أن يحذره .

عينك على حلالك دواء

قيل خرج أخوان في سفر على فرسين لهما ، فاقتسما العمل في الطريق ، فكان أحدهما يصلح الطعام والشراب ، والآخر يصلح شؤون الفرسين ، فاتفق أن الأول نظر الى فرسه ، فوجدها متغيرة إلى الأدنى ، فسأل اخاه عن السبب ، فقال :

لا أدري ، ولكنّني أسقيهما معاً من ماء واحد ، وأُطعمهما شعيراً بكيل واحد .

فقال له : أين تنام ؟

قال : بينهما .

قال : على أي جنب تنام ؟

قال : الأيمن ، ووجهه حينئذ يكون إلى فرسه .

فقال له : إنّ فرسك تنظر ، فترى فارسها ينظر إليها ، فتنتفع بالطعام والشراب ، أما فرسي ، فإنّها لا تنتفع بالعلف لأنّ فارسها لا ينظر إليها .

ثم قال : عينك على حلالك دواء ، وهو مثل عراقي : عندما توفي العالم الورع التقي السيد جواد الأمين (ره) ، ألحّ أهل العبرة بإبقاء عياله وولده عندهم ليقوموا بخدماتهم ، فسألت الحاج ياسين وهو من أهل العقل والسن عن الصالح ، فضرب لي هذا المثل ، وحكى هذه القصة .

حرر في ٢٠ رجب / ١٣٨٠ هـ .

من كانت فيه سبع خصال ، لم يعدم سبعاً :

من كان جواداً لم يعدم الشرف .

ومن كان وفياً لم يعدم الحسب .

ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول .

ومن كان شكوراً لم يعدم السؤدد .

ومن كان منصفاً لم يعدم العافية .

ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة .

وبقي هناك واحدة لم يذكرها الكتاب ،وهي: من كان مع الله كان الله معه .

أمثال عامية

عصفور مهزول على خوانك ، خير من كركي على خوان غيرك .

إنا أجرّه إلى المحراب ، وهو يجرّني إلى الخراب .

لا يشعر الشبعان بما يقاسيه الجوعان .

الكلمة الطيبة تخرج الحية من وكرها .

جهال بلا عقال راحت قطايع ، وعقال بلا جهال ضاعت حقوقها .

ومعنى هذا : العقلاء الذين ليس لهم سفهاء يدافعون عنهم تضيع حقوقهم بالصّبر والصّمت ، والسفهاء الذين ليس لهم عاقل يدبرهم ويحفظهم ويحميهم ، تكون نتيجتهم التفرق والدّمار .

صحيفة من الأمثال العاملية

كل يجر النار القرصه. وتقال للأناني .

مفتاح البطن لقمة .

شم عرق إبطه . للصغير الذي أظهر الرجولية .

حبل الكذب قصير .

الحق الكذاب على باب داره . مثلان بمعنى واحد .

راح قدوم ورجع منشار .

يقال لمن ذهب في طاعة ، وازداد ظلمه بعدها ، لأن القدوم يعمل بالضرب والمنشار يعمل بالذهاب والإياب .

١ ـ لو بدها تشتي غيمت : يعنون : لو أرادت السماء أن تمطر لغامت وهذا المثل يضرب لمن لا تظهر فيه إمارات الوصول إلى الغاية .

٢ ـ **كل عنزة معلقة بكرعوبها** . والكرعوب : العقب الذي تعلق به الذبيحة بعد الذبح . وهو مثال يراد به أنّ تبعة كل انسان على نفسه .

٣ ـ **من يوم جلوني هذا لوني** . المراد به : كلام على لسان العروس ، وهو مثل يضرب لعدم التغير والثبات على الحال الأول .

٤ ـ **الوطن قتال** : يشيرون إلى أن حب الوطن قد يدعو صاحبه في مقام الدفاع عنه ، والحرص عليه إلى الإستماتة أو الموت .

٥ ـ **الأقارب عقارب** .

٦ ـ **بنت الدار عورا ، ونظيره في الفصحى : مغنية الحيّ لا تطرب** .

٧ ـ **كل من عبابو يشابه اصحابوا** . يعني كل شيء على باب دار الإنسان يشابه صاحبه نفسياً وتضرب للمناسبة بين المتبوع والتابع ، والخادم والسيد ، ومن الغريب : أنَّ بعض الغربيين كتب مقالاً يزعم فيه أنا نستطيع معرفة نفسية الشخص من مطرقة بابه ، فإنّ للمطارق صور وتماثيل مختلفة بعضها يدل على الوداعة ، كالحلقة المستديرة ، وبعضها يدل على السبعية كصورة الأسد والذئب و . . . الخ .

٨ ـ **المرأة من ضلع الرّجل** .

٩ ـ **تحرك الشاش في الطنجرة** . يضرب لمن همّ بأمر ليس أهلاً له والشاش عندهم اسم للمصران الذي يؤكل محشواً باللحم والرز والبهارات بعد طبخه طبعاً .

١٠ ـ **تحرك الفارس على الفرس** . يضرب لمن هم يأمر وهو له اهل .

١١ ـ **عدوك بين البقر حنجول** .وحنجول إسم ثور عزيز ، كان لبعضهم ، وكان يقصده فحل آخر فخاطبه صاحبه بقوله الآنف ، فضربت مثلاً لمن اختص بعداوة شخص على وجه لا يؤذي غيره وان آذاه .

١٢ ـ **من دعس عذيلك تعوصت** .

إذا سحق الإنسان على ذنب الكلب عوى، وهو مثل يضرب لمن ينصر

غيره من دون علاقة بينهما ، ويكون الناصر مهينا .

١٣ - والرمل ما يبنعجن والشوك مــا بينداس
والــسر ما يــنعــطى الا لــنــاس ونــاس

١٤ - عــامــل حــالــك قــضــاي
والــفــارة بــتــبــرم بــالــبــيــت

كناية عن من يظهر الثراء والنجدة مع أنّ الفارة تطلب غذاءاً في بيته فلا تجده .

١٥ - شــكــلك مــا بيشكلكــني
ولا المــنــشــكــلي بــيــتــشــكــلك

قيل أنّه اجتمع شباب ومنهم شخص متميز وضع في جيبه بلوط ، وله خشخشة تشبه صوت اليشالك ، واليشالك نقود عثمانية ، فأحس بذلك محمود حداثا ، وأنه يريد خداع العذارى بإظهار المال ، فقال لبعض صحبه : اختبرها ، فوجدها بلوطاً ، فأنشد ، ولم يعلم احد :

حــامــل في جــيــبــك بــلوط
تــيــقــولــوا هــذا بــشــالــك
شــكــلك مــا بــيــشــكــلكــني
ولا المــنــشــكــلي بــيــتــشــكــلك

فلما سمع الشاب هذا خرج من الحلبة - حدثني بهذا المرحوم موسى الجريش من حاريص وكان معه في رحلته .

وهذه مشتقات عامية مبتكرة لهذا الناظم ، وهو محمود حداثا ، من قرية حاريص وله بها ذرية ، وسكن حداثا في آخر ايامه ، ونسب إليها ، وكان شاعراً زجلياً محلقاً ، وولده نعيم محمود قاسم أيضاً مثله ، واتفق أن ولده هذا كان ينظم للشباب في عرس المرحوم الشيخ محمود الفقيه ابن عم والدنا ، وهو جد محمود حسن الشيخ محمود ، وكان والده جالساً مع أهل السن ينادمهم ، فطلبوا من نعيم السكوت ، فلم يفعل ، فناداه والده :

غاب السبع ، ونام الضبع   وصار الواوي يتبرم

والتبرم : التبختر ، فشبت بينهما حرب أدبية ، لا يحضرنا منها الا هذا البيت ، وله قصيدة طبعت مكرراً فيها جدل مع شاعر زجلي مسيحي تحداه ؟

هو ى الأبيض جنني   والأسمر كواني بنار

عند ملاقات الدشمان   بنده مولاي حيدر

ثم رد عليه وسخر منه حتى أضحك الحاضرين عليه ، ومما يروي وينسب له أيضاً مضافاً إلى ما مر .

قد بساطك مد جريك   مش لازملك سجادة

واتفق أنّ المقدس شيخنا الوالد أعلى الله درجته ، عندما رجع من العراق الى جبل عامل سنة ١٣٢٩ هـ ومعه سماور ولم تكن السماورات معروفة ، صنع فيه الشاي ، فجعل شعراء الزجل يصفون المجلس والكرم ، ويمدحون الدّيوان ، وصاحبه ، وكان يبينهم أشعر اهل زمانة محمود حداثا ، وكان ساكناً ، فالتفت إليهم قائلاً عن لسان الوالد المرحوم قدس الله سره .

نحنا العوادل بالكرم هلينا
مثل الغوادي بالكرم هلينا
والضيف مذ أقبل لنا هلينا

والأُولى بمعنى الإبتداء ، نظير استهلال الحنين ، والثانية بمعنى الإغذاق ، والثالثة من أهلاً وسهلاً . والعوادل : يشير إلى أنّ عشيرتنا هي العوادل ، وهم فخذ من شمر ، أي عشيرة الممدوح ، لأنّه نظمه على لسانه مجيباً لهم ، ومحمود حداثا كان صفاراً ، يبيض أواني النحاس ، وكان محظوظاً ، ومات فقيراً ، رحمه الله . .

ومما يروي عنه أنّه ماتت له حمارة في قرية جويا ، فصنع لها مأتماً في يوم السوق ومعه أتباعه وتلامذته في الحرفة ، فجمع له مال كثير في ذلك اليوم حباً به ، واستملاحاً لدعايته ، فاتفق أنّه اقترح عليه إقامة أُسبوع لها ، فيقال : صنع ذلك في جويا أيضاً ، وافتتح المستهل بقوله :

يـوم أُسبـوعك يـا غـبـرا   مـا ظـل ولا مخـبـيـة

والمخبية : المرأة المحجبة ، يعني من أجل استعظام المصيبة خرجت المحجبات جميعاً لإقامة المأتم ، وينسب له كما ينسب للعلامة الشيخ محمد علي عزّ الدّين (ره) :

إن سبني النّذل ما ني نذل تا نسب
وإن غضني الكلب ، كيف شوفتك بعض الكلب ؟

وهذا المثل من أبرع الأمثال ، وأنفس الحكم ، يقول فيه : اذا شتمني السافل ، فلست بسافل كي تكون الشتيمة حقاً ، لأنّ مثلي لا يشتم ، واذا عضّني الكلب ، كيف ترى ؟ هل يحسن منّي مبادلته بالمثل ؟

وفي الزجل العراقي ، ويقال إنّه للحاج زاير النجفي :

يا الطالب كرون خاف اذنك تروح النّوب
عود اطبخ الفاس وارج من الحديدة مرك .

وتفسيره : يا من تطلب قرناً ، أخاف أن تذهب أُذناك هذه المرة ، ويشير إلى قصّة الحمار الذي انتطح مع الثور فغلبه ، فظن ذلك بواسطة القرون ، فذهب للحداد ليضع له قرنين ، فقص الحداد أُذني الحمار ، وهو مثل يضرب لمن يطلب زيادة في القوة من غير محلها ، ومعنى البيت الثاني : اتراني أطبخ الفأس ، وأنتظر دسومة حديدته ؟

ومنه قولهم ، ولعله قديم :

لا تـنـتـفـخ تـالي تـفش   قـبلك انـتـفخوا وفـشـوا

ويشير الى ان ابن آوى ينفخ نفسه ليعظم جسمه ، ويرهب خصمه ، وهذا المثل يخاطب به الجبار الذي تمادى في العتو والسلطة ، وقد ظهر هذا البيت أيام نوري السعيد لما عظم أمره ، فنظم أحدهم قصيدة زجلية على لسان الحيوانات بنحو الهزل ، وهي سياسية ، وجاء فيها هذا البيت .

الشعر :

الشعر الحقيقي تفيض به الروح معبرة عن واقعها ، والشعر العامي بعيد

عن الصنعة ، قريب إلى الواقع ، ولذلك ، يكون أقرب صورة لنفسية الشاعر ، وبيئته ، ويحمل أحياناً حكمة عالية ، مستلبة من صميم التجارب .

نسائيات وحكم

قيل لسقراط : من هي اعظم امرأة في نظرك ؟ قال : هي التي تعلمنا كيف نحب ونحن نكره ، وكيف نضحك ونحن نبكي ، وكيف نتبسم ونحن نتألم .

الزوجة المبذرة : سيارة عتيقة تضيع وقت صاحبها وماله .

الزوج الكريم : هو الذي يذكر عيد ميلاد زوجته ، وينسى مقدار عمرها .

قبل أن تركب البحر، ابتهل لله واستعذ به مرة واحدة على الأقل.

وقبل أن تذهب إلى ساحة الوغى، ابتهل لله واستعذ به مرتين على الأقل.

وقبل أن تتزوج ابتهل لله واستعذ به ثلاث مرات على الأقل .

عندما يكون الرجل أعزب ، يصعب عليه أن يعيش بلا راتب ، وعندما يتزوج لا يكفيه راتبه .

كان قدماء البابليين يقيمون للنساء سوقاً ، مرتين في السنة أمام ساحات معابدهم ، يتم فيها تزويج بناتهم بطريقة المزاد العلني ، وكانت الجميلات من النساء اذا حصلن على أثمان غالية ، تبرّعن بها لغير الجميلات ، ليدفعنها لمن يستامهنّ .

إنّ الام تحتاج إلى عشرين سنة لتجعل ولدها رجلاً ، ولكنّ الزوجة تستطيع أن تجعل زوجها طفلاً تعبث به وتلعب معه في عشرين دقيقة .

قال نابليون : الام التي تهز السّرير بيمينها تهز العالم بيسارها

قال الحكيم :أسهل شيء الدخول في العداوة، وأصعب شيء الخروج منها .

وقال امير المؤمنين (ع) : اعجز الناس من عجز عن اكتساب الأصدقاء .

وفي الأمثال : الف صديق قليل ، وعدو واحد كثير .

قالت الحكماء : خذ الحذر من الكريم اذا اهنته ، ومن اللّئيم اذا احرجته ،

ومن الأحمق اذا مازحته ، ومن التاجر اذا صادقته ، ومن المغفل اذا عاملته ، ومن الجاهل اذا حاججته .

قال بعض العارفين : المودة بين الصّالحين سريع اتصالها ،بطيءزوالها ، أما الأشرار فهم على خلاف ذلك .

قال عمر بن عبد العزيز : اذا أتاك متظلم قد فقئت عينه ، فلا تحكم له حتى يحضر خصمه ، فلعله فقئت عيناه جميعاً .

قيل : إنّ المسيح رأى شخصاً يسوق أربعة حمر محملة ، فقال له : ما صنعتك ؟

فقال : التجارة .

فقال : ما تبيع ؟

فقال : الجود .

قال له : فمن يشتريه ؟

قال : تشتريه الملوك .

قال له : ثم ماذا ؟

قال : الحسد .

قال له فمن يشتريه ؟

قال العلماء .

ثم قال له : ثم ماذا ؟

قال : الكذب .

قال : فمن يشتريه ؟

قال : النساء .

ثم قال له : ثم ماذا ؟

قال : الخديعة والخيانة .

قال : فمن يشتريها ؟

قال : التجار .

فقال له المسيح : صدقت.

الفقر والغنى والدّين والعقل

إجتمع العقل والدّين والشرف والغنى والفقر مرة ، وتحدثوا ، ثم افترقوا ، فقال بعضهم لبعضهم : إذا احتجتك فأين أجدك ؟

فقال الفقر : تجدونني في الكوخ ، وفي قلوب أهل الطمع .

وقال الغني : تجدونني في القصور الشامخة ، والنفوس القانعة .

وقال الدّين : تجدونني حيث يكون العقل .

وقال العقل : تجدونني حيث يكون الصّبر .

وأما الشرف فإنّه بقي صامتاً ، فقيل له : لما لا تتكلم ؟

قال : لأنّني لا أحل مكاناً ، وأرتحل عنه ، ثم أعود إليه ، واذا كان لا بد ، فإنّكم تجدونني حيث يكون العقل ، فكان الصّبر هو ملتقى العقل والدّين والشّرف والغنى ، لأنّ القناعة ضرب من الصّبر .

حجر وطين

من الكتاب السابع : المحاجات والمخاصمات

المحاججات والمخاصمات

حدّثني أحدهم أنّ جماعة من أهل المذاهب اجتمعوا ، وبينهم رجل مادي ، فالتفت إلى المسلم وسأله :

بماذا تدين ؟

قال : بالإسلام .

قال : وما هو الإسلام ؟ فشرحه له .

فقال له الملحد : إنّ ربّك اذا كان قادراً ، فليأمر هذا الإبريق الموضوع على المنضدة أن يأتي إلينا ، ويطوف علينا واحداً واحداً ، وأنا أعترف به ، وأدين بدينك .

فقال المسلم : إنّ ربّي حكيم ، وإنّ من حكمته إسعاف العاجز ، وأنت ، لما علم بعجزك عن تكوين الأثمار والحبوب مع حاجتك إليها أنبتها وكوّنها لك ولكل عاجز من مخلوقاته ، وأما الإبريق ، فإنّه لما خلق لك جوارح تستطيع بها جلبه إليك ، كان إتيانه به إليك عبثاً ، وهو منزّه عنه ، ولا سيّما بعد أن كانت قدرتك بجوارحك من فعله لا فعلك ، فهو في الحقيقة أعانك ، ففرح الجميع وهتفوا بحياة الإسلام ، واعترفوا له بالتفوّق في الإحتجاج والخصام .

حدّثنا صديقنا العلاّمة السيد صادق الهندي أنّ أحد فضلاء المصريين زار بغداد واتجه إلى سامراء ، وزار السيد صادق الهندي في المدينة المعروفة باسم (بلد) قرب مقام السيد محمد ابن الإمام عليّ الهادي عليه السلام ، فبينما هم يتحدّثون ، صعد المؤذن لمأذنة وشرع في الأذان ، فلما انتهى إلى قوله : أشهد أنّ عليّاً وليّ الله ، التفت المصري إلى السيد قائلاً له :

هل كان هذا يقال على عهد رسول الله (ص) ؟

فقال له السيد : الظاهر أنّ الأذان يقبل الزيادة والنقصان ، فلقد كان المؤذنون على عهد النبيّ (ص) يقولون :

(حيَّ على خير العمل)

فغيّرها الخليفة الثاني عمر ، وأبدلها : بـ(الصلاة خير من النّوم) ، فعلمنا من هذا جواز التبديل والتنقيص والزيادة ، فسكت ، ولم ينبس ببنت شفة .

حدّثني السيد صادق الهندي في الصّحن الشّريف في النّجف نهار الخميس ضحى ٢٨ ذ ح سنة ١٣٧٩[1] هـ ، أنّ قائمقام سامراء وهيئة الحكومة زاروا قبر السيد محمد ، وكانت غايتهم تعديل الطّريق لأجل تمهيدها لمرور آية الله المرحوم السيد أبو الحسن الإصفهاني ، وكانت هذه الزّيارة آخر زياراته لسامراء ثم سألوا عن دار السيد صادق الهندي ، فأرشدوه إليها ، وجاء بعض أهل البلد مسرعاً يخبر السيد ظنّاً منه أنّ السيد يجد أهمية لذلك ، فوصلوا وجلسوا ، وحدّثوا عن اهتمامهم بزيارة السيد ، وكان مع القائمقام عثمان الشيخ سعيد أحد مدرّسي العامة في سامراء ، وكأنّهم يجدون أنفسهم مفضلين على العلماء بهذه العناية . . .

قال السيد صادق : فسكتنا هنيهة ، ثم رفعت رأسي ، وقلت : سؤال يجول في نفسي ، وأرغب في التفكير في الجواب عنه : إنّ مصر أقدم استقلالاً من العراق ، وأكثر نفوساً ، ولها شهرة في التقدم والثقافة لا تنكر ، والعراق ناشىء مستجد في كل هذه الأُمور ، فبأيّ شيء وبأيّ سبب أصبح العراق يسابق مصر ويزاحمها ، ويدعي الأفضلية ؟

فسكتوا جميعاً ،

قال : فقلت : أظنّ ذلك بأمور :

أوّلها : أنّ العراق كانت داراً للخلافة الإسلامية في عواصمها الثلاثة : الكوفة وبغداد ، وسامراء ، فإنّها من أُمّهات العواصم الإسلامية .

ثانيها : قبور الأئمّة التي يقصدها المسلمون من شرق الأرض وغربها في مواسم خاصة للزيارة والتبرّك .

ثالثها : أنّ المستعمرين يعتمدون في زيادة الوارد والصادر على أُمور كثيرة ،

---

١ ـ تاريخ السنة غلط بلا ريب ولعله سنة ١٣٦٥ .

والعراق لديه ثروة كبرى بواسطة وجود جامعة النجف . . ثم قال : إنّ هذا الإنسان الذي تحتفي به الحكومة تعادل نفقاته المستوردة إلى العراق من خارجه ميزانية دولة ، إنّه أنعش ألوية في العراق بهباته في هذا الظرف الإقتصادي العصيب .

وقد زرت السيد صادق في هذا الشهر عصر الأربعاء عشرين ذي القعدة سنة ١٣٨١ هـ في بغداد في الكرادة ، فحدّثني أنّ الدّعاية للدّين المسيحي لا تزال في نشاطها ، وأنّها تتخذ أساليبها المتجدّدة مع الزمن ؛

ففي المستشفيات تمثال لمريم تحمل طفلها، وكلما جاء مريض للمستشفى يدخلونه غرفة التمثال ، ويعوّذونه، ويطلبون منه التوسل بها، والنّذر لها إذا برىء من مرضه .

ومنها : إنشاء مدارس ، وأهمّها روضات الأطفال ، فإنّ الطفل اذا دخلها يجد فيها المتع التي تتناسب معه ، ثم يعلمونه صلاتهم ، فيصلب على صدره الآب والإبن وروح القدس .

قال : وإنّني أحسست بهذا ، فبادرت إلى هذه المنطقة ، وأنشأت بها روضة ، فما كان منهم الا أنّهم أنشأوا روضتين في مكانين آخرين .

ومنها : أنّهم يزورون البيوت ، فتقف الهيئة أمام البيت ، وتأخذ رقم الدّار ، ويسألون عن اسم الشخص وكنيته ، ثم يستأذنون في الدّخول ، فيشرعون في حركتهم التبشيرية ، وهو حديث واحد يلقيه المبشر ، فيتفق أنّ بعض أصحاب البيوت يسيء الجواب ، أويكثر المناقشة ، فيسكت المبشّر حتّى ينتهي ، فإذا سكت لم يجبه بشيء ، ويستمر بعدها في إتمام حديثه كأنّه لم ينقطع ، وربّما يقطعه المستمع مرة أُخرى ، وهكذا يعود المبشّر إلى سيرته الأُولى ، فإذا أنهى حديثه ، قدم جملة من الكتب لصاحب البيت قائلاً : هذه هدية مجاناً ، إن أحببت أن تساعد وتتصدّق بشيء ، فذلك فضل منك ، والا فهي هدية ، والعرب مطبوعون على الحياء والسّخاء ، فيساعدونه بالمال وقد يحفظون الكتب التبشيرية ، وقد يمزّقونها .

وفارقناه بعد لقاء ساعة ، متأثرين بمشاعره وإحساساته ، حفظه الله تعالى .

في ١٣ ذي الحجة ١٣٨٤ هـ الموافق ١٤ نيسان ١٩٦٥ م ، كنت في مطار جدة بعد عودتي من مكة المكرمة ، فمرّ بي شابان طويلا القامة أفريقيان ، تبيّن فيما بعد أنّهما من نيجيريا ، فسلّما ، ولما أتما السلام ووقفا هنيهة ، دعوتهما للجلوس ،

وقدّمت لهما سيكارة ، فقال أحدهما :

لا أشربها ، لأنّ شربها حرام أو كفر .

فقلت له : ولماذا كان حراماً ؟

فقال : لأنّ رسول الله (ص) لم يشرب السيكارة .

فقلت له : هل تشرب الشاي والقهوة ؟

قال : نعم .

فقلت له : إنّ رسول الله (ص) لم يشرب الشاي ولا القهوة ، فكيف تشربهما أنت ؟

فقال : هذا لم يكن موجوداً في زمان الرّسول .

فقلت : والسيكارة لم تكن موجودة أيضاً .

فتبسّم صاحبه ، وقال : السيكارة مضرّة ، والله يقول : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ ،

فقلت له : أنت لا تشرب ، وأنا أشربها بكثرة ، وأراني على شيخوختي وصغر سنّك أقوى منك بنية وأتم عافية .

فسكت ثم قال : قال الله تعالى : ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشّيطان﴾ والسيكارة من خطوات الشيطان . . .

فقلت له : إذا قلت لي إنّك رأيت الشيطان يشرب سيكارة ولو مرّة واحدة وحلفت لي على ذلك . تركت السيكارة ، ثم قلت له : أما أنا فلم أره أبداً ، وأستطيع أن أحلف لك على ذلك .

فضحك رفيقه ، وكان رفيقه بين حين وآخر يطلب منه الإنقطاع والاستمرار في السير ، كما أنّه كان يستحسن ما أقوله منذ بدء الحديث ، وقلت له إسمع :

قال رسول الله (ص) : « كل شيء لك حلال حتى تعرف أنّه حرام » والسيكارة شيء لم أعرف أنّه حرام .

وقال الله تعالى : ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ والسيكارة شيء في الأرض ، خلقه الله لنا .

وقال الله تعالى : ﴿قل من حرّم زينة الله التي أحلّ لعباده ، والطيّبات من الرّزق﴾ ، وأنا أُقسم لك أنّني أستطيب السيكارة ، وكذلك كل من يشربها . .

فمضى لسبيله وقال نجتمع في وقت آخر . . .

ثم عاد وأنا في مجلسي ، فقال لي : لنا معكم كلام وكلام وكلام ، وحديث وحديث وحديث يطول . فرحبت به وقلت : يظهر أنّ صاحبك أعلم منك ، والواقع أنّ صاحبه لم يتكلم ، ولكنّه يفقه الكلام ، ويلتفت إلى مواقع الأدلة وسلامتها .

ثم أنه بعد الزّوال ، عاد إليّ إلى الغرفة التي أُقيم فيها ، ومعه ثلاثة حجازيين ممن يعملون في المطار ، وكان معي الحاج محمود شاهين ،وابن شقيقتنا الحاج نايف الفقيه ، وابن عمّنا الحاج محمد أحمد الفقيه أبو غسان .

فجلس وقال : أنا أُخاصمكم في السيكارة ،فرحبت به ، ثم نقلت شطراً من كلامه للحاضرين ، وقلت : إنّه يقول : إنّ رسول الله (ص) لم يشرب السيكارة لذلك يكون شربها حراماً ، ونحن نقول له : إنّ رسول الله (ص) لم يشرب الشاي ولا البيبسي ولا عصير البرتقال ، ولا ولا ، فكيف يستحله هو ؟ فوافق الجميع على ذلك .

فقال لي : أنت جعفريّ ؟

فقلت له نعم .

فقال : أنا أو نحن لا نعرف الجعفري ولا نعرف عنهم شيئاً .

فقلت له : الإسلام عبارة عن الشّهادتين ، فمن قال : أشهد أن لا إله الاّ الله وأنّ محمداً رسول الله صار مسلماً ، وحرم دمه وماله وعرضه ، ونحن الشيعة نقول ذلك ، ونقول : كل من قال ذلك فهو مسلم نرثه ونورثه ، ونزوجه ونتزوج منه ، والإسلام دين واحد ، ومذهب واحد ، وليس مذاهب أربعة ولا خمسة ولا ستة ، وهذه التفرقات من أهواء السّاسة ، يتخذونها مطية للوصول إلى الفتك بخصومهم ، فيضغطون على رجال الدّين ويأمرونهم بتكفير خصومهم من المسلمين ، ليوهموا جنودهم وأتباعهم أن الحرب أو التنكيل بهؤلاء الخصوم عمل ديني يؤجرون عليه .

أما نحن الجعفرية فلا يمكن أن نغيّر ولا أن نبدل ولا أن نستحل شيئاً مما حرّمه الله، لأنّنا نسير على هدى أهل البيت ونحبّهم ونواليهم ونتّبعهم، وهم لا يفعلون شيئاً من هذا.

فقال : ونحن نحب أهل البيت (ع) ثم روى حديثاً في لزوم الولاية .

فقلت له : ما اسمك ؟

قال : الشريف احمد ابن الشريف علي ، وجعل يحصي نسبه ، حتى كاد يلحقه برسول الله (ص) .

فقلت له : أنت سيد علوي ؟

قال : نعم .

فقلت له : يا سيد احمد . . إنّ ذنب الشيعة عند إخوانهم المسلمين أنّهم يحبّون أجدادك ويوالونهم ، ثم قال لي : هات يدك ، فوضع يده في يدي ، وقال :

أنا على مذهب الشيعة في معنى الإسلام وفي معنى الولاية ، وكان معه جماعة من عمال المطار السعوديين ، فخرجوا مسرعين ، ثم أنني سألته عن نيجيريا وأهلها وحكامها ، فقال :

هم نحو من خمسين مليوناً ، ويحكمها الكفار ، ولا بد أنّ نقتلهم ، وكرّر هذه العبارة . . .

وهذان النيجيريان شابان شديدا السّمرة ، نحيفان ، طويلان ، تلاحظ الدّقة في سواعدهما وساقيهما . .

في محرم من سنة ١٣٨٥ هـ ، زارنا في حاريص الشيخ أحمد الأنطاكي الحلبي ، الذي استبصر قبل مدة ، وهو من أهل العلم، ولاقى من قومه ما لاقى ، واهتدى به وبأخيه الشيخ خلق كثير . .

كان يحدّث ، فقال : قال الله تعالى : ﴿ما آتاكم الرّسول فخذوه ، وما نهاكم

عنه فانتهوا﴾ فنحن نستدل على حجية قول الرّسول (ص) بهذه الآية ، ولكن آيَةَ آية في كتاب الله تدل على حجية أقوال الأئمّة الأربعة ؟؟

إجتمع عالم شيعي مع جماعة من علماء السنة ، فتساجلوا الحديث ، والحديث ذو شجون ، حتى انتهوا إلى اختلاف المسلمين وتفرّقهم ، فقال العالم الشيعي :

إنّ المسلمين من الصّدر الأول لم يوحدوا خطوطهم في عالم السياسة والتوجيه ، وعندما تتشعّب الخطوط ، يضيع الصّواب ، ويختلف الرّأي ويشتد الخلاف ، فقالوا :

وكيف ذلك ؟

قال مثلاً : تخلف أبو بكر بدعوى اتفاق أكثر أهل المدينة عليه ، وهم أهل الحل والعقد ولا ريب أن الإجماع الذي تخلف عنه مثل عليّ والعباس وسعد وغيرهم من اتباعهم ليس إجماعاً وقد سكت عنهم الحزب المعارض لأنّهم انشغلوا بحرب أهل الردة والمحافظة على القوة التي تركها النبيّ(ص).

ولما انتهت حياة أبي بكر ، عهد بالخلافة إلى عمر بطريق الوصاية ، وهنا زاد الحماس عند أتباع الحزب المعارض ، لأنّ الخلافة إن كانت بالوصاية بطلت خلافة أبي بكر ، وإن كانت بالإجماع بطلت خلافة عمر ، ثم انشغلوا بالفتوح ، ولكنّهم لم ينسوا أمر الخلافة ،

فلما مضى عمر عدل إلى طريق ثالث ، وكان فيه تحيّز واضح إلى جهة عثمان ، ولا سيما وأنّه ألزم ترجيح الكفة التي فيها عبد الرّحمن مع أنّ عبد الرحمن ليس أهم من غيره .

وهنا ، كثر التساؤل حول الخلافة وتسييرها ، وأصبح كل متنفذ من المسلمين يطمع في الوصول إلى الحكم ، وبالطبع ، فإنّ نواياهم ليست على نهج واحد ، فإنّ فيهم المخلص ، وفيهم من يحب الملك والإمرة ، وفيهم من يستنكف في تقديم غيره عليه ، فصار معاوية يفكر في استخلاف مثل يزيد وصار مثل مروان طريد رسول الله يحدّث نفسه أنّ يمثّل رسول الله صلّى الله عليه وآله .

فأنا أعتقد أنّ هذا العمل هو الذي أوصل المسلمين إلى ما هم عليه ، وهو

الذي حرك طلحة والزبير للخروج على إمامهم بعد بيعته وحرك معاوية للخروج عليه بعد إجماع الصّحابة والتابعين ، وسائر الأقطار الإسلامية ما عدا الشام .

فان ذلك كله هو الذي فتح باب الخروج على من اتى بعدهم من الخلفاء وساعد على تصاعد الفتن .

ثم أنا لم أزل أُفكر ، وأُحب أن تجيبوا على هذا السّؤال الذي يتصل بالعقيدة أكثر من اتصاله بأوضاعنا الحاضرة ، واذا سألنا سائل وقال :

إذا كانت الخلافة بالإنتخاب ، بطلت خلافة عمر وعثمان وإذا كانت بالوصاية بطلت خلافة أبي بكر ، وإذا كانت بالشورى بطلت خلافة أبي بكر وعمر ثم أعاد قوله : اذا سألنا سائل عن هذه المسألة فبماذا نجيبه ؟

فسكتوا جميعاً وقال بعضهم : إنّ هذا السؤال يصعب الجواب عليه ، وليس لنا الحق في البحث عن أحوال الصّحابة .

فقال له اخر : إنّ الله فتح لنا باب البحث عن أحوالهم ، فقد أنزل في سورة براءة وفي سورة المنافقين وغيرهما أُموراً كثيرة في شأن جماعة من الصّحابة ، وهدّدهم وحذّرهم ، ورماهم بالنفاق ، فهل يصح لنا بعد هذا أن نسكت عنهم ؟ هذا مضافاً إلى أنّ الصّحابة أنفسهم ، كان ديدنهم توجيه اللّوم والملاحظات على بعضهم بعضاً في حياة النبيّ (ص) وبعده وقصّة عمر مع خالد بعد قتله مالك بن نويرة أشهر من أن تذكر ، وتجمهر عظماء المسلمين وسوادهم على عثمان بعد توجيه انتقاداتهم عليه وعلى من أحاط به أوضح من ذلك فقد أدى ذلك كله إلى مصير عثمان المعروف . وهو أسوأ أنواع المصير وكان طلحة ومعاوية أشد من غيرهم عليه وعلى عليّ (ع) ، وكان عليّ (ع) نفسه قد وجه على من سبقه في خطبته المعروفة بالشقشقية وعلى طلحة والزبير وأتباعهم مثل ذلك . . فسكتوا ، ولم يجب أي واحد منهم بجواب .

حدّثني آية الله المرحوم السيد أبو القاسم الكاشاني عندما كان منفياً من إيران ومقيماً في بيروت ، أنّه وجه سؤالاً إلى آحاد ، وهو :

إذا كانت الخلافة باتفاق أهل الحل والعقد من أهل المدينة ، بطلت خلافة عمر وعثمان ، لأنّ خلافة عمر كانت بالوصاية ، وخلافة عثمان بالشورى ، ونتيجة

الشورى خنق حرية الرأي ومنع جميع المسلمين من التدخل في شؤون الخلافة ماعدا ستة أشخاص ، وإذا كانت بالوصاية ، بطلت خلافة أبي بكر . .

قال : ووجهت هذا السؤال إلى كثير من علماء السنة ولم يجبني عليه أحد بجواب شاف .

حدثني الشيخ عبد الحسين مروة ابن المرحوم الشيخ محمد حسين الحافظ أنّ والده كان في عكا ، وأنّ الحاكم هناك قرّبه وأدناه وأنّ أحد الزّعماء المسمّى حسين الهادي التقى به واحترمه ، وأنّ شيخاً دعا حسين الهادي إلى وليمة وقال له : لا أقبل الا اذا حضر معنا الشيخ العاملي ، فسأل عن مكانه ودعاه فقال له :

وأنا لا أقبل الا بشرط ،

قال : ما هو ؟

قال : أن تسب معاوية .

ففعل ، فلما اجتمعوا في الوليمة كان ثمة شيخ ، فوجه سؤالاً للحافظ ، فمنعه حسين الهادي ، وقال له : لا (لا تبلش) ، تعني لا توقع نفسك في المهلكة ، فأصرّ ، وأخيراً قال : ألم تكن خلافة أبي بكر بإجماع المسلمين ؟

قال بلى .

قال : فهل عندكم إشكال في هذا الإجماع ؟

فأجابه الشيخ على الفور وقال له : إنّ أهل الحجاز واليمن هم الذين أجمعوا على خلافة أبي بكر ، ولكنّ الحجاز واليمن ومصر والعراق أجمعوا على قتل عثمان وتكفيره ، فإن كان الإجماع حجة ، ثبتت خلافة أبي بكر ، وثبت كفر عثمان ووجوب قتله ، وإن لم يكن حجة ، لم يجز قتل عثمان ، ولم تثبت خلافة أبي بكر ، فاختر ما شئت ، فسكت ولم يحر جواباً[1]

حجر وطين

حدثنا أبو أنور ملحم الحاج يوسف من زغرتا المتاولة أنه تنازع مع بعض علماء السنة من قرية قريب بلدتهم في أفضلية عليّ عليه السلام ، فأنكرها الشيخ السنّي ، وادعاها أبو أنور لعليّ (ع) ، فقال له الشيخ :

ما الدّليل ؟

فقال له أبو أنور : أنا رجل من العوام لا أعرف ، ثم قال : كيف نصلّي على النبي اذا ذكرناه ؟

قال: نقول اللهمّ صلِّ على محمد وآله وصحبه ،

فقال له أبو أنور : لِمَ لا نقول اللّهم صلِّ على محمد وصحبه وآله ؟

فقال الشيخ : يا إبني هذا ما يصير ،

فقال له أبو أنور : حكمت نفسك ، لو كان الأصحاب أفضل من الآل لقدّمهم في الذّكر ، وعليّ هو سيد الآل ، فولى الشيخ مدبراً وقال : يا أخي روح عنّي ما أعرف . . روح عنّي . .

ليلة الإثنين ١١ شوال ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٧ م ، حدثني السيد أبو الحسن الموسوي في دارنا في بيروت ، أنّه اجتمع بشيخ من علماء العامة ، فقال له :

إنّ محاضراتك تعجبني ، وإنّني ألمح فيك إنساناً مربياً .

ومهنة السيد أبو الحسن قراءة عزاء سيد الشهداء ، ومن المعلوم أنّ هذه المجالس مدرسة سيارة وإذاعة متنقلة .

فقال له الشيخ : غير أنّي أراك لا تذكر فضائل المشائخ الثلاثة .

فقال له السيد : أنا أقرأ ما ثبت عندي تاريخياً ، فإن كان لديك شيء ، أرجو أن تعلمني به .

فقال الشيخ : نعم ، مثلاً : الحديث المروي : « أنا مدينة العلم وعليّ

بابها » أنتم تنقلونه هكذا مبتوراً ، مع أنّ الحديث له تتمة ، وهو أبو بكر سقفها وعمر حيطانها وعثمان أرضها .

فقال له السيد : إنّني أعجب منك ، كيف ترضى بهذا الحديث ؟ إذا كان الحديث كما ذكرت ، فماذا بقي من المدينة لمحمد (ص) ، وأي فخر له ؟ وتوسع في الإيضاح والبيان ، فبهت الرّجل . .

وهذه الزيادة لا تصح نسبتها للنبي (ص) فالنبيّ الحكيم منزه عن اللغو والهذر ، وهذه الزيادة فارغة من المعنى ومخالفة للعرف أيضاً فأيّ مدينة لها سقف حتى يقول النبي (ص) وأبو بكر سقفها ، ومعنى الحديث الشريف واضح لا لبس فيه وهو يأبى هذه الزيادة ، فالنبي شبّه علمه بالمدينة المحصّنة التي لا يستطيع أحد الولوج فيها ، ثم حصر الطّريق للأخذ من معارفه وعلومه بعليّ عليه السّلام حيث شبّهه بباب المدينة ليقول للناس : إنّ الطّريق لمعرفة الإسلام وأخذ الأحكام الإلهية منحصر بالإمام من بعدي وهو علي بن أبي طالب ، وفيه إبطال صريح لإمامة غيره . وعلى هذا فما الفائدة من التشبيه بالسّقف إن كان للمدينة سقف ، وكذلك بالأرض ، وأسوأ من ذلك الحيطان فإنّها تمنع من دخول المدينة والإستفادة منها ، فإن صحت هذه الزيادة ـ وهي لا تصح ـ لكان المعنى إنّ عمر بن الخطاب مثله مثل الحاجز الذي يمنع المسلمين عن أخذ دينهم من منبعه الأصيل وهو الرّسول صلى الله عليه وآله .

ثم انتقل إلى حديث آخر ، وهو أنه : من مات ولم يعرف إمام زمانه ، مات ميتة جاهلية ، هل هذا صحيح ؟

فأجابه السيد : نعم ، ثم تجادلا . . والحقيقة أنّ هذا الحديث مشهور ومروي عن صحيح مسلم وغيره من كتبهم ، ويروون في معناه لا بالنص كثيراً من الأحاديث الصحيحة عندهم ، وإنّ أهل السنة اليوم لا يعرفون إمام زمانهم .

حدثني الشيخ عبد الحسين مروة ابن الشيخ محمد الحافظ أنّه سافر في شهر رمضان من النبطية إلى صور ، فبينما هو يتناول الطّعام ، دخل عليه شخص وقال له :

شيخ ويفطر في شهر رمضان .

فأجابه : إنّني مسافر .

فسأله : من أين وإلى أين ؟ وبماذا ؟

فقال له : من النبطية إلى صور بسيارة .

فقال له : المسافر بالسيارة لا يتعب ، لأنّه لم يركب حماراً ولا بعيراً ، فلماذا يفطر ؟

فأجابه الشيخ قائلاً : أسألك مسألة فأجب عليها .

قال : سل .

فقال الشيخ : هل السّفر يوجب الإفطار من جهة التعب أم من جهة قطع المسافة ؟ فإن قلت من جهة التعب كان اللازم أن يفطر العمال وأصحاب الأتعاب في شهر رمضان لأنّهم يتعبون أكثر من المسافر الراكب على الفرس أو في المحمل ، وإن قلت من جهة قطع المسافة ، لم يختلف الحال بين كونه راكباً بعيراً أو فرساً أو طيارة .

فلم يجب وأدبر ليخرج ، فصار الشيخ يناديه : الجواب . . الجواب . . فلم يجب .

قال سني لشيعي : يا مخالف .

قال الشيعي : لماذا صرت أنا مخالف ؟

فقال : لأنّ الشيعة خالفت في الأذان ، وزادت عليه : أشهد أنّ علياً وليّ الله .

فقال له الشيعي : • واذا كان غيرنا خالف في الأذان يكون مخالفا ؟

قال نعم .

قال : الخليفة عمر هو أول المخالفين ، لأنه خالف في الأذان مرتين ، لأن الأذان كان على عهد رسول الله (ص) فيه : (حيّ على خير العمل) ، فنقصها عمر منه ، وزاد فيه : (الصلاة خير من النوم) فأنت إذن لست على مذهب عمر

ولا على مذهب الشيعة ؟ فلم يستطع أن يتكلم شيئاً .

قال سنّي لشيعي : لماذا خالفتم وزدتم : أشهد ان علياً وليّ الله في الأذان .

فقال له : إرغاماً لآناف الأمويين الذي أمروا بسبّ عليّ على المنابر ، فالذنب عليهم لا علينا .

والسائل مهندس بيروتي ، والمجيب عامل اسمه يونس سبيتي من كفر صير .

قال سنّي لشيعي : يا مخالف .

فقال الشيعي : لماذا . فقال : لأنّكم تقولون في الأذان : أشهد أنّ عليّاً وليّ الله وهذا شيء ما كان على عهد رسول الله .

فقال له الشيعي : أنا مخالف مرّة ، وأنت مخالف مرتين ، لأنكم تقولون في الأذان : الصلاة خير من النوم ، وهذا شيء ما كان على عهد رسول الله ، فنحن زدنا شيئاً واحداً وأنتم نقصتم في الأذان وزدتم ، فأنتم أحق باسم المخالف .

الخميس ١٥ محرم ١٣٨٩ هـ زارني الحاج حامد سبيتي أبو أحمد ، وهو رجل عامي يحفظ المواعظ وينظم الشعر باللغة الدّارجة ويتمنطق ، ويجيد الوعظ ، وسنحكي عنه الكثير في هذا الفصل إن شاء الله ، حدثني فقال : كنت على جسر القاقعية في البستان الصغير العائد لي ، وهو قريب مخفر الجيش وكان الرّقيب ومن معه كلهم من ابناء السنة ، فنادى جاري كاملاً ، وقال له :

أين كنت يوم الفلة ؟

والفلة اسم ليوم عاشوراء ، وسمّي فَلّة لترك الناس أعمالهم فيه .

قال : فعلمت أنّهم يريدون التحرشّ به .

قلت لهم : أسألكم مسألة ، هل يمكن أن يكون الشخص يحبّني ويكره ولدي العزيز عليّ ؟

قالوا : لا .

قال : كثير من الناس يزعمون أنّهم يحبون الوالد وهم يكرهون ولده .

قالوا : هؤلاء كذّابون .

فقال : إنّ يزيد وبني أمية يزعمون أنّهم يحبّون النّبي (ص) وقتلوا ولده

وذريته وأسروا عيالهم ؟ أصحيح أنّهم يحبون النّبي ؟ يا إخوان . . النبي قال : حسين منّي وأنا من حسين . . وأطال البيان .

قال الشيخ حامد : فاحتضنني الرّقيب ، وصار يقبلني ويقول : جزاك الله خيراً ، الله يكثر أمثالك . . لولاك ولولا أمثالك كنا ضائعين .

روى هذا الحديث باللغة الدّارجة ، وله فيها روعته وأُسلوبه .

في يوم الأحد ثمانية رجب سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٠ ايلول ١٩٦٩ م ، حدّثني أخي العلامة الشيخ علي الفقيه أنّ السيد حسين صفّي الدّين ، المهاجر الى الكويت ، سأله بعض الشيوخ مسائل ، قال له : إنّكم تسبون الخلفاء الرّاشدين .

فقال له : الخلفاء الرّاشدون عندنا ثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان .

قال له الشيخ : وعليّ منهم .

فقال السيد حسين : كلا ، لأنّ علياً كرم الله وجهه لم يسجد لصنم قطّ ، ولم يشرك بالله طرفة عين أما الآخرون ، فإنّهم سجدوا للأصنام ، وأشركوا بالله ، ولذا سموا راشدين ، لاهتدائهم بعد الضلال ، ولذا ايضاً نقول عند ذكرهم : رضي الله عنهم وكونه يرضى اولاً شيء بيده سبحانه لا بأيدينا ، ونحن لا نسبّهم ، ولكن نقول : اللهم العن كل من ظلم محمداً وآل محمد ، ولا أظنك تخالفني في ذلك . .

فقال له الشيخ : الحسين استشهد منذ ألف وثلاثمائة سنة ونيفاً ، فلماذا في كل سنة تقيمون له مأتماً وذكرى ؟

فأجابه السيد حسين : إنّ الحسين له فضل عليك ، لأنّك لولاه لم تلبس العمة ، ولم تصر شيخاً ، ولم أُعظمك أنا وأمثالي ، فإنّ يزيد كان ينوي محو الإسلام ، ولولا نهضة الحسين (ع) لفعل ما أراد .

فقال له الشيخ : أظنّ أنّ الحسين كان يعلم الغيب ، فأجابه السيد لعله كذلك .

فقال الشيخ : فلماذا سأل اصحابه عندما وصل كربلاء قائلا :

ما اسم هذه الأرض؟ فقيل له : نينوى ، فقال لهم: هل لها أسم آخر ؟ الخ .

فأجابه : إنّ الله الذي خلق الحسين (ع) يعلم الغيب ، ومع ذلك صدر منه مثل هذا السّؤال ، فقال مخاطبا نبيه موسى (ع) : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ ، أتراه كان جاهلاً بما في يده ؟ . .

في شهر محرم سنة ١٣٩١ هـ الموافق آذار سنة ١٩٧١ م ، حدّثني الحاج حسن كنج ابن المرحوم المبرور الحاج محمد أمين كنج ، من آل كنج المقيمين في الشياح من ضواحي بيروت ، أنّ صهرنا الفاضل الشيخ جعفر الصّائغ عندما كان مرّة من المرّات في المغرب اجتمع بثلة من علماء الدّين وفيهم وفد مصري ، فلما رأوا زيّه وبزّته عرفوه أنّه ليس منهم ، فسألوه عن مذهبه ، فأجاب : إنّه جعفري .

قال احدهم : إنّ الجعفرية يحللون المتعة ، وإنها هي الزّنا بعينه .

فقال لهم الشيخ جعفر : ليكلمني واحد منكم لئلا يضيع الصّواب فتقدّم رئيس الوفد ، فقال له الشيخ جعفر : أسألك فأجبني .

فسأله : الخليفة هل له صلاحية التشريع ؟ أو لا ؟ أجبني عن هذا السؤال لأجيبك عن المتعة ، واختر ما شئت .

فقال المصري : نعم له صلاحية التشريع .

فقال له الشيخ جعفر : سلّمنا معك ، لا ريب أنّ المتعة كانت على عهد رسول الله (ص) وأحلها القرآن بقوله : ﴿ وما استمتعتم منهن فآتوهنّ أجورهنّ ﴾ ، ولا ريب أنّها بقيت مدة حياة الرّسول (ص) وطيلة خلافة ابي بكر وشطراً من أيام خلافة عمر ، فحرّمها تشريعاً منه بقوله : متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا محرّمهما ومعاقب عليهما ، فصارت حراماً ، ثم بقيت حراماً في عهد عثمان كما كانت في عهد عمر ، فهل ترى أنّ هذا التحريم نافذ من خليفة المسلمين؟ قال نعم نافذ . فقال له الشيخ جعفر ثم جاء عليّ بن أبي طالب وهو خليفة ويجب اتباع احكامه في أيام خلافته ، ووجب على المسلمين اتباعه ، فحلّل المتعة ونسخ تشريع عمر ، ويجب على كل مسلم العمل بالناسخ لا بالمنسوخ ونحن اتبعناه

وغيرنا خالفه ، ولم يأت بعد ذلك خليفة يحرّمها ، وإنما اتبعوا عمر ، والمفروض أنّ حكم عمر أصبح منسوخاً بحكم الخليفة الذي جاء بعده كما نسخ هو قول النبي عندما حكم بعده . هذا مضافاً الى انه ليس لعمر ، ان يشرع ، وعمر نفسه يعترف بوجودها على عهد الرّسول (ص) ، ثم يستند التحريم لنفسه ، فنحن نأخذ روايته ونصدّق بها ، ولا نأخذ برأيه ، لأنّه لا يجوز الإجتهاد في قبال النّص ، ولا سيما بعد ما ثبت عن النّبي (ص) أنه قال : حلال محمد حلال الى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة . .

حدّثني بهذا الحديث أكثر من شخص ، وكانت الالفاظ مختلفة ، كما هو الشأن في طبيعة كل قصّة نرويها في هذا الكتاب .

حدثني الحاج إبراهيم هرموش أبو خليل من قرية مجدل زون أنّ فلسطينياً اختلف مع شاب في السفر وجعل يذكر أنّ السفر بالطّائرة لا يوجب الإفطار .

فقال له الشاب : أبو حنيفة كم كان عنده شهادة .

فقال : كان عالم .

قال له : يعني كان عنده سرتيفيكا .

قال : كان أعلى من ذلك .

قال : كان عنده بريفيه ؟

قال : كلا ، كان أعلى .

قال : كان عنده بكالوريا ؟

قال : كان اعلم ، كان إمام .

قال له : لا شك أنّه كان أعلم من الله ، لان الله لم يذكر الطّائرة في القرآن ، ولم يستثنها في السّفر ، وأبو حنيفة استثناها . .

وحدّثنا في هذه الليلة الشيخ خليل صادق أنّ المرحوم الشيخ صادق الظالمي العراقي ابن الشيخ رحُوم الظالمي أو قريبه ، جاء إلى لبنان ، وزار ابن الفاعور زعيم قبيلة في الجولان ، واتفق أنّه كان نائماً في المضيف ، فجاء جماعة من

العرب ، فقالوا :

من هذا النائم ؟

فقالوا لهم : هذا شيعي عراقي ، .

فقالوا : هذا ابن زنا ، لأنّ الشيعة لا يعقدون زواجهم على مذهب أبي حنيفة .

فزجرهم ابن الفاعور ونهاهم وحذرهم من هذا الشخص ، ثم نبهوه فانتبه ، فابتدأوا معه في الإحتجاج ، وكان قد سمع مقالتهم ، فقالوا له :

ما تقول في أبي حنيفة ؟

قال : ابن زنا .

فعظم عليهم ذلك .

فقال : أنا ما كذبت عليكم ، إنّ الذي عقد زواج أمه على أبيه لم يعقدها على مذهبه ، وأنتم تقولون : إنّ الذي يتزوج امرأة على غير مذهب أبي حنيفة ابن زنا . .

حدثنا الشيخ كامل سليمان في حاريص في ١٢ ع٢ / ١٣٨٥ هـ أنّ المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدّين دعا بشكوف على مأدبة طعام ، ولما لم ير فيها خمراً أنكر ذلك .

فقال له السيد : إنّه حرام .

فقال له بشكوف : كيف يكون حراماً وهو من العنب ، والعنب حلال .

فالتفت السيد اليه : وكانت مع بشكوف زوجته وابنته : فقال مشيراً إلى إبنته : هذه حرام عليك مع أنّ أُمها حلال لك ، وكذلك الخمرة حرام مع أنّ أُمها حلال .

وحدثنا أيضاً عن نفسه ، أنّه ذهب مع زمرة من المعلمين لتهنئة المطران بمناسبة عيد لهم ، فقدم لهم الخمر ، فتناولوه ، ولم يقدّم المضيف الخمر للشيخ كامل ، فقال المطران له :

قدم للأستاذ .

فقال : إنّه لا يشرب .

فقال للمضيف وكان قسيساً : حلّلها له .

فالتفت الشيخ كامل للمطران وقال : إنّه لا يقدر على التحليل والتحريم ، ولو كان قادراً لحلل لنفسه فتاة تملأ حضنه بالليل ، فضحك الحاضرون . .

دخل قسّيس على معمل ومعه كلبه ، فابتدره أحد العمال من الشيعة وطرده مخافة أن ينجسه فانزعج القسيس على حساب كلبه ، وقال له :

لماذا طردته ؟

فقال له العامل : لأنّه نجس في ديننا ،

فسكت القس ، ثم أراد إهانة العامل فقال له : للآنِ ما عرفنا هذا الكلب ، هل هو مسيحي أو مسلم ؟

فتشاغل عنه العامل قليلاً ، فأعاد عليه القسّيس السؤال فأجابه العامل :

معرفة ذلك سهل يا محترم المسلم لا يأكل لحم الخنزير ولا يشرب الخمر ، والمسيحي يشرب الخمر ويأكل لحم الخنزير ، فإن كان كلبك يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر فهو مسيحي ، والا فهو مسلم ، فضحك من حضر ، وأخذ القسيس كلبه ومضى . .

في ليلة الخميس ٧ شوال ١٣٩١ هـ حدثني الحاج أبو علي الحاج محمد سويد من بلدتنا حاريص أنّ جماعة من بعض القرى المجاورة لحاريص كانوا في الكويت مجتمعين وهم عمال يعملون بالنّهار ويسمرون بالليل ، فدخل عليهم راهب مبشّر ، فصار يتحدّث معهم إلى أن قال لهم :

أنتم مسلمون ، أليس الحيّ عندكم أفضل من الميت ؟

قالوا : بلى .

قال : ما تقولون في عيسى بن مريم هل هو حيّ أو ميت ؟

قالوا : حي .

قال : ما تقولون في محمد هل هو حي أو ميت ؟

قالوا : ميت .

فقال : أيهما أفضل .

فالتفت أحدهم وكان ساكتاً وقال : جوابه عليّ .

فقال للراهب : مريم العذراء هل هي حية أم ميتة ؟

فقال : ميتة .

فقال له : إن أُمي لا تزال في قيد الحياة ، فهي أفضل من مريم العذراء ،فقام وخرج ولم يتكلم بشيء .

سأل رجل نصراني احد علماء الشيعة وكان جالساً إلى جنبه في بغداد في بعض المناطق التي تمثل فيها فاجعة الطف ، فقال له : الحسين (ع) ابن بنت نبيّ وهو مستجاب الدّعوة عندكم ؟

قال : بلى .

قال : فما ضرّه لو دعا الله تعالى في هلاك الظلمة واستبقاء البررة الصّالحين من أصحابه وأهل بيته ؟

فهمّ العالم بالجواب وكان معه خادم يظلّل له من الشمس فقال : يا مولاي اسمح لي بالجواب فسمح له ، فقال له :

يا محترم . . الحسين دعا الله وابتهل إليه في ذلك فقال : أنت كذا وكذا ، أنا ابني عيسى دعاني وطلب منّي وما قدرت على تخليصه من الظّلمة فكيف بابن الناس .

السيد راضي القزويني ابن السيد صالح ابن السيد راضي القزويني النجفي خطيب لبق كان مريضاً وكان في مصح بحنس وبقي فيه ثلاث سنوات وله منادمات مع الياس الخوري :

منها : أنّه قال له مرة : أنت برئت وأُوصيك بكذا ،ثم أكثر من ايصبائه بالتروك فقال السيد :

أنا ذاهب الى عائلة تنتظرني لأقوم بنفقاتها ، وبمقتضى وصاياك سأكون كلاً عليها ، فأنا أرجو إبقائي عندك .

فقال له الياس : لا طريق لنا قانونياً ، نعم شقد صار عمرك ؟

قال : سبعة وخمسين عاماً .

فقال : تعالى صير مسيحي والجمعية تقوم بنفقاتك وكان الدكتور فلان يسمع ، وإلى جانبه الدكتور فلان ، فأسرّ إليه أنّ السيد لا بد له من الجواب ، لأنّه لم يبق مجال للجواب ، فالتفت السيد وقال للدكتور :

كم عمرك ؟

قال : خمسة وخمسين سنة .

فقال : أيضاً يكفيك مسيحي هذا المقدار ، فتفضل وصير مسلم لأجل ان يسب النصارى أباك وأمك ، وأنااصير نصراني لأجل أن يسب المسلمون ابي وأمي ، فضحكوا .

زيارة الحسين (عليه السلام) وحج بيت الله الحرام

سأل سائل : كيف يكون المستجيب أكثر ثواباً من الواجب ؟

والجواب : من طرق :

أولها : أنّه ممكن ذاتاً ، وقد دل الدّليل عليه ، فيجب قبوله .

وأما إثبات إمكانه فله طرق :

منها : أنّ المستحب قد يكون اعظم ملاكاً ، ويكون ثوابه على قدر ما فيه من الملاك ، وإنّما لم يصر واجباً لأنه زوحم بأمر مانع من ذلك ، وليس المزاحم أمراً وجودياً له ملاك ، بل هو نوع آخر .

مثلاً : ربما تكون صلاة الليل فيها ثواب اكثر من صلاة النهار ، ولكن لو أوجبها الله تعالى لكثر العصيان ، فيكون إيجابها سبباً للهلاك بخلاف الفرائض اليومية .

ومنها : أنّ الواجب ، لما كان العبد ملزماً به ، لم يكن مستحقاً للفيض والفضل ، لأنّ ما يكون لازماً ينبعث له العبد غالباً بداعي الخوف ، وأما المستحب لما كان غير ملزم به وكان له تركه ، كان انبعاثه إليه يكشف عن كمال العبودية . .

ومنها : أنّ الثواب والعقاب ومراتبهما لا يدوران مدار الملاكات، وإنّما يدوران مدار الإنقياد وتحمل المشاق . وقد روي عن النّبي (ص) أنّه قال : أفضل الأعمال أحمزها .

مذهب الأخباريين . . .

كان الأخباريون منبوذين على عهد الأئمة (ع) ، ومن أجل ذلك تجد بقاياهم اليوم يترفعون عن هذا الإسم ويعدونه نبزاً ، ويسمون أنفسهم بالمحدثين ، ويدل على وجود الإجتهاد في عهد الأئمة (ع) وتقريرهم له وطردهم للأخباريين ورضاهم به أُمور :

منها : ما عن الكافي بعد نقل رواية عبد الرحمن بن الحجاج في الظّهار عن أبي عبد الله (ع) ، قال :

قال معاوية ـ والظاهر أنّه ابن حكيم ـ لأنّه هو الذي روى الرواية عن صفوان عن ابن الحجاج قال : وليس يصح هذا على جهة النظر والاثر أن يكون الظّهار ، لأنّ أصحابنا رووا أنّ الإيمان لا تكون الا بالله ، وكذلك أُنزل القرآن ، إنتهى .

وأنت ترى أنّ معاوية بن حكيم يعمل بالنظر ويجتهد في استخراج الأحكام من الكتاب والسنة .

حدثنا العلامة الشيخ موسى دعيبل النجفي حفظه الله تعالى(١) .

في نهار الجمعة ٢٤ ذ ق سنة ١٣٦١ هـ ، في دار الفاضل الشيخ موسى برّي العاملي : أنّ مجنوناً مرّ على نادي القائمقام في النجف الأشرف في أواخر ايام الدّولة العثمانية ؛ فأحبّ منادمته ، فقال للمجنون :

---

(١) توفي رحمة الله ليلة الجمعة آخر ذي القعدة سنة ١٣٨٧

أنا أشجعَ أم علي بن أبي طالب ، قل ولا تخف . .ولك مجيدي[٢] .

فاطرق المجنون قليلاً ثم قال : أنت أشجع ، فأعاد عليه مكرراً ، ذاكراً له مواقف أمير المؤمنين (ع) في الحروب وشجاعته .

فقال المجنون : نعم ، ولكنّه كان بالليل يخشى ربّه ويخافه ويغمى عليه ، ولا يفعل المحرمات . . وأنت في الليل تشرب الخمر ، وتنتهك الحرمات ، ولا تبالي . فضحك الحاضرون طبعاً أو لعلّه اخذ المجيدي . .

وحدثنا بعضهم أيضاً أنّ بعضهم ساءل رئيس الملة في عصره الميرزا القمي عن قبر سار بصاحبه ، وارض طلعت عليها الشمس مرة واحدة ثم لم تطلع ، وخمسة من غير أب ، وأخوين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد ، وكان احدهما اكبُر من الآخر بمائة سنة الخ . .

وكان لا يعرفها ، فتحيّر في الجواب وقال في نفسه : إن قلت لا أدري استحقر الملة التي يرأسها رجل مثلي ، وإن قلت برأيي ربما أخطأت ، وهذا السائل إما جاهل فلا أهمية له وإما عالم يعرف أنني رئيس فيما تخصّصت فيه .

فقال له القمي (ره) : أجيبك بجواب إن كنت عالماً فهمته ، وإن كنت جاهلاً لم تفهمه ، ثم قرأ عليه :

كذا اذا عاد عـليه مـضـمـر مما بـه عنـه مـبـينـاً يخـبـر

فأطرق السائل وفكر ، ثم قام ومضى .

وأصل المسائل أنّ بعض علماء أهل الكتاب سأل بها بعض الأئمة (ع) فأجابه :

أنّ القبر السائر هو الحوت الذي بلع يونس (ع) .

وأنّ الأرض هي ارض البحر التي انفلق عنها يوم عبور بني اسرائيل .

وأنّ الخمسة هم : آدم وحواء وعصا موسى ، وكبش إبراهيم والمسيح .

(٢) (تعليقة): المجيدي نقد عثماني منسوب للسلطان عبد المجيد وكان يساوي في بعض الأوقات عشر ليرة عثمانية وفي بعض الأوقات خمس ليرة وقد أدركت الناس يتعاملون بـه في عهد الإحتلال الفرنسي لبلادنا.

وأما الاخوان فهما عزرا وعزيرا ، فإنّ احدهما مات مائة عام ، ثم احياه الله تعالى ، ثم ماتا في يوم واحد .

والقمي (ره) يريد أنّ هذه المسائل ألغاز ، والألغاز لا تتعلق بالمذاهب ، ولا ترتبط بالتخصص والعجز عن حلها لا يدل على شيء ، وإنما اجاب الامام (ع) اهل الكتاب ، لأنّ الإمام يستطيع معرفة كل شيء ، لان ذلك يقرب الناس من الطّاعة فهو من اللّطف .

كنت راكباً في العربانة بين النجف والكوفة[1] فسألني أحدهم قائلاً : ما حكم من مس ميتة مسلم مؤمن بعد الموت والبرد ؟

فاجبته : عليه الغسل .

فقال : ما حكم من مس ميتة الكلب بعد الموت والبرد ؟

فاجبته اذا باشره برطوبة غسل يده وطهرها .

فقال السائل : المؤمن أكرم على الله من كل شيء . ووجوب الغسل من مسه يدل على الإستهانة به .

قلت : هذه شبهة من جملة الشبهات التي تتكرّر ، ويحفظها أعداء الدّين عامة ، واعداء الإسلام خاصة .

وقد أجبته: بأنّ السائل إن كان مؤمناً بالله سبحانه وبالنّبي (ص) ، وعصمته ، فجوابه : أنّ الله أمر بذلك ، ونحن نطيع الله ، ولا يجب أن نعرف الحكمة .

وأما اذا كان السائل غير متدين قلنا له : إنّ في الإنسان مكروبات مستعدة للانتشار ، وهي ميكروبات سامة . . وحرارة البدن ونفس الحياة تحول بينها وبين ذلك ، وتقاومها أشدّ المقاومة . .

فإذا مات الإنسان وبرد البدن ، وذهبت منه جميع مراتب الحياة ، أصبحت على استعداد تام للإنتقال ، ولكنّها لا تختار الا بيئة ملائمة لها ، ولا يلائمها الا جسم الأدمي ، لأنّ بيئته كبيئتها الأولى ، وهي بمجرد انتقالها تستوعب البدن ، وتنتشر فيه ، ولا تزول الا بالماء .

---

١ ـ كان ذلك في سنة ١٣٤٦ هـ تقريباً ، وكان بين النجف والكوفة يومئذٍ خط حديدي يصل بينهما، وكان ثمة عربات تتسع الواحدة منهن لأكثر من عشرين راكباً ويجر العربة حصانان من الخيول الجياد والمسافة نحو سبعة كيلومترات تقطعها الخيل في ساعة واحدة تقريباً.

وهذا بخلاف الجراثيم السامة المتولدة في جسم الكلب فانها لا تنتقل بعد موته لجسم الانسان لان جسم الانسان لا يصلح لها

في قلعة سكر في ٢ شوال سنة ١٣٧٣ هـ نقل لي السيد علي آل السيد كعود وهم من السادة المجاورين للقلعة ، والمقيمين في الخارج في الجانب الثاني من النهر ، قال : ذهبت مرة للزبير لزيارة بعض آرحامي ، فأحببت أن أزور مجلس شيخ البلد فقال لي مضيفي : إنّه متعصب .

قلت : أنا أذهب ساكتاً . فذهبت فوجدته جالساً عن يمينهُ جماعة من الموظفين ، وعن يساره كرسي فارغ وبقية المكان مملوء ، فجلست على الكرسي الفارغ ، وكنت لا بساً كفية مصبوغة حزناً على بعض أعزائي فقال لي :

أنت من الشمال ـ يعني من الغرّاف ؟

قلت له : نعم .

قال : أنت سيد ؟

قلت : نعم . .

فرأيت القوم جميعاً ينظرون إليّ شزراً ، فقال لي : لماذا تكرهون أُم المؤمنين عائشة ؟

فالتفت إلى الموجه فيهم ، وقلت له : بالله عليك والدك متزوج واحدة أو اثنتين ، ومن الصدف أن والده متزوج اثنتين .

فقال : اثنتين ؟

فقلت له : بالله عليك أتحب شريكة أمك ، فقال : لا .

فقلت له : ونحن أمنا خديجة ولا نحب شريكة أمنا . فضحكوا جميعاً ، واستحسنوا الجواب .

ثم : التفت إليّ وقال : إذا كان لأبيك زوجة عزيزة عليه ، أو لجدك هل تستحسن سبّها ، ففهمت ما أراد ، وداخلني خوف شديد ، فقلت : تعني أم المؤمنين عائشة ، نحن لا نسبها ، والذي يسبّها يكون عندنا كافر .

فقال بصوت عال : علمكم علماؤكم على التقية .

عندها لم أملك نفسي ، وقلت كلاماً نهايته : وليس بيني وبينك حكم حكيم

قال : أما ترضى بواحد من الحاضرين ؟

فالتفت لمن في المجلس فوجدت القاضي وهو بزي أهل بغداد فقلت في نفسي · لعله شيعي يتخفى وقلت : رضيت بالقاضي . ثم أنني التفت الى

القاضي وقلت :

من الخليفة بعد رسول الله (ص) ؟

قال : ابو بكر .

قلت : هل تجوز محاربته ؟

قال : لا من حاربه كان كافراً .

فقلت : ثم من ؟ فذكر عمر وعثمان فقلت له :

هل تجوز محاربتهما ؟ فقال لا ، إنّ محار بهما كافر .

فقلت له : ثم من هو الخليفة بعد عثمان ، فقال علي ، فقلت له : هل تجوز محاربته ؟ فسكت فقلت له : أنت تقول ان علياً خليفة ، وتقول أنت إنّ محارب الخليفة كافر ، ونحن نلعن عائشة لأنّها حاربت الخليفة .

فقال : تابت .

فقلت : حاربت علناً فهي كافرة علانية ، وتابت بينها وبين نفسها ، ونحن لم نعرف هذه التوبة ،

فأخذ الكلام احد موظفي الشرطة ، وقال : حق ، إن كان عليّ خليفة فهي ليست على حق وإن كان عليّ ليس بخليفة ، فكيف نقول عنه إنّه رابع الخلفاء ؟

فاشتد الجدال بينهم ، فاغتنمت هذه الفرصة ، وخرجت مسرعاً ، وتركتهم في جدالهم .

وقد توفي هذا السيد رحمة الله عليه تعالى فجأة في أواخر ذي القعدة سنة ١٣٧٩ هـ .

حجر وطين

من الكتاب الثامن : الالطاف الالهية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على سيد المرسلين ، وعلى آله الغرّ الميامين . .

وبعد : فإنّ في قصص الأنبياء والأوصياء من السموّ والرّوعة والعبر ما يشهد بعظمة الله سبحانه وقدرته ، ويدل على انتصار الضّعيف بأسباب غير معتادة ، وهزيمة الجبابرة هزيمة غير منتظرة وهي بعد ذلك تحرّك الهمم العالية الى الإتصال بالمبدإ الأعلى ، وتغذي النّفوس بالخير ، وتبعث على محاربة الشّر ، لأنّها تحطّ من هيبة الجبابرة ، وتزيد في شجاعة الحقّ .

ثم إنّ كثيراً من الناس يأخذهم الضّعف ويستولي عليهم الخوف ، فيعتذرون عن إعلان الثورة على الباطل متذّرعين بأنّهم ليسوا أنبياء ولا أوصياء ولا أولياء . . لذلك رجحت جمع شطر من قصص الصّالحين لتقطع هذه المعاذير ، ولينتفع بها القارىء والسّامع ، ومن الله أستمدّ المعونة ، وهو حسبي ونعم الوكيل . .

إنّ كثيراً من الناس عندما يحدّثهم المحدّث بما لاقاه الانبياء والأوصياء من الألطاف الإلهية والملاحظات القدسية ، يقولون : هؤلاء أنبياء ، ولكن عندما يحدّثهم عن إنسان تنحطّ درجته عن تلك الدّرجات ينسد على الشّيطان ذلك المسلك ، وربما يلج من سبل أُخرى ، ولكنّ الإعتصام بالله خير حصن ، وأفضل ذريعة . . فلا حول ولا قوّة الا بالله العليّ العظيم .

في سنة ١٣٧٢ هـ ، زرت لبنان ، وكنت في بيت الوالد دام ظلّه ، فجاء أبو علي قاسم الحاج محمد جواد ياسين لزيارته او لزيارتي ، وأخبرني أنّه كان في العراق ، وأنّه ذهب الى منزلنا في النجف ، فأخبروه بأنّني موجود في لبنان ، ثم دعاني للذّهاب معه الى

شوكين ، وكنت أرغب في التعرّف على بلادنا وعلى أهلها ، ولا سيما أنّ أُخت هذا الشّخص كانت زوجة للمرحوم العلامة الشيخ بشير حمود ، وهو من أعز الناس عليّ ، وكان الشيخ محمود بشير مع خاله ، فذهبنا في سيارة اجرة ، ولما وردنا النبطية ، أمر السائق باجتناب السوق ، لأنّ لباسه كان لباسٌ بذلة لا لباس التجمل ، فتبينت أنّه من ذوي الحشمة ، فوصلنا الى شوكين ونزلنا في داره ، وكان ذلك قبيل الغروب ، ثم صار يقول لي : ولعلّه على سبيل المنادمة :

اذا نزل العالم ضيفاً على شخص ، لماذا لا يرضى الا بذبيحة ؟

فقلت له : العالم الذي عندك يرضى بالزّيتون ، ويشكرك عليه ، فأعاد الكلام وأعدت ما قلته له من قبل ، وذكر بعد ذلك أنّ العلامة الشيخ خليل ياسين زاره وانتقد ضيافته ، ثم قال : غداً ، يوم القيامة سنرى أينا أحسن عند الله ، فاستثقلت من كلامه ، وتمنيت أنّني لم أعرفه ، وعزمت على مفارقته عند طلوع الصّباح .

ثم إنّه بعد الصلاة ، قدّم وجبة العشاء ، ولا أظنّ أنّني تناولت غير الزّيتون ، لأنّني محروم منه في العراق من جهة ، ومن جهة ثانية نفسي لا تقدم على الأطعمة التي تصنع في القرى ، وخاصة إن كانت من اللحوم .

وبعد ذلك حدّثنا بما يلي ـ وكان ذلك ليلة الأحد ١٩ محرم ١٣٧٢ هـ في شوكين الواقعة قرب النبطية فقال :

كنت مقبلاً من النبطية على فرسي الزرقاء ، فرأيت عالماً سيداً يسير بعيداً عنّي ، فقلت في نفسي : نعم الرزق ـ يعني أنّ الله رزقه ضيفا كريماً وهو نعم الرزق .

قال : وكنت على مفرق الطّرق ، فنظرت اليه وهو قريب من البلد ، وذلك قبل الغروب بأقل من ساعة ، فأسرعت نحوه لألحقه ، فلما دخلت المنزل ونزلت عن الفرس وأردت السؤال عنه ، وإذا بالباب تطرق ، وإذا به هو ، فسلّمت عليه وأعلمته بما كان ، فقال : إنّه ذهب الى دار المختار جميل الحاج سليم فطرق الباب ، فقال له : من ؟ قال : ضيف ، فتأهل به ، وقال له : العشاء عندنا ولكن ليس عندنا محل للنّوم ، نأخذك الى دار رجل طيّب ، قال : فقال له قاسم الحاج أعرفه ،

فلما دخل عليه رحب به ، وأنزله في الغرفة الشرقية من منزله .

قال : وجلس يحدّثنا ، وامتلأ قلبي حباً له ، ثم قدم الطّعام ، فقلت له : بماذا احدثك ؟

قال : حدّثني بأحاديث كثيرة كلها دين ، قلما سمعت مثلها الى هذه الساعة .

فقلت له : هل تذكر منها شيئاً ؟

فأطرق قليلاً ثم قال : لا ، وبقي ساهراً الى أن مضى من الليل خمس ساعات .

قال قاسم الحاج : أرسلت إلى أحمد مصطفى ليحضر السّهرة ، فلم يحضر ، ثم عند النّوم فرشت للسيد فرشتين ، ووضعت عليهما شرشفاً ولحافاً ، فقال له : هذا كثير ، ثم لما أصبح قدّمنا له الطّعام ، وكان ألواناً ، فقلت له :

ماذا آكل ؟

قال : أتخطر انه أكل الحليب والعسل .

قال قاسم : ثم قلت لأم علي - يعني زوجته : هذا السيد لعلّه يريد شيئاً ، فدفعت له قيمة ، فأخذ منها ثلاث أرباع الليرة اللبنانية ، وكانت ليرة الذّهب يومئذ تعادل خمس ليرات ونصف ، فلما أردت دفعها له ، قدّمت له العذر بضيق الحال وقلة المال وكثرة ما يطلب .

فقال لي مبتسماً : إدفعها الى مقصفي العمر من السادة الذين يأتونك .

فقلت له : هذه أول مرة أدفع مالاً لرجل من بني هاشم ويمتنع ، ثم عدت إلى أم علي لاعيد لها المبلغ ، فقالت لي : ألم أقل لك إنّه رجل محترم ؟ لعله استقل المبلغ ، وشدّدت على زوجها ، فأضافت له مثله ؛ وأصبح ليرة ونصفاً .

قال : ثم عدت إليه ، فأردت أن أتكلم أو قدمته إليه ، قال أبو علي : فأخبرني بقدر المال وما قلت لأم علي وما قالته لي وما أضيف إليه واعتذر عن قبوله ؟

قال : ثم سألته أين تريد الذّهاب ؟ فقال : الى خرنون ، وهي قرية خربة غير مسكونة .

قال : فقدمت له الفرس ، وهي أعزّ شيء عندي ، وكانت حامل مقرب ، وقلت له : هذه الفرس معك ثلاث أربع أيام، وهذا علي بصل، وهو خادم عنده، معك .

فقال له : أنا لا أتعب من المشي وكان أبو علي يريد الخروج الى الكرم .

فقال له : اريد ان اتمشى معك الى كرمك .

قال : فخرجنا معاً وهو يحدّثني ، فلما وصلنا الى قرب الكرم .

قال لي : هذا الكرم ؛ امضِ إليه ، ثم ودّعته وانصرف .

قال أبو علي : فجعلت اصلح بعض الأغراس ، ثم نظرت اليه ، فوجدته قد قطع مسافة بعيدة ، لا تقطع بمثل المدة التي فارقني فيها ، فصحت بأعلى صوتي بعليّ بصل : عليّ بالزرقاء مسرجة ، فأحضرها ، فامتطيتها واتبعته مغيراً فلم أدركه ، ولما انتهيت الى البركة الكبيرة ، التي هي لأهل كفرتبنيت ، وهو الماء الذي يجتمع عليه اهل تلك البلدة ، سألت من كان هناك : هل مرّ بكم عالم صفاته كذا وكذا ؟ فلما رآني يوسف أيوب وعبد عجرة وقاسم إدريس .

قالوا : ما لك جننت ؟ وجعلوا يتأسفون عليّ ، وذلك لما رأوه منّي ، ولا سيّما وأنا في لباس النّوم واضع على رأسي (بشكير) منشفة ، ولابس قميص النوم ، وقرروا الإتصال بأقربائي وأعلامهم بأمري لانهم ظنوا انني جننت فغضبت ثم تركتهم وانطلقت مسرعاً حتى وصلت الى جهة خرنون فسألت عنها فأرشدوني إليها ، فلما وردتها لم أجد أحداً ، فرجعت ولما وصلت الى كرم تين قريب البركة الكبيرة سمعت صوته يقول لي : أين تريد ؟ إذهب من حيث جئت أنت معنا ، سمعت هذا الكلام من عند جدار كان يفصل الأرض السفلى عن العليا ، فدنوت منه لأنظر فلم أر أحداً ، فصرت أبكي ، وأخذت حجراً ، ولطمت به رأسي ، فجرى الدّم ، ثم عصبت رأسي ، ولم يزل الأثر موجوداً واراني اياه :

ومما فاتني ذكره قال : إنّه عندما بات عنده سأله عن اسمه ، فقال : السيد محمد ، فطلب منه المزيد ، فقال : يكفيك هذا ، وكررت السئوال، فكرّر الجواب ، وأيضاً طلب اركيلة ، فأحضرها وقدّم له ورقة تنبك تكفي لنفسين ؛ فلم يقبلها ، فأصر عليه ، فقبلها ، ولم يرض بصنع الأركيلة من غير ذلك التنباك .

وفي الصّباح خرجت الى المسجد مع الفجر ، أو قبله ، والمسجد مقابل بيت أبي عليّ ، فسمعت شخصاً يبكي بكاءاً عالياً يشبه بكاء النّساء ، فاستوحشت منه ، لأنّ المسجد لم يكن فيه ضياء ولا أيّ شخص آخر غير الباكي ، ثم دخلت المسجد ، وأخذت

الجانب الشرقي ، وكان البكاء من الجانب الغربي ، فصليت صلاة الليل ، وكنت أظنّ أنّه سيلتحق بي عندما يتضح الفجر ، ثم لم أسمع الصّوت ، وجاء الشيخ محمود بشير ، ولما صلينا الصّبح ، أخبرته فقال : هذا أبو عليّ ، كل يوم يكون هكذا .

وفي الصّباح عندما أردت الوداع ، استدعيت أُم عليّ ، وكان قصدي من ذلك سؤ الها عن الحديث فقال : ماتريد منها ؟ فقلت : لها علينا فضل ، صنعت الطّعام ، وأُحبّ أن أتعرف عليها ، فعظم عليه ذلك ولعل الغيرة أخذته ، مع أنّ تعرف العالم على مثلها في بلادنا متعارف ، وبعد الإلحاح حضرت ، وكان الشيخ محمود قد ساعدني ، لأنّه يعلم مقصودي ، فلما حضرت دعوت لها وشكرتها ، وسألتها عن القصّة ، فغضب أبو علي ، وقال : أنا غير ثقة عندك ، فأخبرتني ، وزادت في وصف الرجل مما يدل على أنّ نظر المرأة للرجل غير نظر الرّجل لمماثله ، فقالت : لحيته سوداء وهي ليست طويلة ورقبته غليظة حمراء . وفي ليلة الأحد ٨ ك ٢ أخبرني الحاج حسن أحمد الفقيه الشوكيني بوفاة أبي عليّ (ره) ، وذلك في سنة ١٩٧١ م الموافق ٢٢ ذ ق ١٣٩١ هـ ، وأنّ صباح الاحد المذكور كان يوم اسبوعه . . رحمه الله تعالى . . .

حدثني السيد جواد الاعرجي النجفي ، وهو من السادة العوام ، والنجفيون جلهم محدّث بارع لمزاولتهم لأهل العلم وأرباب المنابر ، قال : قال موسى بن عمران (ع) : ربّي أرني عدلك .

فأمره الله بالذهاب الى شاطىء نهر ، فجلس هناك يستظل ، وجعل ينتظر ما يكون ، فجاء رجل ونزع ثيابه واغتسل ، ثم صعد ولبس ثيابه ، ونسي محفظته وكانت مملوءة مالاً ، فمر رجل ثاني وأخذ المحفظة وجاء ثالث ، فنزع ثيابه ، وجعل يسبح في ذلك المكان . فافتقد الأول محفظته ، فبادر بالرجوع فوجد الثالث يسبح ، فلم يشك في أنّه هو أول من جاء الى المكان ، فسأله عن المال ، فقال :

لا علم لي به .

فقال : لم يجيء الى هذا المكان غيرك ، وأنا منذ مدّة قصيرة كنت قد فارقت هذا المحل ، وأخيراً ، قتله ، فقال الله لنبيه موسى (ع) :

هذا عدلي ، إنّ صاحب المحفظة كان قد سرق من والد الرّجل الثاني مقدار ما في المحفظة ، ؛ وإنّ الثالث المقتول كان قد قتل والد القاتل ، وكل منهم يجهل ذلك ،

وبعدلي استرجع كل منهم حقه .

وحدّثني أيضاً ، وكل هذا في قلعة سكر صبح الأحد ١٦ محرم ١٣٧٨ هـ ، قال : كان فلان صديقي النجفي قد استعد لختان أولاده ، وكان مجاوراً لآية الله السيد محسن الحكيم في محلة الحويش فجاء السيد يهنئوه بذلك ، فاستحيى من مواجهته ، وكلف السيد جواد المذكور بأن يقوم مقامه .

قال السيد جواد : فكنت أنا والسيد وحدنا ، فسألته عن السيارات التي أخذتها الحكومة من الأهالي لحرب الإيرانيين سنة اصطدام إيران بالإنكليز .

فقال السيد : لا حول ولا قوة الا بالله .

قال : ثم أخبرته ببيع سيارتي فراراً من ارتكاب إيجارها عليهم لحرب إخواننا المؤمنين .

فقال : جزاك الله خيراً ، ثم قال : إنّ السيد حدثه بما يلي بمناسبة ذكرها :

قال السيد : كان لنا استاذ لا يباحثنا الا إذا بلغ عددنا أربعين تماماً ، واتفق في أحد الأيام أنّ العدد كان أقل ، قال السيد الحكيم ، فالتفت إليهم وقلت لهم : لنفتح مسألة ننتفع بها ، فقالوا : تفضل أنت ، فقال :

خبر جديد ، يقال : إنّه يوجد طبيب ماهر عارف ، صاحب ثروة عظيمة جدّاً وإنّه يفتح مستشفيات مجانية ، وإنّه يعطي كل مريض بحسبه من الأغذية ، فالمصاب بفقر الدّم يعطيه مآكل ممتازة مقوية ، والمصاب بالتخمة يمنعه من الأكل ، والمصاب بالإمساك يعطيه الدواء المر كل ذلك يفعله مجاناً في رفق و إخلاص، ثم قال لهم : ما تقولون في هذا الطّبيب ؟

فأجاب أحدهم مثلاً : هذا حكيم بحق ، وقال الثاني مثلاً : هذا مشفق ، وقال كل في نفسه ما يناسب المقام ، وربما استغرب هذا الامر .

فقال لهم : سلوني ماذا يريد من الناس إنّه يريد شيئاً واحداً ، وهو الإطاعة ، وامتثال أوامره بالنسبة للأدوية ، والرضا بها .

فقالوا : حقه يعني طلب حقاً .

وهنا قال : التفتوا الى قدرة الله سبحانه ، وعظيم غناه ، وجلال حكمته وعظيم

رأفته ، وسعة رحمته ، وعطفه ولطفه ، وأنّه يرأف بعباده ، وقادر على علاجهم وإعطائهم ما ينفعهم ، ووعدهم بذلك .

هل يشك أحدهم في علمه في خلقه ؟ وهل يشك أحد في قدرته على ما يحتاجون ؟ وهل يشك أحد في رحمته وكرمه ؟

أجل . . ولكنّهم لا يرضون بالدّواء مع ثقتهم بالطّبيب ، وشعورهم بمبادىء المرض . . عصمنا الله من الزّلل ، ووفقنا للعمل بما نقول.

ليلة الجمعة ٢٤ ذ ق ١٣٧٩ هـ ، مررت عصراً بالمدرسة العاملية عند الأصيل ، فوجدت جماعة منهم الشيخ علي نور الدين والسيد احمد شوقي والشيخ احمد قصير والشيخ عبد الله مديحلي والشيخ محمد علي إبراهيم ، وجرى حديث حول الصلاة ، وترجح اخيراً اننا صلينا المغرب والعشاء جماعة هنالك فأممتهم ، ثم أنّني في أثناء الصلاةاعترتني حالات خاصة كانت نتيجة المحاسبات النفسية ، أهمها أنّه كان في نفسي شيء على الشيخ احمد قصير ، لما فيه من جراةواقدام وهو شديد العارضة قد يتناول معها السلف من العلماء بما لا أراه راجحاً ، وكنت أحاول إرجاعه عن أفكاره هذه مع لين غريب، فكنت أقول في نفسي إذا انكشف سوء حالي يوم المعاد ، ماذا يخلصني من الشيخ أحمد قصير وهو يحسن بي الظن ، ويصلي خلفي .

وبعد التسليم ، وقبل نافلة العشاء ، وأنا منغمس في هذا وشبهه ، ما راعني الا جلوس الشيخ احمد عن يساري، فظننت أنّه يريد أن يسألني مسألة ، فقال لي :

هات يدك ، فأخذها ؛ وقبلها مكرراً ، وأنا منهار القوى لما بي من التفكير انهياراً حال بيني وبين سحب يدي من يده لأنني احترم مقامه ، ثم قال :

أنت بريء الذمة من كل حق ، اجعلني في حل ، ثم قبلته ودعوت له .ـ

وهذا من غريب الطافه سبحانه بي وبه ، فإنّه يدل على حسن قصده ، وصفاء نيته ، حفظه الله تعالى .

إلى هنا : أقول : ما هذه الموجة التي نقلت احاسيسنا المشتركة ، وهل شعر بشيء مما في نفسي ، مع أنّه حديث نفسي أثناء انشغالي في الصلاة ، وهو بعيد عني . . .

إنّ ههنا أسئلة يوحيها الفكر حول هذه البادرة وأمثالها ، ويتلخص الجواب : بأنّ للأرواح عالم تنطلق فيه ، فتحدث بعد ذلك أمور ، تعد عند من يجهل عالمها عجائب وغرائب ومعجزات ، وهي في عالمها قليل في كثير .

عندما كنت طفلاً ، أعيش تحت ظل والدي ، في بلدتنا حاريص ، وهي صغيرة من قرى جبل عامل ـ جنوب لبنان ـ تقع على مقربة من تبنين إلى الجنوب الغربي ، كنا نقتني الماعز والبقر والخيل على غرار ما يملكه القرويون ، وذلك قبل انتقال الشيخ الوالد (ره) إلى بيروت ، وكان في جملة الماعز واحدة سوداء ، رجلاها بيضاوان ، ورقبتها بيضاء وكانت لي منذ طفولتها ، فكنت أتعهدها ، وكنت اتمنى أن يكون لنا عنزاً ملحاء ، فبلغت عنزي مع مواليدها ستة رؤوس في وقت يسير وكانت ابنتها تحمل في سنتها ، وبعضهن تلد توأمين ، فكنت من أسعد الأطفال بهذا ، وكانوا يقولون إنني صاحب حظ ، وكانت المعزى العائدة لنا تبيت عندنا في بيت لها ، وفي كل صباح يمر معاز البلد الكبير الحاج مصطفى عسيلي[1] ، ويأخذها جميعاً معه للمرعى .

وكنت أتبنّى في غالب الأوقات إيصالها إليه ، وأُبكر في هذا العمل مخافة أن يسبقني الأجير الذي عندنا ، أو الأجيرة (الخادمة والخادم) فأصبحوا في النّهاية لا يزاحموني في هذه المهمة ، واتفق في يوم من الأيام أنّ الراعي خرج مبكراً ، أو أنني تأخرت في النوم ، وكان طريقه بالقرب من بيتنا ، فانتبهت وسقت المعزى فرحاً مسروراً ، فسألت عنه ، فقالوا : مضت المعزى من طريق صور ، وهو طريق وادي عاشور ، وكان الطريق يمر من المكان الذي بنيت فيه حسينية حاريص الفعلية الى الوادي ولم يكن يومئذ على طول الطريق ولا في ذلك المكان مسكن ولا سكان وكانت منطقة موحشة .

فسقت المعزى وهي نحو عشرين رأساً ، وعجِلت السّير ، فلم أُدرك الرّاعي ، وعندما وصلت إلى محل الحسينية ، وانخفضت نحو الوادي ، هرولت المعزى نحو وادي (عين الياذون) وهو وادي سحيق ، فيئست منها ، وعجزت عنها .

ثم ارتفعت من العين إلى الجانب الثاني ـ عرض المنزلة ـ وهو حرش وعر ، موصوف بالذّئاب والضّباع ، فتيقنت بأنّ مصيرها إلى الهلاك ، فجعلت أبكي ، وأستغيث ولا أرى مخلوقاً من الناس ، وكنت أعتقد أن الله سبحانه يستطيع أن

---

١ ـ الحاج مصطفى العسيلي يقال أنه عمّر ١٤٥ سنة وأعقب ولداً واحداً اسمه فهد ، والحاج فهد توفي فجأة ولم يعقب وأعقب الحاج مصطفى من البنات .

يجعلني نبياً ، وأنّني اذا صرت نبياً ، كان دعائي مستجاباً ، فجعلت أناجيه وأطلب منه أن يجعلني نبياً ، كل ذلك لأدعوه ويرد لي الماعز ، فكان فيما قلته له : أنت كلمت موسى ، فلعلك تكلّمني ، وجعلت أسير على الطريق العام ، وبيني وبين الماعز الوادي السحيق ، ولعل المسافة تكون ـ اذا نزلت فيه وصعدت للجانب الثاني ـ ما يقرب من ساعة ، وأنا أخشى النزول فيه ، لما أسمعه من وجود الحيوانات الضارية، مضافاً الى أنني لا اذكر انني وصلته قبل ذلك التاريخ

فبينما أنا على مثل هذا الحال ، التقيت برجل كهل ، وكأنه من أهل بلدنا ، ولكن لا أعرفه ، فسألني عن حالي فأخبرته ، وبينما أنا كذلك ، اذا أسرعت المعز في العودة من الوعر ، الذي هو مرعاها ، وربضت حول العين ، فقال لي :

لا عليك ، ستبقى هنا حتى يرد الراعي ، ويأخذها ، وأنا على طفولتي اقتنعت بهذا ، ولما كبر سنّي ، وتذكرت الحادث جعلت اتسأل :

من هو ذاك الرجل ؟

وكيف عادت الماعز الجائعة بعد انغماسها في مرعاها حتى غابت عن الأعين ؟

وكيف اقتنعت بكلام هذا الرجل ؟

وهدأت أعصابي ؟ ولا أزال حتى الساعة أفكر في ذلك .

عندما وصلت للعراق في سنة ١٣٤٥ هـ ، بعد مدة يسيرة ، كنت جالساً مرّة ، فذهلت عن نفسي ، ورأيتني أسير أمام بيتنا في حاريص ، وعلى البيادر المجاورة لنا ، كما كان ذلك قبل مغادرتي ، فكنت أرى كل شيء بواقعه ، ثم انتبهت ، فرأيت نفسي في المدرسة في النجف ، فأحببت أن أعود لما كنت فيه ، وأعملت مخيلتي ، فلم أحصل على شيء ، فعلمت أنّ هذا ليس من صنع الخيال وهنا : جعلت أُفكر :

من هو هذا الذي ذهب إلى لبنان ، وتجوّل في بيتنا ومحيطه في حاريص ، مع أنني في النجف ؟

ومنذ ذلك الوقت أيقنت بأنّ الروح شيء له وجوده ، وله كيانه ، وأنّ

الإنسان ليس هو هذا الجسد ، وكان عندي مفكرة إسمها (المفكرة الهاشمية) ، أخذتها وكتبت عليها هذه الظاهرة ، التي حفزتني بعد ذلك ، على أمور كثيرة ، وأسباب جزيلة من أسباب الخير .

في سنة ١٣٤٦ هـ حسبما أظن ، كنت نائماً في مدرسة الخليلي ، المعروفة بخان القطب الواقعة في أول عقد السلام ـ شارع السلام ـ في النجف وكان فراشي أمام الغرفة ، في الطابق العلوي الجنوبي ـ الغربي في صف الحاجز ـ الدرابزين ـ رأيت في عالم الرؤ يا أنّ القيامة قد قامت ، وأنّ الناس مجموعون في صعيد واحد ، وأنّ الأرض التي اجتمع عليها الناس مستوية ، فلا جبل ، ولا واد ، ولا منخفض ، ولا شجر ، ولا ماء ، ولا كلاء ، بل هي ارض سهلة مستوية ، ليست تراباً ولا حجراً ، ولا رملاً ولا مدراً ، بل شيء بين الرمل والتراب ، ولا صلابة فيه ولا لين ، لونه أشبه بلون الفضّة الرمادية ، أو أشبه بلون الاليمينيوم .

وأول شيء خطر في بالي ، أنّ القيامة قامت ، وأنا لم أمت بعد ، مع أنني كنت أسمع من والدي أن القيامة لا تقوم حتى يموت جميع الاحياء ، وبعد أخذ ورد بيني وبين نفسي ، أقنعت نفسي بأنّه لا معنى لهذا ، فإنّ القيامة قد ؟قامت ، وكوني ست أو لم أمت وكون القيامة لا تقوم حتى يموت كل حي ، بحث لا مجال له .

ثم جعلت اتذكر اعمالي حتى تجسمت كلها أمامي ،خيرها وشرّها،فكنت أرتاح كثيراً للأوقات التي كنت اراني أُصلي فيها ، وأتألم كثيراً لأوقات الفراغ المأً لا أستطيع تصويره ، فكان قلبي ينهار ، وأتمنى العودة لدار الدّنيا ، لأملاه بالصّلاة ، ثم أتحسر وأقول : ولكن . . لا سبيل للعودة .

ومن الغريب أنّي ما كنت أتألم لأوقات المعاصي بقدر تألمي لضياع أوقات الفراغ ، وبعد هذا ، كأنني انتهيت من حساب نفسي ، وأحسست بأنني فقير للشفاعة فعزمت على الإستشفاع بالإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) ، فنظرت الى وسط المحشر فرأيت منابر عالية ، ورأيت الأئمة (ع) عليها ، فأردت

شق الناس لأصل ، فقطعت نحو سبعة امتار ، ثم رأيت الناس ملتحمة ، لا يمكن الدخول بينها ، والمسافة بيني وبين الأئمة (ع) بمقدار ما يمتد البصر فرجعت منتظراً خفة الإزدحام .

ثم تحمّست ثانياً ، وأقدمت ، فلم أستطع الا الدخول الى مسافة اقل من سابقتها ، فرجعت آملاً بخفة الازدحام . ثم خفت ، فحاولت الدخول بين الناس ، ولو مقدار خطوة ، فلم أستطع من شدة الإلتحام ، فأخذني الخوف ، وما راعني الا ضجة اهل المحشر بأجمعهم ، فعلمت أنّ الكتب ستتطاير ، وسيأخذ كل كتابه ، فعزمت على أن لا أتناول كتابي الا بعد الشفاعة ، فهبت زوبعة فيها أوراق صغيرة ، فضجت الناس ، وجمعت يدي الى بدني ، فما راعني الا تعلق ورقة بقفا كفي الايسر ، فحاولت رفضها ، فلصقت بدون مادة توجب التصاقها ، فعلمت أنّ الأمر ليس اختياريا ونظرت في الورقة ، واذا وجه منها أبيض ، والآخر رمادي اللون ، فتيقنت بأنّه لا بد من المرور على النار .

ومن أغرب الأشياء أنني لم أعرف أحداً ، ولم يخطر في بالي أي مخلوق قريب أو بعيد ، غير ا لإمام زين العابدين (ع) ، وبينما أنا كذلك في أطراف المحشر ، وأتمنى العودة للدنيا لأعمل واذا بالحاجة آمنة زوجة المرحوم عم والدي الحاج حسن الفقيه ، والريح تحرك رداءها ، قالت لي :

أنت هنا وأبوك في ذاك المكان ، وهي امرأة من اهل الصّلاح والعبادة ، فتنبهت الى والدي ، وذهبت اليه ، فوجدته يصلي جماعة ، وخلفه خمس صفوف ، كل صف مائة وخمسون رجلاً . فصلى ركعتين وانصرف ، فأقمت الى جنبه ، وهدأت نفسي ، فسار وسرت معه ، حتى وصل الى خربة واذا بها الشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والسيد حسن يوسف العاملي ، فسلم عليهم ، وجلس معهم قليلاً ، ثم قام ، فقالوا :

إلى أين ؟ فقال : اريد تجديد الوضوء ، فسرت معه قليلاً ، ثم انتبهت من نومي ، فوجدت القمر مشرقاً ، والجو جميلاً ، خررت ساجداً ، وشكرت الله سبحانه على أنني لم أزل في دار الدنيا ، عازماً على العمل الصّالح ، ولقد كان لهذا

الطيف الفضل الكبير في توجيهي للطاعات والعبادات منذ ذلك التاريخ ، ولم يفارقني شبح هذا الطيف امداً طويلاً ، والى الآن وقد تجاوزت الستين ، لا أنسى خصوصيات هذا الطيف ولا ريب أنّ هذا من لطف الله سبحانه وتعالى ، فله الحمد والمنة والشكر .

تحدث الشيخ علي الزين العاملي ، وكان يطلب العلم الديني في النجف ثم ترك ، تحدث بحديث بذر فيه بذور الشك في نفوس الحاضرين ، وجعل يقول أقوالاً في أشخاص وفي أصل العقيدة ، وكنت في سنّ مبكر ، لا أملك شيئاً من المعارف ، فأدى ذلك الى الحيرة في نفسي ، وكنت أقرأ في كتاب الألفية ؛ وأشرح النظم بشرح مستقل ، وأُدونه على ورق بقطع صغير وهو دفتر مجلد بجلد لا يزيد طوله عن نحو ١٦ سنتم ، وعرضه أقل طبعاً ، فرأيت في عالم الطيف أنّني راكب في سفينة مع خلق كثير ، وأنّ السفينة أخذت في الغرق ، فأول شي فكرت فيه ، أنّ والدي اذا علم بغرقي سوف يحزن ، فأخذت الأوراق التي بخطي ، وجمعتها في صندوق صغير ، وأقفلته ليبقى من بعدي ، وتكون سلوة لوالدي .

وبينما أنا منهمك في هذا ، التفت الى مصيري بعد الموت ، وأنّ المهم أن أعرف على أي دين أموت ؟ فتركت عملي ، وجعلت افكر فأول شيء اعترفت به هو وجود صانع لهذا الكون ، وهو الله ، فقلت :

أشهد ألا إله إلا الله ،

ثم خيرت نفسي بين الإسلام والنصرانية واليهودية ، فكان أسخف دين في نظري دين النصارى ، لأنّ المسيح اذا كان هو الإله الخالق فمن الذي خلق الخلق قبله ، وإن كان هو الإبن ، وهو متحد مع أبيه ومع روح القدس فالثلاثة واحد ، فهذا شيء أكثر سخافة ، ثم خيرت نفسي بين الإسلام واليهودية ، فنظرت الى قلة اليهود ، وكثرة الإسلام والنّصارى ، واتفاقهما على بطلان دين اليهود ، وأنّ الحق لا يمكن أن يكون مع هذه الشرذمة ، مع كون المسلمين والنصارى يعترفون بالإله ، فتيقنت بصحة نبوة محمد (ص) فقلت :

أشهد أنّ محمداً رسول الله .

ثم خيّرت نفسي بين مذهب الشيعة والسنة ، فالتفت الى ان ائمة الشيعة

مقدسون بنظر الشيعة والسنة ، وأنّ ائمة السنة غير متفق على كمالهم ، فقلت : إنّ التمسك بالأئمة المتفق عليهم عند جميع المسلمين في دار الدنيا يدل على أنّ لهم مكانة ، وعلى انهم متفقون على علوّ منزلتهم في دار الآخرة ، وحينئذ استعديت للموت ، فنمت وتوجهت للقبلة ، وتشهّدت شهادة الموت المعروفة عند الشيعة فما أتممتها حتى رأيت النبي محمد (ص) والزهراء وامير المؤمنين والأئمة (ع) بأجمعهم محيطون بي ، فأنست بهم وذهبت عنّي وحشة الموت ، وانتظرت غرق السفينة ، وكانت طمأنينتي بهم أشبه بطمائنينة الطفل عندما يكون في فلاة ، ثم يلتقي بأبيه ، فنمت نومة هادئة وانتبهت صباحاً وأنا أركن الى هذه البراهين ، التي تتناسب مع سني ، وثبت على عقيدتي ، وسرت عليها والحمد لله الذي انقذني بلطفه ، ثم بعد ذلك ، جعل يتضح ذلك الي بالبرهان الصحيح ، الذي لا مجال للشك معه ابداً .

في سنة دخولي للنجف كنت راغباً في الدرس إلى ابعد حد ، لأنّ ذهني تفتح ، وأصبحت أتعقل المطالب ، وكان هذا بعد أن أمضيت طفولتي في الدراسة في لبنان ، أحفظ وأسأل فأُجيب ثم أنسى ، فاسأل فلا أجيب ، حتى أنني قرأت الفية ابن مالك ـ شرح ابن الناظم بدر الدين عدة مرات ، أصل للجمع ثم اعود للأول ، وأصل للنكرة والمعرفة ثم أعود للأول ، وربما وصلت الى الفاعل وعدت للأول ، كل ذلك بعد مضي مدّة في حفظ الأجرومية ومتنها ودراسة القطر .

وبعد مضي شهور على دخولي ، أراد اخي الشيخ علي أن يرسلني الى لبنان ، لأنه كان مديوناً بنحو اثنتي عشرة ليرة ذهباً وهذا مبلغ كبير بالنسبة لقوته الشرائية ، وبالنسبة لسنه ، ولم اجد بدأ من ذلك ، فدخلت الحرم الشريف واستجرت بالله ، وجعلت أُمرغ وجهي بأرض الحرم على البلاط ، وكان جلوسي في الجهة الشمالية على مسافة نصف الضّريح ، وبعد هذا ، تبدل الرأي ، وسافر هو ، وكان المشرف على تربيتنا المرحوم العلامة السيد محمد صفيّ الدّين ، ولم أشك أنّ ذلك كان من استجابة دعائي .

في سنة ١٣٤٩هـ ، كنت ارغب في الزواج رغبة شديدة ، وكنت أحسب متى يتزوج أخي وهو أكبر مني ، واعتقد أنه اذا تزوج لا اتزوج الا بعد ثلاث سنوات ، وهي المدة التي أبلغ فيها سنه الذي تزوج فيه ، .

فأجدها طويلة ، وأستحي من التلميح فضلاً عن التصريح بذلك حتى بالدّعاء .

وفي سنة ١٣٤٩ هـ حسبما أتذكر ، حررّت رسالة لوالدي أشكو إليه الوحشة والوحدة ، طمعاً بأن يفهم غايتي ، فبقيت الرّسالة معي نحو سنة ، أحملها للبريد فإذا وصلت استحييت من إرسالها وعدت للمدرسة .

وفي يوم من الأيام ، كنا في المدرسة فجاء السيد محمود مكي العاملي الحبوشي ، وجعل يحدّث أنّه تزوج ولم يولد له ولد ، واضطر الى الزّواج ، وكان فقيراً فجعل يصلي صلاة الليل ، ويطلب من الله ذلك ، فتزوج بابنة السيد محمود يوسف مكي شقيقة السيد حسين مكي ،وولد لهولدان وكان يستعمل النكتة ، فقال :

أنا أُوصيكم اذا أردتم الزّواج ، فعليكم بصلاة الليل ، قال ذلك على سبيل النكتة ، فبادرت لذلك برغبة ، فما راعني الا وقد وردني كتاب من والدي ، في شعبان سنة ١٣٥٠ هـ ، يطلب مني أن أُوكله بقبول عقد زواجي على كريمة العلامة الشيخ محمد رضا الزين ، وكان ذلك بدون سبق أي إشعار ، لا منّي ولا منه ولا من أحد ، بل من الله تعالى ، فإنّ الباعث له حسبما أظنّ أنّه كان يخشى أن تعاجله المنية ، وأبقى بعده بلا معين فحمدت الله وشكرته ، واستمريت على قيام الليل ، والإلتزام بقضاء صلاة الليل اذا فاتتني ، وثابرت على جميع النوافل المرتبة ، وجعلت ثواب السنة الأولى كلها لوالدي ، وأنا إلى هذه الساعة أوصي الطلاب العاجزين عن ذلك بوصية السيد محمود مكي سلمه الله تعالى .

في سنة ١٣٧٠ هـ كنت جالساً للدعاء في الحرم المطهر ، في جهة الرأس ، متجهاً الى القبلة ، كما هي عادتي غالباً ، وغفلة ، وبدون التفات ، رأيت نفسي جالساً في شكلي وثيابي ، وعلى هيئة الدعاء ، مقابلاً لمكاني ، وأصبحت وأنا في مكاني كأنني شخص آخر ، وكأنني مشغول باستعطاف الله سبحانه وتعالى لهذا المقابل لي ، واعترتني حالة من العطف عليه ، والإنكسار لأجله ، وأخذني البكاء ، وحصلت على التوجه الكامل .

ثم في مدّة تقرب من هذا الحادث ، تكرّر ذلك معي بشكل اخفى ، وكنت اظن أنّ هذا الأمر مقدور لي في كل حين ، ثم حاولت تكريره ، فلم استطع ،

فتحدثت مع الاستاذ الحكيم ، وسألته عن ذلك ، فقال : يقولون إنّ الروح تتجرد من البدن أحياناً . . . الخ .ثم فهمت من أهل العرفان أنّ النفس تتجرد ، ومهما يكن من شيء ، فقد كان هذا التجرد الكامل على وجه أنّني كنت أراني أنا المشغول بالدعاء غير المدعو له ، وأنّ المدعو له المنتظر مني ومن غيري الدعاء هو أنا الحقيقي ، وكنت لا أشك في شيء من ذلك في تلك الحال أبداً . .

كنت في قلعة سكر في ديوان الحاج جعفر عبد العباس ، فدخل عليّ سيد من بيت الشرع الموجودين في عفك ، وكنت مشغولاً بالكتابة ، وكنت اعتقد أنّه من السادة ، الذين يستعينون ، فجعلت افكر في المقدار الذي سأدفعه اليه ، وكان ذلك في شوال بعد العيد بأيام . فتوجهت اليه ، وألقيت القلم والكتاب فقال لي :

أعتذر منك ، رأيتك في كربلاء ، تصلي فوق الرّأس الشريف ، فانتظرتك حتى تفرغ ، فلما فرغت اتجهت نحو الرأس ، فأسرعت لألحق بك ، والنتيجة أنّه لم يستطع اللحوق بي ، فقلت له :

متى كان هذا .

قال لي : في هذه الزيارة - يعني زيارة العيد وكنت في هذه الزيارة في القلعة لأنّني لم استطع السفر بسبب الفيضان الذي غمر الصحراء وجعل القلعة كالجزيرة حسبما أتخطره فعلاً فاعتقدت بأنّ هذا الرجل نصاب ، وأنّه يريد التزلف والتقرب ، وعزمت على حرمانه ، وجعلت اتأكد منه عن الحادث لأستوضح دجله ، فقلت له :

لعلك رأيتني في زيارة نصف شعبان .

فقال لي : متعجباً : ألم أكن معكم في نصف شعبان في طريق الناصرية ، وعندما قال هذا ، تذكرت أنّه كان معنا في السيارة التي أقلتنا الى الناصرية من كربلاء أو من غيرها ، وكان معنا الحاج فاضل عبد العباس ، وصلنا على جسر ، ولعله (البريوتي) ، وسألت السيد عن وجهة سفره فاخبرني أنّ له أرضاً تدر عليه كذا وكذا من الطعام الحنطة والشعير ، والتفت الى أنّه ممن لا يستعين ولا يتزلف ، فتوجهت بكلي اليه وأمرت له بالشاي وأكرمته ، وعدت الى الإستيضاح منه ، فأكد ما قاله :

ومن العجيب أنّني في يوم العيد زرت الحسين (ع) في مسجد القلعة ، وكنت في تأثر عجيب لأنني كنت لا أُفرط في هذه الزيارة وكنت اعتقد ببركتها ، وزار معي عدد من المؤمنين ، وكان ذلك على خلاف عادتي ، وبينما كنت ازور رأيت نفسي أسير في صحراء عفك ، وكنت أرى هضاب ضحية ودويحس وغيرهما ، وكأنّني أسير مندفعاً شبه جسم سائر في الفضاء ، متجهاً الى كربلاء ، وكان ذلك المنظر لا يشغلني عما أنا مشغول فيه من الزيارة والدعاء .

في شعبان سنة ١٣٩١ هـ ، طلبت من عبد الإله ناصر ابن خليل ناصر من بلدتنا حاريص تشغيل ولدي باقر في معمل حك الالماس ، فاستجاب ووعد أن يتسلم العمل يوم الاثنين حسبما أتخطر ، وذهبت لحاريص ، وفي ليلة الجمعة ١٨ شعبان ، كنت نائماً في غرفتي المتصلة بـ (السطحية) ، فرأيت فيما يرى النائم كأن الناس من عادتهم أكل اولادهم ، وكأن الناس يستأدمون بنيهم برغبة ؛ وكأن العادة على ذلك .

فأخذت لهم ولدي باقر ، فذبحوه ، وقدموه لي ، فحملته قطعاً ، ثم تناولت إحدى يديه ، وجعلت آكلها ، فلم أر أطيب منها ، فهي لحم وبرودة وحلاوة وطراوة ، تشبه طرواة الخيار المقشر .

وبينما أنا أفعل ذلك ، تذكرت أنّه ولدي ، وتحركت الرقة في نفسي ، ثم نظرت الى الكبد والرأس موضوعين في إناء ، فاشتهيت أن آكل شيئاً من الكبد ، ولكنّ العاطفة تغلبت عليّ ، وخامرني النّدم على ما كان ، وكنتُ أُسلي نفسي بأنّ الناس كلها تأكل اولادها ، ثم أخذت الإناء ، وألقيت ما فيه من الرأس والكبد في فناء البيت ، طمعاً بأن تأكله الكلاب .

وانتبهت من نومي متألماً متأثراً الى ابعد حد ، ثم أخذني النوم ، فرأيت الطيف مرة أُخرى ، فانتبهت قلقاً مرعوباً ، ثم أخذني النّوم ، فرأيت كأنني أطلب من يؤول لي هذه الرؤيا وعرضتها على أخي والشيخ ابراهيم والشيخ سليمان كل ذلك في الطيف .

أما أنا فتأولتها عند انتباهي بعد الطيف الأول ، بانني عرضت ولدي بإخراجه من النجف وإدخاله في هذا العمل الذي لا آمن معه على عقيدته ولا على

سلوكه الى أمر هو أشبه بالنحر بالنسبة له .

ثم بعد الإنتباه من النومة الثانية أو الثالثة ، تأولت الطيف بأنّه ينجح في عمله ؛ وبأنني أكل من كدّه ثم ألقي اطايبه لزوجته ، وكانت الإنتباهة الأخيرة قبل الفجر ، وبقيت في همّ شديد .

وعدت لبيروت ، فسألت عن باقر وإخوته فلم أجدهم في البيت ، ولا في المواضع التي ينبغي أن يكونوا فيها وتبين أنّه جمع إخوته ، وأخذهم للسينما ، وهذه أول مرّة يرتكبون فيها هذا الامر الذي يعرّضهم لتحرّك شهواتهم ، وفساد اخلاقهم . فأمرت به صبح ذلك اليوم ، وأرجعته للعراق .

في أوائل سنة ١٣٩٢ هـ ، أو قبل ذلك ، رأيت كأنني واقف في قانا في الموضع الذي تقف فيه سيارتي عندما أريد الشراء من حوانيتها ، فجاءني شخص في عالم الرؤيا ، وكلفني بشيء ، ثم أخبرني أنّ في منعطف الطّريق ، قريباً مني دركي هو رفيقي في الجنة ، فأخذني العطف عليه ، وربما أجهشت بالبكاء وكافحت ذلك ، فانتبهت متعجباً .

ثم في هذا الشهر ، ربيع الأول من هذه السنة ، كنت نائماً في حاريص ، فرأيت كأنني قرب عين (المنيتنة)[1] . وهناك قطعة ارض زرع فيها عدد يسير من البطيخ الأحمر والخيار ، فتعجبت من قلتها وكأن شخصاً قال لي : إنّ صاحبها يعتاش منها على قلتها ، فنظرت اليها ، وإذا بها حاملة حملا كثيراً في غير أوانه ، وكأنها من أطيب الثمار فحاولت الشراء منها بكل أسلوب ، ولكنّ صاحبها كان غير موجود ، فبينما أنا واقف أحاول التكلم مع شخص لأحصل ولو على بطيخة أو بعض الخيار ، واذا اقبل شخص أشبه بفلاح متجمل يلبس لبس اهل الكسب الوسط المتطلبين للوقار ، والمتحلين بالدّيانة ، ولحيته مقدار انملة ، وليس متجملاً في الحلق ، وكان لباسه قمباز وجبة ، أو سترة من البرق الإيراني ، فلما أقبل أخبرني الواقف بأنه اخي في الجنة ، أو جاري فيها ، فسلمت عليه بلهفة وحب ، وسلم عليّ كذلك في ضمن الهدوء والوقار ، وأحسست بأنّ قلبي امتلأ حباً له ، ثم لما انتبهت ، جعلت افكر في شخص اعرفه على صورته فلم اهتد، وكان من آثار

---

١ ـ اسم بئر في بلدتنا حاريص

هذا الطيف استحقار عملي ،وندامتي بهعلى تفريطي ، وإقبالي على طلب الرفعة في الآخرة لي ولإخواني في الجنة .

وفي هذا اليوم ٩ محرم سنة ١٣٩٩ هـ ، قرات ما تقدم ، والتفت الى أمر حدث عقيب هذا الطيف بمدة يسيرة ، وهو أنني ذهبت الى بيت اخي الشيخ علي الفقيه ضحى ، في الشياح في بناية غندور ، فسلم عليّ الحاضرون ، وسلمْ علي من بينهم شخص لم اعرفه ، ولكنّه أشبه شيء بالشخص الذي رأيته في الطيف بشكله ولباسه ، والتفتّ الى أنّه هو الشخص الذي رأيته في عالم الرؤ يا . ثم سألت بعد هذا كله عنه ، وكان الحاضرون يظنون أنّني سلمت عليه عن معرفة ، واذا هو ابن اخي الشيخ عبد الأمير الفقيه - وبعد هذا ذكرت له قصة الطيف ، وأنّني عندما سلمت عليه لم اعرفه ، لأنه كان قد فارقني نحواً من سبع عشرة سنة ، وكان في ريعان شبابه ، ثم قال لي : إنّه كان يتمنى في نفسه أن يكون مثلي في اعماله ، وبعدها أخبرته بالطيف وشرحت له بعض التزاماتي الدينية ، التي يقوم هو بأكثرها ما عدا النواقل اليومية المعروفة الإحدى والخمسين والتزم بالنوافل اجمع ، وفقنا الله تعالى وإ ياه لما يريد .

في سنة ١٣٨٨ هـ ، زرت مقام الإمام الحسين (ع) في كربلاء ليلة النصف من شعبان ، ثم توجهت الى جهة الرأس الشريف على العادة المتعارفة ، لأنّه موضع استجابة الدعاء ، فلما صرت قريباً منه ، لم أجد في نفسي إقبالاً فدعوت بالميسور ، وهممت بالإنصراف ، فالتفت وإذا بقربي سيد جسيم يمتاز بطوله ، وجسامته ، مع تناسب كامل في أعضائه ، عريض الحاجبين ، واسع العينين ، لونه يميل إلى السمرة ، يرتدي لباساً أسوداً ، وعمة سوداء أشبه بعمائم السادة من سواد العراقيين ، ولكنّها ليست مثلها ، وكأنني أذكر أنّه شبه ملثم ، ونظرت اليه وهو واقف ، وكأن الناس تتحاماه ، فلا يصله شيء من المدافعة ، وخطر في بالي أنّ ذلك لكمال جسمه ، ولما نظرت اليه نظر إليّ نظرة كاملة مع ابتسامة خفيفة ، فأصغيت اليه وهو رافع كفيه ، ويدعو ويقول :

اللهم اغفر للمؤمنين اللهم سوّدهم ، اللهم أيدهم .

يكرر أمثال هذه الفقرات ، يبتدئها بالمؤمنين ، ويعطف عليها عدة فقرات

مما يناسبها ، يقول ذلك بصوت جهوري واضح فصيح مرتل، وقد يحرّك وجهه يمنةً ويسرة تحريكـاً خفيفاً ، ولا يزيد على هذا الدعاء، ولا يتحرّك من مكانه قيد شعرة، فلما سمعت ذلك منه قلت في نفسي :سيد من سادات الأعراب، يدعو للمؤمنين بإلحاح وبأنواع الخير ، واذا لم يكن لي حاجة لأحصل على التوجه بالدّعاء ، أليس للمؤمنين حاجات ؟ فجعلت ادعو لهم بنحو دعائه ، ثم قد أُعيد النّظر اليه فينظرني بمثل النظرة الاولى ، وهو مسترسل في دعائه بلا ملل ولا فتور ، ويقف على كل فقرة بصوت عربي فصيح لا لحن فيه ، فلبثت نحو ربع ساعة أو ثلث ساعة ، ثم لم أصبر على الزحام ، ولم أجد خشوعاً كاملاً وتوجهاً فانصرفت وتركته على حاله ثم أخذت افكر في شأنه ، ولا أزال افكر مع أنني لم ألمحه من قبل ، وعسى أن ألمحه مرة أُخرى ، أسأل الله سبحانه أن يحفظه ويكلأه .

في نهار الثلاثاء ١٣ شباط ١٩٧٣ م الموافق العاشر من المحرم سنة ١٣٩٣ هـ ، اجتمع عندنا عدد من المؤمنين للإستماع للمصرع ، كما هي عادتنا في كل سنة ، وكان التوجه كاملاً ، ومنهم : الشيخ محمد زغيب ، والحاج محمود شاهين ، والحاج عباس شاهين ابن اخيه ، والحاج عبدالحسين ياسين ، والحاج ابراهيم هرموش وآخرون ، وانتهينا من المصرع بعد الظهر ، وزرنا الزيارة ، وبعد ذلك أحسست بتعب شديد في عيني ، ولا سيما اليسرى ، فإنّني كنت اذا نظرت فيها أحسست كأن شاداً يشدها ليستخرجها ، وأصبحت الاحظ بياض الجدار متقطعاً بسواد ، فقلقت لذلك قلقاً شديدًا وأخفيته عن كل احد .

ثم حاولت النوم بعد ما تفرق الجماعة عقيب صلاة الظهر ، فلم أتمكن بسبب الإتصالات الهاتفية ، مضافاً الى أنّ فكري قلق ، وكنت بين لحظة واخرى أُجرب نظري ، فأراه يزداد ضعفاً ، وبلغ الحال بي أنّني أصبحت أنظر لولدي يوسف ، وهو أصغر ولدي الذكور ، ويبلغ من العمر نحو اربع سنوات نظر من يتودع من رؤية ولده ، وبقي الحال إلى أن صليت المغرب والعشاء ؛ وأنا أشعر بزيادة النقص في الرؤية .

ومما منّ الله به عليّ في أثناء الصّلاة ، أنّني توجهت إليه ، وشكوت حالي لديه ، خاطبته في نفسي قائلا :

إنني قد أتحمل البلاء ، ولكنّني لا اتحمل شماتة الأعداء ، ولا أتحمل الظن

أن الله ابتلاني بالعمى عقوبة معجلة . . .

ثم انقضت الصّلاة ، وانقضت السّهرة في الساعة العاشرة الا سبع دقائق أي بعد الغروب بنحو خمس ساعات ونصف ، فتناولت طعام العشاء ، وأنا قلق أو ساكن وبعد إتمامه ذهبت للحمام ، وبينما أنا أستعد للنّوم ، أحسست بنقطة ماء باردة تجري من فتحة أنفي الأيمن فبادرت بمسحها بكفي مخافة أن تسقط على لحيتي ؛ وأنا مشغول بطلب ورقة كلينكس لمسحها ، وبينما أنا كذلك ، أحسست بالثانية فمسحتها ، ثم نظرت في يدي واذا بها حمراء ، فأخذت أمخط مرة بعد أُخرى ، وأخذ الدم يخرج قطعًا حمراء تميل الى السمرة ، وفي أثناء ذلك ، خرج علقتان من الدم الأسود ، وارتفع الم العين ، وعاد النظر الى احسن مما كان .

والحمد لله رب العالمين ، حرّرت هذه الحادثة صبيحة تلك الليلة ، وأتممتها في فترات آخرها صباح الخميس ١٢ محرم سنة ١٣٩٣ هـ ١٥ شباط ١٩٧٣ م .

في شعبان سنة ١٣٩٣ هـ، عندما كنت في زيارة الرضا(ع) جرى ما يلي:

دخلت الفندق فاغتسلت واسترحت ، ثم صليت الظهرين ، ثم ذهبت للحضرة المطهرة فزرت براحة تامة ، وعدت للمنزل ، وبعد صلاة المغرب اشتهيت القهوة والشاي شهوة قوية شديدة بسبب الغسل والتعب والعبادة ، ولم يتهيأ لي ذلك ، وعجزت حتى عن السعي في سبيله تقريباً ، وبعد شعوري بالعجز ، فوضت أمري الى الله تعالى ،وعزمت على ترك ذلك ، مكافحة لشهوة النفس ، كما يفعله الرياضيون فتكلم معي الشيخ سليمان في أمر الشاي ، فقلت له :

إستخرت الله على السعي في سبيله فلم تساعد ، ولذا لا أتكلم في أمره ولا في امر النسكافة .

فتناول التلفون ، وطلب من صاحب الفندق ماءاً ساخناً ، وبعد نحو دقيقة دخل علينا رجل معه صينية ، فيها فناجين وماء ساخن ونسكافه ، فظننته صاحب الفندق ، ولم أعتن به ،وانتظرت منه ان يساعدني على إصلاح التخت ، ولم يفعل .

وسأله الشيخ سليمان وتبين أنّه من تبريز ، وكل اعتقادنا أنّه مرسل من قبل

صاحب الفندق ثم شربنا ، وصحب ما جاء به وخرج .

وبعد وقت يسير جاء المسؤول عن الشاي في الفندق ، ومعه الماء الساخن ، فعلمنا أنّ الرجل ليس من قبل الفندق ، فكان هذا شيئاً ملفتاً لنا ، ولا سيما وأنّ الإيرانيين لا يستعملون القهوة ولا النسكافة حسبما نعرفه ، ولكنّ الله سبحانه يسخر لعباده من عباده من يشاء ، والحمد لله رب العالمين هذه القصة دونتها في الرحلة الرضوية سنة ١٣٩٣ هـ وهي أقرب لواقعها مما هنا لأنني دونتها هناك في وقتها بحسب عادتي .

في هذه الليلة ـ ليلة السبت السادس من ذي القعدة سنة ١٣٩٣ هـ الموافق ٣٠ / ١١ / ١٩٧٣ م بعد صلاة المغرب كنت مشغولاً في تسويد بعض مسائل الحيض الإستدلالية من كتابنا (مناهج الفقيه) ، وكان الى جنبي ولدي يوسف ، البالغ من العمر نحو خمس سنوات ، فجعل يحدثني بأنّه عندما كان في العراق ، كان كذا وكذا . . . مما لا يمر في مخيلتي ، وأنا مرتاح لحديثه ثم زاد وجعل يستلفتني ، فضجرت لأنّه شوش عليّ ، وما أحببت أن أكبته ، وتألمت فانقطع فجأة عن حديثه وقال :

أنا أسمع واحد يتكلم في أذني مرتين ، ويقول : هالولد عما يعذب أبوه ، يحكي مع والده ، كرّرها عليّ ، ثم قال لي بعد ذلك : إنّ صوته يشبه صوتي ـ يعني صوت يوسف ـ وبعد هذا أقلّ من الكلام ، وهذا شيء غريب يفسره كل بقدر ما يعرف .

قصة المرحوم سليم الدايخ

في هذه الليلة ، ليلة الثلاثاء ، السادس من محرم سنة ١٣٩٤ هـ الموافق ٢٩ ك ٢ / ١٩٧٤ م قبل دقائق ، حدثني المؤمن الحاج شحادة الدايخ من بلدة جويا بمناسبة وفاة والده عندما كان في العراق في زيارة الأئمة (ع) قال : رجعت من الزيارة فوجدته قد توفي ، ولأول مرّة أسمع أنّ شخصاً يخبر عن نفسه بانه يموت في يوم معين ، ثم يموت ، ويخبر بأنّه يرى الملائكة

قلت له : ما كان مرضه ؟

قال : لم يكن مريضاً ، ولا ضعيفاً ، فإنّه بلغ من العمر تسعين عاماً ولم

يستعن بأحد .

فقلت له : حدّثني بالقصّة كاملة .

فقال : كان أبي يقيم عند أُختي الحاجة سعدى ، وليس له الا ولدان وثلاث بنات ، وكنت أقوم بواجباته وهو عندها ، وكان لا يقيم عندنا لأنّ بيتنا ليس فيه احد ، فأنا في عملي ، وعيالي في شأنها ، وليس عندنا احد ، وبعد عودتي من الزيارة حدثني ابن اختي الرقيب محمد .

فقال : إنّه جاء اليه يوم الخميس عاشر ذي الحجة في لبنان ، وهو يريد الذهاب الى أُسبوع ابن خالته في جويا ، فسلم عليه ، وتحدّث معه ، فقال ل والدي ، وهو جده لامه :

أنا أموت في هذا اليوم .

فقال له محمد : لماذا تتشاءم ؟

فقال له : أما ترى الملائكة تصعد وتنزل عليّ ، وهم يجاملونني ويدللوني ، هاهم قبالي ، ففارقه ولم يأبه بما كان ، وبعد ذهابه ورد إخوه الحاج امين من الكويت لحضور الأُسبوع ، فدخل على جدّه وسلم عليه ، وسأله عما يحتاجه فقال :

أشتهي (الفراكة) الأكلة اللبنانية المعروفة عندهم .

فذهب الى زوجة ابن عمه أو اخيه ، وطلب منها أن تصنعها له ، فاعتذرت بأنّها لا تتمكن من دق اللحم ، لأنّ هذا معيب بحسب عادة العامليين اذا فقدوا عزيزاً ، فهيّأ لها مكنة تدق اللحم ، فصنعتها له ، وودعه ومضى ، وقبل وصوله الى جويا ، ورد التلفون بوفاته ، فوصل ، فوجدهم مرتبكين فأخبروه ، فلم يصدّق ، وقال :

الآن فارقته وهو بتمام الصحة ، وكان للمرحوم شريك في الإسم من نفس العائلة ، وبعد ذلك تبين أنّه هو المتوفي ، وأنه صدق في اخباره لسبطه الرقيب محمد ، وشرعت في تحريرها بعدما انتهى من الحديث بدقائق ، ثم اتممتها بعدما انفض المجلس في نفس الليلة .

قصة الحاج محمد شبلي

الحاج محمد شبلي ، من بلدة كفرصير ، قضاء النبطية ، كان في سالف الزمان يزامل الأطباء في البحر أو في غيره ، وأصبح بعد ذلك طبيباً . وقال لي مرة إنه يقال أنهم ينتسبون إلى أبي لهب، فهو إذن هاشمي النسب، ولكنه لا يحب التظاهر بذلك ، لإنتهاء نسبه إلى أبي لهب ، وهو عاقل موزون متقن ، وقد كان يتعاطى الطبابة في البواخر التي تذهب إلى حج بيت الله الحرام ، أو يساعد الأطباء ، وهو قليل الكلام ، خفيف الظل ، عاقل وعفيف ، وله عندنا مكانة .

بلغنا عنه في هذه السنة سنة ١٣٩٢ هـ أنه مقعد في بيته لشدة ما يعانيه من العصبي ، وعزمت على عيادته مكرراً ولم أتوفق .

وفي هذا النهار السبت ٩ / ١٢ / ١٩٧٢ م الموافق ٣ ذ ق سنة ١٣٩٢ هـ ، دخل علينا في منزلنا في بيروت ، وكان عندي الحاج عباس شاهين من يارون ، وولدي الشيخ محمد رضا ، فسألته عن حاله فقال بكل هدوء : بقيت مقعداً ستة أشهر في البيت ، إلى أن جاء شهر رمضان ، فقمت بأعماله على عادتي من أداء الصّلاة وقراءة الأدعية ، وكنت أنتبه الساعة الثانية بعد نصف الليل ، وأبقى في أعمالي الى بزوغ الشمس ، وأنا أتحمل الألم ، إلى ان كانت ليلة الثلاثاء ـ ليلة العيد ـ فكانت أشدها ألماً فصليت صلاة العيد ،وتلوت أدعية الوداع ، وبقيت في أعمالي الى الساعة الحادية عشرة ونمت بعدها ، فانتبهت في الساعة الرابعة ، وكان ذلك الوقت أشد الأوقات عليّ ألماً ، وأحس كأنّ مدى تطعنني في ظهري وفخذي ، فتحاملت وقمت بأعمال ذلك اليوم الى أن انتهيت ، وأخرجت الفطرة ، .

وكانت عيالي تشاركني في اعمالي ، فلما انتهيت طلبت منها فنجان قهوة ، وأنا في أشد الم ، وأكتم عليها ذلك ، فقلت لها : لقد ادينا الفطرة ، وأرغب في الإفطار على تربة سيد الشهداء فأتتني بتربة جديدة ، فأخذت منها قدر عدستين ، وضعت واحدة منها في فيها والآخر في فمي بعد أن قرأت الدعاء المستحب في هذا الحال ، وتلوت سورة (إنا أنزلناه . .) ، فما فرغت ـ ثم اختنق بعبرته وصعب عليه الكلام ـ ثم قال : فما فرغت من عملي هذا ، الا وأنا لا أشعر بألم أصلاً ، واذا بمحمد شبلي العتيق تبدل الى شخص آخر ، وبعد قليل جاء أهل البلد

بأجمعهم لمعايدتي ، ثم ذهبت لمعايدتهم ، وفاضت عبراته لا شعورياً ، وكأنه يخشى أن تكون هذه اجرة اعماله من الله ، اعطاه اياها في الدّنيا ، فبشرته وهو لا يتمالك ، والله على كل شيء قدير وله الحمد على هدايتنا لمعرفته .

ولقد فاتني أن أذكر أنّ بنيه وهم مشفقـون عليه حملوه إلى الأطبـاء ، ولم يستفد شيئاً .

سمعت هذا الحديث قبل الظهر من هذا التاريخ ، ودونته بعد الفراغ من الصلاة . وفي اثناء انشغالنا بتصحيح هذا الكتاب وردنا كتاب ينعاه الينا في اوائل شهر رمضان من هذا السنة اعنى سنة ١٤٠١ هـ .

حجر وطين

من الكتاب التاسع : الالغاز والإحاجي والمشكلات

الإحاجي والألغاز والمشكلات

ثلاثة إخوةٍ لأبٍ وأمٍّ على التّحقيق كلّهم ذكور
أتتهم إرثة فتقاسموها فما ظلم الصَّغير ولا الكبير
ففاز الأكبران بثلث مالٍ وباقي المال فازبه الصّغير

الجواب : كان لهم ابنة عم ليس لها وارث سواهم ، تزوّجها أصغرهم ، وماتت ولم تعقّب ولداً ، وهي في حبالته ، فكان له نصف التركة بالزّوجية ، وسدسها بالقرابة ، وكان لكل واحد من الكبيرين سدس بالقرابة .

إمتحن ذكاءك . . .

سأل الفاضل الشيخ جعفر همدر بعض من يدعي العلم بدون علم عن معنى قول الشاعر :

وشاهد إفلاس الفتى كتم عيبه وذكر عيوب العالمين من العقل

فجعل المسؤول يقول له : هذا من نظمك ، وليس له معنى .

والجواب : إنّ قوله من العقل متعلق بإفلاس ، وبذلك يصبح المعنى واضحاً ، ويكون معنى البيت أنّ الشاهد على إفلاس الإنسان من العقل ، هو كتم عيوبه ، والتحدث بعيوب الآخرين .

والشيخ جعفر كان رفيقاً لنا في أواسط القرن الرابع عشر الهجري ، ثم ترك الدَّرس ، ودخل في سلك الموظفين ، وكان حسن النكتة ، سريع الضّحك ، وهو من طوال الرّجال ، وكان السيد محمد علي إبراهيم ابن السيد مهدي إبراهيم يشبهه في الطول ، وكانا صديقين ، وكان لهما صديق ثالث قصير جداً ، وهو

الشيخ إسماعيل النبلي ، وهو أسنّ منهما ، فكانوا اذا ساروا جعلوه بينهما ، ثم يقول الشيخ جعفر :

نحن اذا كنا كذلك مثلنا كتابة لنا ، لأنّه بينهما مثل سنة النون وعمته مثل النقطة[1] .

في وصف البطيخ الأصفر

ثــلاث هــنَّ في البــطيــخ حسن وفي الإنــســان مــنــقــصــة وذلّــة
خشــونــة جلده والـثـقــل فـيــه وصـفــرة وجهــه مـن غــير عـلّة

من شواهد إعراب الأسماء الستة والمثنّى بالحركات المقدّرة قول الشاعر :

واهــاً لـسلمى ثـم واهـا واهـا يـاليت عـيـنـاهـا لـنـا وفـاهـا
إنّ أبـاهـا وأبـا أبـاهـا قـد بلغا في المجـد غـايتـاهـا

ويبقى الإشكال في تثنية الغاية ، وفي مرجع الضّمير في قوله : غايتاها

مؤمن يتكلم بما يحسبه العوام كفراً

إنّ لــلّهــي إلهــاً فــوقــه يقصم العــاصي ويعــطي من شكــر
إنّ فــرعــون وهــامــان مــعــاً والــنّبــيــين جميــعــاً في سقــر

والحل : أنّ اللاّهي اسم فاعل مشتق من لهى يلهو ، والمقصود به الشّيطان وبذلك يتضح البيت الأول ، وأنّ الواو في قوله : والنبيين واو القسم . وقوله في سقر هو خبر إنّ . وبذلك يتضح البيت الثاني . والمعنى : إنّ للشيطان أو لمن يلهى الإنسان عن عمله إلهاً فوقه هو الله تعالى ، وإنّ فرعون وهامان في سقر وحق النّبيين .

---

١ ـ والشيخ جعفر من العباد المثابرين ، ولا يزال الى هذا التاريخ ـ أعني سنة ١٤٠١ هـ ،

تنبيه : لا يخفى انّ أصل هذه الحكايات قد يكون كتب قبل أكثر من نصف قرن ، وأنّ بعض الإضافات حدثت في وقت الطبع ، وهذا كثير جداً في هذا المجموع .

لأبي صلاح الصفدي

اي شيء طاب اكلا ناعم في الحلق لين
كيف يخفى عنك يوما .. وهو في التصحيف بين

فان لفظ بين ، اذا صحفت الباء منه تاءا وخففت صارت تينا .

ومن النوع السابق قول الشاعر :

شهدت بأنّ الله ليس بخالق وأنّ رسول الله ليس من البشر
وأنّ علياً ليس إبناً لعمّه ومن شك في هذا الكلام فقد كفر

وجه الإشكال فيه واضح ، والجواب : إنّ خالِقاً اسم فاعل من خلق - بكسر اللام - ، بمعنى بلي وفني ، والمعنى حينئذ : شهدت بأنّ الله سبحانه هو الباقي الذي لا يتغيّر ولا يبلى ، والمقصود برسول الله جبرائيل ، فإنّه رسوله الى الأنبياء وهو ليس من البشر بل من الملائكة ، ولا ريب أنّ علياً ليس ابن عم جبرائيل .

لبعضهم في الهاون

وأصفر مدوّر أكبر ما فيه فمه
وابنه من نسله يضربه ويلطمه
وقد علا صراخه وإبنه لا يرحمُهُ

ولبعضهم يرمز إلى اسم محبوبه :

نصف اسم من أهواه في بيضة ونصفه الآخر في البصرة
إنّ كنت ذا عقل وذا فطنة فإنّه في المد والجزرة

بيانه : نصفه الأول : مح ، وهو في البيضة ، ونصفه الثاني : مد ، وهو في المد والجزر الذي يكون في البصرة .

ولآخر :

سرينا مع ضحى في جنح ليل على خيلٍ مسوّمة عشار

السؤال : كيف كان المسير في الضّحى ، وفي جنح اللّيل .

الجواب : ضحى اسم محبوبته ، والعشار : هي التي بلغت من العمر عشراً .

ولآخر في اسم محمد ، وينسب للإمام عليّ عليه السلام :

خـذ المـيـمـين مـن مـيـم ولا تـنـقـط عـلى أُمـري
يـكـن اسـم لـه قـدر عـلا قـدراً عـلى قـدري

فإنّنا إذا اخذنا الميمين ، ولم تنقط على قوله : خذ ، الذي هو فعل امر حصل المطلوب .

ولبعضهم :

إنّ الفـرزدق صـخـرة عـاديـة طـالت فليس تـنـالهـا الأوعـالا

الإشكال في نصب الأوعالا والجواب انة مفعول لطالت ، ولعل الشاعر يشير إلى قول القائل :

كنـاطـح صخـرة يـومـاً لـيـوهـنهـا فلم يضـرها وأوهى قـرنه الـوعـل

وكأنّه يريد أن يقول : إنّ خصومه من الأوعال ، فهم لا يستطيعون نيله ، ولا الوصول إليه لعلوّ مكانته ، ولو وصلت إليه ونطحته ، كان مصيرها مصير الوعل اذا انتطح مع الصّخر ، وقوله : عادية نسبة إلى عاد ، وهو يشير الى سابق مجده ، وعلوّ شأنه ، وهو كناية عن الصّلابة لبقائها على حالها مع مرّ الدّهور ، وتوالي العصور .

وللنجاشي في الذّئب الذي حمى الماء :

فـلست بـآتـيـة ولا أستـطيـعـه ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

الإشكال في قوله لاك .

والجواب : ان سيبويه نص في أول كتابه في باب ضرورة الشعر على أن اصلها لكن ، وانّها خفّفت للضّرورة

مـرَّ كـما انـقض عـلى كـوكـبٌ عفـريتٍ جنّ بـالـدّجى الأجـدلُ

الإشكال : في رفع كوكب ، وجرّ عفريت ، ورفع الأجدل .

والجواب : إنّ كوكب فاعل لا نقض ، وإنّ الأجدل فاعل لمر ، وإنّ عفريت مجرور بعلى ، والتقدير : مر الأجدل ، كما انقض كوكب على عفريت جنّ في الدّجى .

قال الشاعر :

كلّمتــه ، فكَلَمْت صفحــة خــده فـتفـتحـت فيــه شـقـائـق جــده

الإشكال : فيه في قوله : فكلمت ، وفي قوله : جده .

والجواب : إنّ الكلم هو الجرح ، وإنّ اسم جدّ هذا المخاطب هو النّعمان ، والمعنى : تكلمت معه ، فاحمر وجهه خجلاً حتى كأنّني جرحت خدّه ، وحتى كأنّ شقائق النّعمان تفتحت فيه .

وقال آخر :

لـوكـان قلبي أبـاسفيـان وانقلبت هنـدأبـاه لأضحى قلب جـدّهم

اسم أبي سفيان صخر ، وجدّهم اذا قلبت ، فجعل آخرها أولها أصبحت مهدجاً ، والتهديج كثرة الحنين ، وأما قوله : وانقلبت هند أباه ، فلم نعرف معناه ، فإنّ أباه اسمه حرب .

والمعنى الإجمالي : لو كان قلبي صخراً ، لكان كثير الحنين .

وقال آخر :

وتحـت الـبـراقـع مـ قـ لـوِ بهـا تـدبّ عـلى ورد خـدّ نـدي

مقلوب البراقع : عقارب .

وقال آخر :

بـأبي قـدار مـنـك وابـن زرارة أُوتـيت حـتف المسـتهـام العـاني

قدار : عاقر ناقة صالح (ع) ، واسم أبيه سالف ، وابن زرارة اسمه حاجب ، وهو جد الفرزدق وزعيم تميم .

حجر وطين

والمعنى : بالسالف والحاجب ، أصبت بحتف العشاق .

وقال أحدهم :

لـو أنّ كـان أبـا مـعـاذ قلبـه   مـا كـان في البلوى أبـا حسـان

وأبو معاذ الصحابي ، هو جبلة ، وأبو حسان الصحابي الشاعر وهو ثابت .

قلت : ولعل هذا النّوع من الشعر من مختصات اللغة العربية .

أحاجي فقهية

* امرأة معها عشرة رجال ، كلهم من أُمّ واحدة ، فواحد زوجها ، وخمسة إخوتها ، وأربعة عبيدها .

الجواب : هذه امرأة ، اشترت أمة لها خمسة بنين ، اشترتهم معها ، فاعتقت واحداً ، وتزوجته ، ووهبت الأمة لأبيها ، فأولدها خمسة أولاد ذكور .

* سبعة زنوا بامرأة واحدة ، فوجب على الأول القتل ، وعلى الثاني الرّجم ، وعلى الثالث الجلد تمام الحد ، وعلى الرابع نصف الحد ، وعلى الخامس التأديب ، وعلى السادس التوبة ، وعلى السابع لا شيء .

الجواب :

الأول : الكافر الزّاني بالمسلمة .

والثاني : المسلم المحصن .

والثالث : المسلم غير المحصن .

والرابع : العبد غير المحصن .

والخامس : الصَّبي .

والسادس : الواطىء شبهة .

والسابع : المجنون ـ نقلناها من مكان مجهول .

رثى المعري بعض تلامذته بقوله :

وإذا الحجيج بها أرادوا ليلة ذكراك أخرج فدية من أحرما

الإشكال : لماذا يجب على المحرم عند ذكره إخراج الفدية ؟

الجواب : إنّ المحرم اذا تعمّد شم الطّيب وجب عليه إخراج الفدية ، وهو اذا ذكر أبا العلاء عبق الطّيب .

في وصف الدواة والأقلام

وما أمٌّ تجامعها بنوها وليس عليهم تجب الحدود
كأنّهم اذا ولجوا حشاها أفاعٍ في أماكنهم رقود

فإنّ الدواة هي الأم ، والأقلام تغمس فيها ، ثم إذا انتهى الكاتب ، فتح باطنها المتصل بها ووضع الأقلام المختلفة الألوان فيها ، ويتوقف هذا على معرفة وصف الدّواة في الأزمنة السابقة . فإنّها كانت شبه انبوب مربع توضع الأقلام فيه . وفي نهاية الأنبوب تكون الدواة متصلة به .

ومنها : في القلم

وذي نحول راكع ساجد أعمى بصير دمعه جاري
ملازم الخمس لأوقاتها مجتهد في طاعة الباري

والمراد بالخمس : الأصابع ، والمراد باطاعة الباري إطاعة الكاتب الذي يتخذ أقلامه من القصب ويبريها بالسكين .

ومنها :

ماكان قلبي مذعهدتك بالوفا كابن الطفيل ولأبي حسان

قلبي أبا مقداد فيك من الجفا

ابن الطفيل : هو عامر بن الطفيل ، وأبو حسان هو ثابت ، وكان حسان ابن ثابت شاعر المسلمين وأبو المقداد اسمه الأسود ، والمعنى : ما كان قلبي اسوداً عندما عهدتك بالوفاء عامراً ثابتاً ولكنهُ أصبح اسوداً بعد جفاك لي .

حدّثنا العلامة الشاعر اللغوي العروضي الشيخ قاسم محيي الدّين ـ ١ ـ العاملي النجفي مولداً ومسكناً ومدفناً ، أنّ العلامة الشاعر السيد رضا الهندي صاحب الكوثرية المشهورة تبارى مع المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبي ـ أحد المراجع المتوفي في الناصرية أيام الجهاد سنة ١٩١٩ م وهو من مشايخ استاذنا آية الله الحكيم في الألغاز باسم هاني ، فقال السيد محمد سعيد :

اسم الذي أهواه تصحيْفه إشارة ليس له تجدي
هامي دموعي شطره شطره وشطره الآخر من عندي

فإنّ شطر لفظ هامي : هو شطر لفظ هادي وهو (ها) ، والشطر الأخير من لفظ هادي هو الشطر الأخير من لفظ عندي .

ونضم السيد رضا الهندي ملغزاً . في نفس الإسم ، فقال :

يا خليليّ خبراني عن اسمٍ رأسه عند منتهى رجليه
ليس فيه قلب وإن كان يبدو قلبه كلما رفعت يديه

فإنّ أول حرف من لفظ هادي هو الهاء ، وهي منتهى لفظ رجليه ، وقوله ليس فيه قلب : اصطلاح لأهل الخط ، فإنّ حروف الكلمة إن كانت وتراً كان وسطها قلباً ، وإن كانت شفعاً فلا قلب لها فلفظ هادي رباعي فلا قلب له ، فإذا رفعت لفظ يديه صار يداه ، وإذا قرأته مقلوباً صار (هادي) .

وفيه من الإستعارة والتورية كل مستحسن ، وعندما سمع ذلك السيد الحبوبي رحمه الله غير بيته فقال :

اسم الذي أهواه تصحيفه إشارة ليس له تصلح
خمس وعشر طرفاه وما بينهما خمس لمن يفصح

فالهاء طرفه الأول ، وهي خمس بحساب الجمّل ، والياء طرفه الأخير ، وهي عشر بحساب الجمّل والألف والدّال هما وسطه وهما خمس بحساب الجمّل .

---

(١) عشنا مع الشيخ قاسم في النجف نحو ربع قرن ، وكنا على اتصال دائم فيه ، لأنّنا كنا متجاورين

. . . .

= معه في النّجف في محلة العمارة ، وكان متخصصاً في علم العروض مُستحضراً له يحفظ شواذه ونوادره وقد توفي رحمه الله حوالي سنة ١٣٦٨ هـ. تقريباً ، ولم يعقب الا بنتاً واحدة ، فيما اعلم ، وقد تزوج عدّة نساء ، وكان بيته كعبة لأهل الأدب ، وكانت مكتبته الموروثة تشتمل على نفائس المخطوطات بخطوط أربابها ، ومنها : بعض كُتب العلامة الحلي ، وكان خطه غير مقروء ، وقليل النقط ، ويقال : إنّه لو لا عناية ولده فخر المحققين بها لضاعت .

وقد زار النجف الاستاذ الشاعر الشيخ محمد علي الحوماني ، فنزل ضيفاً عندنا في أول الأمر . ولم يكن في وقتنا ولا في منزلنا متسع له ، فوصلناه بالشيخ قاسم ، فأقام عنده نحو شهرين وكان أدباء النجف يتهافتون لتلك النّدوة ، التي لم نتوفق لحضورها الا قليلاً ، لأنّ اتجاهنا العلمي والرّوحي ، يعتبر تلك النّدوات مضيعة للعمر بلا ثمن ، وكان أشهر من يصمد للحوماني الشيخ قاسم والسيد محمد جمال الهاشمي والشيخ عبد الغني الخضري ، رحم الله الجميع ، والأخيران من رفقائنا في الدّرس والعشرة والأدب .

وقد حفظ أدباء النّجف من هذه النّدوة الشيء الكثير ، واعتقد أنّه لا يضيع لكثرة ما فيه من النكت والملح والنّوادر . والنجفيّون يدونون أمثالها في مجاميعهم ويحتفظون به .

وأما السيد رضا الهندي فقد عاصرنا أمداً ، وقد تليت لي قصيدة في رثاء المرحوم الحاج محمود فرحات سنة ١٣٤٩ هـ ، والد صهرنا المرحوم الشيخ رضا فرحات ، وله بنون ادباء أشهرهم السيدُ أحمد ، وقد توفي أيضاً وهو ممن زاملناهم ، وله أبيات في وداعي في الكاظمية سنة ١٣٥١ هـ ، وهي :

نفس حر إلى المعالي نزوعة وأخو العلم للتقدم شيعة
والتلاقي بذر الكمال ولكن ربما تقطع الهموم القطعية
روّح النّفس في البلاد ودعني ذا اشتياق بروّع القلب روعه
أنا من أبخل الأنام بقلبي غير أنّي اعطيك قلبي جميعه
فتأمل صحيفة الود واقرأ كل يوم دروسها المطبوعة

واذكر أيام كان الدّهر أجود من كعب بقربك ، وانظر السّماء والأرض ، واذكر سمائنا وأرضنا ، واذا شيعت الشمي القمر ، فقد شيعتك نفوسنا كذلك ، واذا تغيّر كل ما في البسيطة ، فلن يتغير ودادنا ، والى الملتقى .

كتبت في الكاظمية ١٣٥١ هـ ٢٧ شعبان احمد الموسوي الهندي النجفي

وقد دعا مرة الأخ العلامة الشيخ رضا فرحات السيد رضا على طعام الغذاء في فصل الصيف ، وكنت يومئذ غير متزوّج ، فقدمت المائدة في سرداب السُن في بيت الشيخ القرشي في محلة العمارة عند منتهى عقد السلام ، فقدم له أطعمة مختلفة منها الكبة بأقسامها ، فأكل الكبة النيئة ، والمقلاة ، والمطبوخة باللبن وغيرها . . .

وعندما انتهى ، قال له الشيخ رضا : لو أعطيتنا رأيك في هذه الأطعمة ، فقال : أما الباميا فإنا نعرفه ، وأما هذه الأصناف الغريبة ، فقد نسيتها ، ثم جعل يأكل من أنواع الكبّة من كل لون لقمة ، ثم قال : كلما أردت أن أحكم لإحداها ، أدلي إليّ الأخر بحجته ، فوقفت عن الحكم ، وإن كان لا بد فهذه ـ

لبعضهم في اسم (عليّ) :

اسم الذي أتمنّى أوله في ناظره
إن فاتني أوله فإن لي في آخره

فإنّ أول اسم عليّ العين ، وهي أول حرف من لفظ عين ، ولي هي آخر اسم عليّ .

ومنها : في اسم محسن :

نصف اسم من اهواه في بيضة ونصفه الآخر في فيه

الجواب : نصف اسم (محسن) الأول (مح) ، وهو اسم للصفار الموجود في البيضة ، ونصفه الثاني سن ، وهو اسم للسنّ وهو موجود في الفم .

ومنها : في غزال :

ربّ إسم هويته ظاهر في حروفه
فإذا زال ربعه زال باقي حروفه

فإنّ كلمة (غزال) مركبة من أربعة أحرف ، واذا حذفت منه الغين وهي ربع الأربعة ، كانت بقية حروفه (زال) .

ومنها : في الموز :

إسم ثلاثي إذا ما زدته واواً ونوناً صار موزوناً

وأشار الى الكبة النيئة ـ فابتسمنا وأخبرناه بها ، وقلنا : هذه هي الأكلة التي يمقتها النجفيون ويعيّروننا بها . . .

وعندها ، أخذ لقمة ولاكها ، ثم قال : ليست بشيء ولكنّها هشة ، وكان معه ولده السيد محمد وهو مراهق بسيط ، فذعر ، وخاف أن يكون قد تضرّر بسبب أكلها . . .

فقال له والده : لا ضرر فيه ، ولكن لا تخبر والدتك ، فإنّها إن علمت بأننا تناولناها ، منعتنا من دخول البيت ، وطردتنا من باب الدّولان ـ والدّولان : اسم لمدخل يكون متصلاً بالشارع وبعيداً عن البيت ، ويكون مسقفاً غالباً .

انتهى .

ومنها : في العين :

وبــاســطة بــلا عصب جنــاحــا وتــســبــق مــا يــطير ولا تــطير
إذا ألقمتهــا الحـجـر اطمـأنّـت وتــأبى أن يبــاشــرهــا الحــريــر

ولا ريب أنّ العين تصل إلى أهدافها التي ترغب رؤ يتها قبل الطائر الذي يقصد تلك الأهداف ، وترتاح للكحل ، وهو حجر ، وتجزع وتدمع اذا لا مسها الحرير .

ومنها : في الطّاحون :

ومسـرعة في سيـرها طـول دهرهـا تراها مدى الأيام تمشي بـلا تعب
وفي سيرها ما تقطع الأكل ساعـة وتأكل مع طول المدى ثم لاتشرب
ومـا قطعت في سيـرهـا خمس أذرع ولاثلث ثمـن من ذراع ولاأقــرب

قطع شعرية غيرظاهرة المعنى

سأل العلامة الشيخ علي مروّة عن معنى هذين البيتين ، ونسبهما للسيد محمد محمود الأمين ، قائلاً : إنّهما من نظمه ، أو إنّه كان يسأل عن معناهما[1] .

مــن قـصــر الـلـيـل إذا زرتـني أشـكــو وتـشـكــين مـن الــطّول
عــدوّ شــانــيــك وشــانــيــهــمــا أصـبـــح مـشـغــولاً بمـشـغــول

ولمجنون ليلى :

أتــوب إلــيــك يــا رحمــن ممــا جنيت وقــد تكــاثــرت الــذنــوب
وأمــا عن هــوى ليــلى وتــركي زيــارتهــا فــإنّي لا أتــوب

---

١ ـ الشيخ علي مروة كان يقيم في صيدا وفي الزريرية وفي الخرايب ، عاش دهراً في النجف ثم في جبل عامل ، ثم هاجر للمجاورة في النجف في أواسط القرن الرابع عشر الهجري ، وكان عمره نيفاً وثمانين أو أزيد ثم عاد الى جبل عامل وتوفي فيها .

والسيد محمد محمود من العلماء المتعبدين ، كان معروفاً بطول صلاته ، وبمحافظته ، على الطّهارة ، وكان يأتي لزيارة الشيخ الوالد في حاريص ، وكنا نعرفه يوم كنا ندرس في شقراء ، وكان ذلك حوالي سنة ١٣٤٣ هـ .

الإشكال فيه : إنّه كيف لا يتوب عن ترك زيارتها ، مع أنّه لا يتوب عن هواها وحبّها .

مشكلات نحوية

قال الشاعر :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

الإشكال : في لما ؟

الجواب : إنّ هاشم مركب من فعلين ، أحدهما : وها وهي بمعنى ضعف ، والثاني : فعل أمر من شام بمعنى نظر ، والتقدير : أقول لعبد الله لما وها السقاء ، شم أي أنظر ، أي اطلب الماء لأنّ السقاء يصبح واهياً عندما يفرغ .

وقال آخر :

إنّي رأيت عجيباً في محلتكم شيخ وجارية في بطن عصفور

الإشكال : في معناه وفي إعرابه ، فإنّه رفع شيخ ونصب جارية .

والجواب : إنّ وجا ،فعل ماضٍ مخفف من وجأ مهموزاً، بمعنى رضه أو ضربه بسكين ، والرية : الكبد الحمراء ، والمعنى حينئذ واضح ، فإنّ الجملة إسمية ، وشيخ مبتدأ ، ووجا : فعل ماضٍ خبره ، ورية مفعول به لوجا

ومنها : يا عليقِ الحمارةَ .

الإشكال : أنّ عليق الحمارة إسم لعلفها ، ومقتضاه نصب عليق ، لكونه منادى مضافاً .

والجواب : إنّ هذه الكلمة مركبة من كلمتين ، وهما لفظ عليّ وقِ ، التي هي فعل أمر ، من وقى يقي وتكتب هكذا : يا عليُّ قِ الحمارة ، ويكون لفظ علي منادي مفرد علم سكن للوقف .

ومنها : ما ينسب للسيد صالح الحلي[1] .

صالحا صالحا وإن جا بحرم سالك سالكا سبيل الرشاد

الإشكال : في نصب صالح الأُولى مع أنّه اسم منادى ، ورفع سالك الأُولى ونصب سالك الثانية .

والجواب : إنّ صالح فعل أمر ، والنون للتوكيد ، وليست تنويناً ، وإنّ : سالك الأُولى مركب من كلمتين ، الأُولى منهما سال ، منادى مرخم على لغة من ينتظر ، وأصله سالم ، والثاني فعل أمر من كان والتقدير : يا سالم كن سالكا .

ومنها : ما ينسب لكامل بك الأسعد[2] .

ولا خير في أقوام لاخير عندهم ولاخير في أقوام ميمونهم قرد

الإشكال فيه : في رفع خير الثانية ، وفي معنى الشطر الأخير .

والجواب : إنّ (لا) مبتدأ على الحكاية وخير خبر لها ، والمعنى : إنّ القوم الذين تكون كلمة (لا) عندهم أفضل من كلمة نعم لا خير فيهم ، وأما الشطر الثاني : فيقصد به الأتراك ، لأنّهم يسمون القرد ميموناً .

ومنها :

إنّ من صاد عقعقا لمشوم كيف من صاد عقعقان وبوم

الإشكال : في رفع عقعقان وبوم مع أنّ الأول مثنى وظاهرهما انهما مفعول به .

والجواب : إنّ مفعول صاد الثانية ضمير محذوف تقديره صاده ، وعقعقان فاعل ، والمعنى : إنّ من يصيد عقعقاً واحداً مشؤوم لضعف هذا الطائر ، فكيف بمن يصيده العقعقان والبوم .

١ ـ السيد صالح الحلي خطيب شهير من خطباء المنبر الحسيني ، وقد عاصرناه في النجف ، وكان جهوري الصّوت فصيحاً جريئاً حفاظاً ، وله ملح ونوادر كثيرة ، ومما حدثني به بعض أرباب المكتبات وكان يقيم في بعض أواوين الصّحن الشريف أنّه تناول كتاباً ، فقرأ فيه نحو كراسة ، ثم قال له اضبط عليّ فجعل يملي ما قرأه ، وكان موافقاً لما في الكتاب ، لم يختلف إلا في حروف العطف ، فإنّه كان يغيّر فيها وهو من أشجع الخطباء وأجرأهم على الملوك والعظماء ، وربما نتحدّث عنه في مكان آخر .

٢ ـ من زعماء عاملة المشهورين ، توفي سنة ١٣٤٣ هـ .

وربما يكون عقعقان لغة في مفرد العقعق الذكر ، وأنّ من يصيده ويصيد البوم أشد شؤماً ممن يصيد العقعق وحده ويكون لفظ بوم منصوباً .

مشكلات أدبيّة

كان المرحوم الحاج محمود فرحات، والد العلامة الشيخ رضا فرحات، وجد ابن أُختنا الشيخ محمود فرحات ، اذا ورد العراق ينزل عند ولده في مدرسة الخليلي ، وكان يسأل من يلتقي به مسائل مختلفة ، وذلك في سنة ١٣٤٧ هـ وما حواليها ، وكان يوجه لطلاب العلم أسئلة مختلفة ، منها : ما معنى قول الشاعر ؟

يسمو الحباب إلى تقبيل مبسمه ويكسب الراح من خدّيه أنوارا
من أجله أصبح الراووق منعكفاً على الصّليب وشدّ الكاس زنّاراً

والمسؤول عنه هو البيت الثاني .

والجواب :

إنّ الراووق اسم للظرف الذي يوضع فيه الخمر ، وعندما يريد الساقي إغلاقه يعكف فمه على عود مربع يشبه الصّليب ، وإنّما يتخذ كذلك لأحكام ربط الخيط فيه ، ثم يلقي الكاس عليه مقلوباً ، فيصبح كأنّه زنار له .

والمعنى إنّ هذا الساقي إذا صبّ الخمر في الكأس ، طفا الحباب على فم الكأس ليكون عند شربه أول من يقبل مبسم هذا الساقي لجماله ، وأنّه إنّما يعكف الراووق مخافة أن يخرج الحباب منه محاولاً تقبيل مبسمه .

ومنها : قول أبي نؤاس .

تدار علينا الرّاح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس
فللماء مازرت عليه جيوبها وللخمر ما دارت عليه القلانس
قراراتها كسرى وفي جنباتها مها تدريها بالقسيّ الفوارس

وفي هذه الأبيات وصف معجز . . . فإنّه حدّثنا فيها أنّ لون الكأس كان عسجدياً ، وأنّه من صنع الفرس لا من صنع غيرهم ؛ وأنّ عليه صوراً ، وأنّ الماء يوضع فيها الى نصفها ، وهو موضع الجيوب ، وأنّ الخمر في النّصف

الأعلى ، وهو موضع القلانس ، وأنّ في أسفلها صورة كسرى ، وأنّ عليه صورة غزالة وصور فرسان يحاولون صيدها .

ومنها : قول الشّريف الرّضيّ في وصف ظبية مطفلة :

يحور إليها بالبغام فتنثني كما التقت المطلوب يخشى الأعاديا
لها بغمات خلفه تزعج الحشا كجس العذارى يختبرن الملاهيا

والمراد : بجس الملاهي اختبار آلات اللهو - يعني العود وتوابعه ، وقد سمعت والدي قدس سره في طفولتي يقول : أترى الشريف رأى ذلك وسمعه أو تخيله ؟

قلت ويشبهه في الروعة قول عدي بن الرقاع العاملي :

تزجي أغنّ كأنّ إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

وقد قال الرواة إنّه عندما أنشد الشطر الأول منه ، قال الفرزدق وجرير وكانا حاضرين : إنّه والله وقع ما يقدر أن يقوم ، فلما أتم العجز سجد ، ثم رفع رأسه وقال :

لا تلوموني ؛ أنتم أعرف بمواضع السجود من القرآن ، ونحن أعرف بمواضع السجود من الشعر .

قال المتنبي يمدح سيف الدولة :

لا تكثر الأموات كثرة قلة الا اذا شقيت بك الأحياء

الإشكال في هذا البيت من جهة الجمع بين الكثرة والقلة ، ومن جهة شقاء الأحياء به ، وأنّه ظاهر في الذم لا في المدح .

وفسره العلامة الشيخ مرتضى كاشف الغطاء[1] بأنّ الأموات لا تكثر كثرة يقلُ وجود مثلها الا اذا ابتليت الأحياء السكنية بعداوة سيف الدولة .

---

١ - الشيخ مرتضى رحمه الله من العلماء المعروفين بالفضيلة ، وقد جلست إليه في الصحن الشريف مرة واحدة في الجهة الشمالية ، قرب مقبرة السيد كاظم اليزدي ، وقد توفي سنة ١٣٤٩ هـ وكان له تشييع حاشد مهيب ، وله نكتة مع المرحوم السيد صدر الدين فضل الله العاملي ، وهو من العلماء الأدباء ، وإذا تكلم في تفسير

وفي سنة ١٣٤٨ هـ ، بمناسبة ما ، اجتمع جمهور العامليين في دار العلامة الشيخ محمد حسين الزين في النجف ، وكانت في محلة المشراق قرب بيوت آل كمونة ، فسأل السيد صدر الدين فضل الله العاملي عن معنى قول المتنبي :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدّمع أشفاه ساجمه

فاضطربت الآراء في تفسيره ، مع أنّ شراح ديوان المتنبي متفقون على تفسيره ، وكنت مع جماعة خارج الغرفة ، فقلت في نفسي : إنّ المتنبي وأمثاله من الشعراء ، كانوا يضعون في بعض قصائدهم بيتاً لا معنى له ، أو يقصدون منه معنى لا يؤديه البيت ، وحيث أنّ الناس يحسنون الظّن بهم ، يهتمون في تأويله وتفسيره ، ولو نسب نفس البيت لشاعر مغمور ، لأُلقي في سلة المهملات فقلت لمن كان في قربي * تعالوا ننظم بيتاً لا معنى له ، وننسبه لبعض المتقدّمين ، ونسأل الحاضرين عن معناه ، فقلت لهم : ما تقولون في قول دعبل الخزاعي الذي كان ينتقص الخلفاء العباسيين في قصيدة يمدح بها أحدهم ، وهو هذا :

ظلم الخليفة عدل وعدله كالجمار

وقلت لهم : هل هذا مدح أو ذم ؟ ثم قلت في نفسي : لا شك أنّه ليس له تفسير عند القوم ، وبينما أنا مغمور بهذه الأفكار ، انتبهت وقد علت أصوات القوم في تفسيره .

فقال الشيخ محسن شرارة : انه مدح ، وإنّ المعنى ظلمه وقسوته كلها في سبيل تحقيق العدل وأخذ الظالم بظلمه ، وأنّ عدله يحرق كالجمر .

وقال آخر : إنّه هجاء ، وإنّ معناه أنّه ليس عنده عدل ، وإنّما يظلم ويحسب ظلمه عدلاً ، وإنّ عدله يسير معدود كعدد الجمار التي يقذف الحجاج بها الشيطان في منى وهي لا تزيد عن سبع .

وتكلم الشيخ محمد شرارة بكلام وآخر بضده ، وعلت الصيحة ، مع أنّني

بيت كرّر الكلام وأطال ، وقد حدثني العلامة الشيخ رضا فرحات أنّه فسّر بيتاً ، وكرّر تفسيره على عادته ، فقال الشيخ مرتضى : الآن سأُفسّره بتفسير واضح ، ولكنّي عندما أنتهي منه سيقول السيد : هذا الذي قلته ، وهكذا كان ـ وكان ذلك في دار آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، التي يجتمع بها الناس .

كنت أعلمت الشيخ محمد شرارة بقصدي ، وهنا لم نتمالك ، نحن الجالسون خارج الغرفة ، من الضحك فانتبه القوم ، وعرفوا ما كان وانقطع الخصام .

في سنة ١٣٥٠ هـ ، سأل احدهم عن معنى قول المتنبي :

قفي تغرمي الأُولى من اللحظ مهجتي بثانية والمتلف الشيء غارمه

الإشكال في معناه وفي إعرابه..

وقد فسره أخي العلامة الشيخ علي الفقيه ، بعد أخذ ورد من المجتمعين ، فقال :

قفي يا فلانة لتدفعي غرامة مهجتي ، التي أتلفتها باللحظة الأُولى ، والغرامة التي تدفعينها هي أن تدعيها تنظر إليك نظرة ثانية فمهجتي تكون مفعولاً لتغرمي لا منادى .

وقال الشاعر في الأُجاص :

وسائل يسألني ما تشتهي أن تأكلا

قلت له جئني بحرف الشرط إن قد حصلا

فقال : جا ؟ قلت : نعم فقال : صه قلت : بلى .

وفي آخره تورية مستملحة ، فإنّ قوله صه ، كما يصلح تتمة لأنجاصة ، يصلح أمراً بالكف ، وقوله : بلى ، كما يصلح جواباً ، ويكون بمنزلة قوله : أصبت ، يصلح لإظهار الإمتثال .

حجــر وطــين

الكتاب العاشر - من زوايا التاريخ

الأوليات نوع من التاريخ له قيمته الكبرى ، فإنّ الإنسان عندما يرى شيئاً كبيراً او حقيراً ، يتطلّع لمعرفة مكتشفه أو مخترعه ، وكذلك الحوادث المتكرّرة ، فإنّ الإنسان يرغب في معرفة الأول منها وأنا عندما أذكر شيئاً في هذه الأوراق ؛ أذكره على سبيل الصّدفة والإلتقاط ، لذلك قد نقدّم شيئاً حقه التأخير ، ونؤخر شيئاً حقّه التقديم .

معلومات نافعة ، دوّنت سنة ١٣٤٨ هـ

* قدرت منتوجات جبل عامل سنة ١٣٤٨ هـ بمليون ليرة لبنانية وخمسين ألف ليرة ، ولها احق أن يكون منها موظفون ٣٦٠ موظفاً ، وكانت لا تحصل على

قليل مما تستحقه ، وكانت الخزينة تنفق على لبنان الأصلي أضعاف أضعاف ما تنفقه على جبل عامل .

* بلغ عدد نفوس فلسطين ثمانمائة ألف نسمة : ستماية ألف مسلم ، ومماية ألف يهودي ، وماية ألف مسيحي . العرفان .

* وفيها حكم المجلس العرفي في سنة ١٩١٣ م بتاريخ ٦ أيار على اثنين وثلاثين شخصاً بالإعدام .

* قاتل جمال باشا السفاح ، أرمني .

* قام غاندي في الهند بثورة سلمية سنة ١٣٤٨ هـ ، ثم صارت دامية في سنة ١٣٤٩ هـ .

* ضحايا الحرب العامة الأولى التي كانت أو انتهت سنة ١٩١٧ م : كان عدد الجنود المتحاربة تسعون مليوناً ، قتل منهم عشرة ملايين ، وأُصيب بجراح عشرون مليوناً ، وضاع عن بلادهم ثلاث ملايين ، وعدد الذين هاجروا عشرة ملايين .

* مخترع اللاسلكي (ماركوني) وهو ابن ثمانية وعشرين سنة .

* مكتشف الميكروب وأنواعه هو (باستور) .

* مساحة مسجد الخلفاء في سامراء ستة وخمسون ألف متر مربع ، ومساحة مسجد الكوفة أربعة عشر ألف متر مربع . هكذا زعم العلامة الشيخ آغا الأسدي .

نقل الغناء الفارسي إلى العربي

عن صفوان الجمحي عن أبيه : قال : أول من نقل الغناء الفارسي إلى الغناء العربي سعيد بن مسجح مولى بني مخزوم ، وفي هذا المقام روايات ثلاث عن كيفية أخذ المعاني[1] ؟

* أول من وضع علم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي .

* أول من وضع علم النّحو عليّ بن أبي طالب (ع) .
وأول من تلقاه عنه أبو الأسود الدّؤلي ، راجع في هذا الباب كتاب نزهة الألباء ، وفيه طبقات النّحاة .

* وأول من أسلم قبل البلوغ عليّ عليه السلام .

* وأول من جاهد في الإسلام عليّ عليه السلام ، فإنّه كان في صباه يدفع الصّبية عن رسول الله (ص) حتى قيل : إنّه كان يأخذ الطفل بأذنه فيقتلعها فكان يخوف بعضهم بعضاً ، ولعلّه من أجل هذا لقبه بعض خصومه بالقضم .

ثم أنّه بات على فراش النبيّ (ص) ليلة هجرته من مكّة المكرمة ، وهي أعظم تضحية في تركيز الإسلام ، عند أول بادرة في تغيير واجهة التاريخ، فأي جهاد أعظم وأي تضحية أعظم من هذه التضحية ، وأي مواساة أكبر من هذه المواساة .

* وهو أول من آخاه النبيّ (ص) ، وآخر من آخاه .

* وأوّل من أوصاه وآخر من أوصاه .

وهو أوّل من ولّاه في الإسلام على المدينة ، فقد ولّاه عليها يوم تبوك ، وولّاه على اليمن ، وقبل هذا لم يكن يعرف المسلمون معنى الولاية .

* وقد ذكر ابن أبي الحديد من أولياته أشياء كثيرة جداً ، ربما نتعرض لشيء منها في فرصة أخرى .

حول الخلافة ومدفن النبيّ (ص)

* راجع الطّبري ج ١ ص ١٢٦ وراجع الطّبري أيضاً ج٣ ص ٢٠٤

* راجع ابن ابي الحديد ج١ ص ٧٣ طبع مصر حول دفن النبيّ (ص)

* راجع ابن أبي الحديد ج١ص ٧٤ حول قضية الخلافة .

خبر زينب الكذابة ونزول الإمام عليّ الهادي (ع)

* في مروج الذهب المطبوع على حاشية تاريخ ابن الأثير م٥ ج٩ ص٢٠٦ :
ذكر خبر ادعاء امرأة أنّها زينب بنت عليّ (ع) ، وأنّ الخليفة سأل عليّ الهادي (ع)

عن ذلك ، وأنّه قال : إنّ لحوم بني فاطمة محرّمة على السّباع ، فإن كانت صادقة مـرها فلتنـزل إلى بـركـة السّبـاع ، وأنّـه أمـرهـا بـالنـزول فـامتنعت ثم طلب من الهادي (ع) أن ينزل فنزل وصلى وجعلت السباع تبصبص بين يديه ثم أن الخليفة أمر بقتل المرأة فقتلت، هذا مضمون القصّة حسبما أتخطره فعلاً .

* وذكر أيضاً أنّ الإمام الهادي (ع) مات مسموماً .

- وأول من بنى المدائن في الإسلام الحجاج بن يوسف .

القصص

في فجر الإسلام : عن كتاب الإثابة عن الحسن أنّه سئل عن حدث القصص ،

قال : في خلافة عثمان .

فسئل من أول من قص ؟

فقال : تميم الدّاري ، وكان هذا نصرانياً من اليمن ، أسلم سنة تسع من الهجرة .

* وفي فجر الإسلام أيضاً : عن الطّبري باختصار : وأول إشتراكية عرفها التاريخ سنة ٤٨٧ قبل الميلاد ، وهي اشتراكية مزدك الفارسي ، وهو رجل من أهل سابور ، دعا إلى مذهبه سنة ٤٨٧ قبل الميلاد ، وكان يرى أنّ الناس ولدوا سواء ، فليعيشوا سواء ، وأهم ما يجب فيه المساواة : المال والنّساء ، لأنّهما يجلبان المخالفة والمباغضة ، وهو ينهى عنهما . .

ولست أشكّ أنّ هذا شرك ينصبه الإنسان الذي تطمح نفسه للمجد والسّؤدد ، وهو لا يملك من أسبابها الأدبية والمادية ما يؤهله لذلك ، فيعمد إلى خديعة الفتيان والفتيات بهذا المبدأ المحبب لذوي النفوس الشّهوانية والبصائر التي لا تدرك منطويات الزّمن ، ولا تعرف ما يصلح المجتمع في جميع أدواره ، إنّهم يفكرون عن حاجتهم لشيء ، وهم في سنّ العرامة : عرامة البطن وغلبة الفرج ، وينسون المدى الطويل الذي يكون صلاحهم فيه بغير ما طلبته .

نرجع إلى كلام فجر الإسلام قال : هذا قبل الإسلام ، وأما بعده ، فكان أبو ذر صاحب رسول الله (ص) ، كما يحدثنا الطّبري بالشام ، فقام وجعل يقول :

يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء ، بشّر الذين يكنزون الذّهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، بمكاوٍ من نار ، تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

فما زال حتّى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، حتى شكا الأغنياء ما يلقونه من الناس ، فبعث به معاوية إلى عثمان كي لا يفسد عليه أهل الشام ، ففعل به ما فعل ، إنتهى .

ولتعصب احمد أمين الذميم ، لم ينقل أحاديث أبي ذرّ مع عثمان ، لأنّها تزري بعثمان ، مع أنّها تدل على سموّ أهدافه ، وشرف غايته .

أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

* أوّل هاشمية ولدت لهاشمي فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فإنّها ولدت لأبي طالب عليّاً وإخوته .
* فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت النبيّ (ص) .
* خديجة بنت خويلد ، اسم زوجة النبيّ (ص) أُمّ المؤمنين ، أوّل امرأة أسلمت ، وهي أوّل أزواج النبي (ص) ، ولكرامتها عليه ، لم يتزوج في حياتها ، وإنّما جمع بين زوجاته بعدها .

الإمام زين العابدين (ع) يوم وقعة الحرَّة

في مروج الذّهب في الطبعة الجديدة الجزء الثالث ص ٢٢ ذكر قضيّة الإمام زين العابدين (ع) يوم وقعة الحرة[1] .

في صحيح البخاري

في البخاري : ميراث البنت الواحدة : في البخاري ج ٤ ص٥ عن سعد عنه (ص) ، ما يدل على أنّ البنت الواحدة ترث المال كلّه ، وهو دليل بطلان التعصيب .

* مرض النبيّ (ص): في البخاري أيضاً ج٤ ص٥ قول عمر إنّ النبيّ (ص) قد غلبه الوجع، وقول ابن عباس إنّ الرزية كل الرزية . .
* الجمع بين الصّلاتين ج١ ص ١٨٩ .

---

١ ـ ينبغي نقلها مفصلة .

وقد لاحظناه ، فوجدناه كما نقلناه في الطبعة الثانية في المطبعة العثمانية بمصر .

في كتاب زهر الربيع للسيد نعمة الله الجزائري

كان الطّلاق عند العرب بيد النّساء ، وكانت علامته تغيير باب البيت ، وذكروا أنّ زوجة حاتم الطّائي طلّقته عندما أسرف في ماله .

وفيه أيضاً : أنّ ذا الأكتاف هو هرمز ملك الفرس ، حارب العرب فغلبهم ، وخلع أكتاف سبعين ألفاً من الأسرى منهم ، فسمي ذو الأكتاف ، وهو الذي أمر العرب بإرخاء الشّعر ، وسكنى بيوت الشعر ، ولبس المضيقات ، وركب الخيل عراة رمزاً لإذلالهم .

ويقال على لسان العامة : إنّه هو الذي أمرهم بلبس العقال ، ولكنّ المظنون به أنّهم يلبسونه لتهدئة ما يتستّرون منه من البرد والحر على رؤوسهم ، ويستعملونه للبعير وقت الحاجة ، لبساطة حياتهم .

في مجلة المقتطف للأديب يعقوب صرّوف

شاهدنا صورة قصيدة منقوشة بالقلم العربي وجدت في إحدى الخرائب القديمة في اليمن ، ويظنّ أنها نقشت قبل التاريخ المسيحي بألف عام .

من كتاب السّفور والحجاب لنظيرة زين الدّين اللبنانية

إنّ غاليله هو الذي اكتشف دوران الأرض حول الشمس .

في الروزنامة الأهلية

في الدّماغ البشري مائتا مليون وتسعة ملايين خلية نخاعية .

* أول صحيفة ظهرت في العالم في الصّين وذلك قبل ميلاد المسيح (ع) بتسعة قرون ، أي منذ حوالي ٢٨٤٥ سنة ، وكان اسمها (كبنبان) ، وهي الصّحيفة الرّسمية ، وكانت تظهر صباحاً باللّون الأصفر ، وظهراً باللّون الأبيض ، ومساءاً باللّون الأحمر . (نقل ذلك صاحب تاريخ الصّحافة) ,

* أوّل من غرس بالشام غرساً بيده ـ من الملوك حسب الظاهر ـ سليمان بن عبد الملك ، وذلك لروايته عن النبيّ (ص) : من غرس غرساً بيده ، كتب الله له

من الأجر بقدر ما يخرج من ثمار ذلك الغرس .

قلت : وقد كانت له هواية في الغرس ، ومن ثم انتشر في زمانه .

* في أميركا مجلة يطبع منها كل شهر مليونان وثلاثماية ألف نسخة .

* إنّ متوسط ما يحدث من الزّلازل في اليابان أربعة في كل يوم .

* في جسم الفراشة تسعة وأربعون عضلة .

* تبلغ المسافة التي يشم العقاب والغراب منها طعامهما نحواً من أربعين ميلاً .

* كل ولد يموت في بلاد الاسكيموا ، يدفن معه كلب .

* الزرنيخ : تقتل جميع الحيات ، مع أنّ سمّها قليل . انتهى .

المأمون تبرّأ من معاوية لظهور نفاقه عنده

في مروج الذهب الجزء الثاني ص ٣٤١ المطبوع في مصر سنة ١٣٤٦ هـ ، قال ما لفظه . وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين ، نادى منادي المأمون ، برئت الذمّة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدّمه على أحد من أصحاب رسول الله (ص) ، وتكلم في أشياء من التلاوة إنّها مخلوقة وغير ذلك وتنازع الناس في السّبب الذي من أجله أمر بالنّداء في أمر معاوية ، فقيل في ذلك أقاويل :

ـ منها : أنّ بعض سماره حدّث بحديث عم مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي ، وقد ذكر هذا الخبر ابن بكار في كتابه في الأخبار المعروفة بالموفقيات ، التي صنّفها للموفق ، وهو ابن الزّبير ، قال : سمعت المدائني يقول :

قال المطرف بن المغيرة بن شعبة : وفدت مع أبي إلى معاوية ، فكان أبي يأتيه ويتحدّث عنده ، ثم ينصرف إليّ ، فيذكر معاوية ويذكر عقله ، ويعجب مما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة ، فأمسك عن العشاء مغتماً، فانتظرته ساعة ، وظننت أنّه لشيء حدث فينا أو في عملنا ، فقلت :

ما لي أراك مغتماً منذ الليلة .

قال : يا بنيّ ، إني جئت من عند أخبث الناس .

قلت له : وما ذاك ؟

قال : قلت له وقد خلوت به : انك بلغت سنّاً يا امير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً ، فإنّك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم ، فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه .

فقال لي : هيهات ملك أخو تيم ، فعدل ، وفعل ما فعل ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره الا أن يقول قائل : أبو بكر .

ثم ملك أخو عدي ، فاجتهد وشمّر عشر سنين ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره الا أن يقول قائل : عمر .

ثم ملك أخونا عثمان ، فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه ، فعمل ما عمل ، وعمل به فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره ، وذكر ما فعل به ، وإنّ أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات : أشهد أنّ محمداً رسول الله (ص) ، فأيّ عمل يبقى مع هذا ، لا أُمّ لك ، والله الا دفناً دفناً .

وإنّ المأمون لما سمع هذا الخبر ، بعثه ذلك على أن أمر بالنّداء على حسب ما وصفنا ، وأُنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر ، فأعظم الناس ذلك وأكبروه ، واضطربت العامة ، فأُشير عليه بترك ذلك ، فأعرض عما كان هم به ، إنتهى بلفظه .

وقوله دفناً دفناً ، إما محرّف من الطابع ، وإما معناه دفناً لسيرة رسول الله (ص) ، أو دفناً لأقارب الرّسول ، وهو الأقرب : ولا حول ولا قوة الاّ بالله العليّ العظيم .

إنّ هذا الرّجل معاوية ، يتهم الأول والثاني والثالث ، ولا سيما الثاني بأنّهم حاولوا وضع أنفسهم في صف رسول الله (ص) ، وهذا يدل على عدم اعتقادهم بتميز النبيّ عن الخلق ، هذا هو الذي يظهر من معاوية ، ولا سيما قوله عن عمر إنّه شمر عشر سنين .

أول من ضرب النقود الإسلامية

* في تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢٦ : نقل أنّها نقشت في أيام عبد الملك ، وذكر المعلق على الهامش ما لفظه عن م١٧ من دائرة المعارف البريطانية ص ٩٠٤

الطبعة الثالثة عشر : إنَّ أوّل من أمر بضربها أمير المؤمنين عليه السلام في البصرة سنة أربعين من الهجرة .

وفي ج١ من المجلد ٤٩ ص ٥٨ من مجلة المقتطف ما لفظه : وفي خلافة حضرة عليّ كرّم الله وجهه كان مكتوباً على دائرة السكة التي ضربت سنة ٣٧ بالخط الكوفي «وليّ الله» . قلت : وفي قراءة الصف الثالث للمدارس الحديثة في العراق ص٣٠ عن المحاسن والأضداد للبيهقي : إنّها ضربت في عهد عبد الملك بن مروان بأمر من الإمام الباقر (ع)، ونقل حديثاً مطولاً .

الإمام أبو حنيفة شيعي زيدي

في الملل والنحل للشهرستاني على هامش الفصل ص٢١١ الى ص٢١٣ ، تحدّث عن الجارودية ، وذكر تشيع أبي حنيفة ، وأنّ المنصور سجنه ، وأنّه مات في سجنه ، .

في عالم الفقه والحديث

* من أدلّة ركنية النية : صحيح زرارة المروي في أول أبواب الوضوء ، ص٤٨ من الوسائل طبعة عين الدّولة .

* في رجال الشيخ محمد طه نجف ص ١٨ كلاماً يصلح للرد على الأخباريين القائلين بقطيعة الأخبار .

* في المسالك ، في كتاب الإبراء ص١٠٥ ، في إسقاط الحقّ ، وأنّه لا يسقط بالإسقاط .

* في المسالك أيضاً : ص١٠٧ : في الحكم بين أهل الذمّة ، وإنَّ الحاكم يتخيّر في الحكم بينهم بنظره ، وبين ردهم إلى ملّتهم .

ساعات في صحيح البخاري ـ الطّبعة الثانية في مصر بالمطبعة العثمانية سنة ١٣١٨ هـ

* الجمع بين الصّلاتين ، ج١ ص١٨٩ : باب الجمع بين الصّلاتين ، أيضاً في ج١ ص ٢٩ في آخر باب وقت صلاة العصر .

* قول عمر : ليتني لا عليّ ولا ليا : ج١ ص١٥٩ قبل باب ما ينهى عن سبب الأموات .

* آية : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾: في ج١ ص ١٣ في آخر باب زيادة الإيمان : قول اليهودي لعمر فيها : لو كانت عندنا لاتخذناها عيداً ، وجوابه بأنّه يعرف المكان واليوم الذي نزلت فيه ، ولم يجب عن سبب عدم اتخاذها عيداً ، ولا عن سبب نزولها .

* المسح على القدمين ج١ ص١٣ باب من رفع صوته في العلم : وفيه : أنّهم مسحوا على أقدامهم للصّلاة .

* وضع الجريدتين في القبر : ج١ ص١٥٥ باب الجريدة على القبر : وفيه حديثان .

* ضرب موسى (ع) عزرائيل على عينه : ج١ ص١٥٢ : باب من أحبّ الدّفن في الأرض المقدّسة أنّ موسى صك ملك الموت ، وأنّ الله ردّ عين ملك الموت عليه .

* المتعة : ج١ ص١٨٠ باب : من لبّى بالحج وسمّاه ، وبعده باب التمتع ، وفي كلا البابين ما يدل على مشروعية متعة النّساء ، ومتعة الحج .

* بيت عائشة : ج٢ ص١١٥ : باب ما جاء في بيوت أزواج النبيّ (ص) في آخره أشار النبيّ (ص): نحو مسكن عائشة ، وقال : ههنا الفتنة ثلاثاً ، من حيث يطلع قرن الشّيطان .

لقطات تتعلق بالنبيّ (ص) والحسين (ع)

في رواية : إنّ جارية خرجت من خيم النّساء يوم عاشوراء ، ونادت : الله يا يوم الإثنين . سألت السيد جواد شبر عن مصدرها ، فقال : مروج الذّهب . قلت وفي كتاب زينب الكبرى للشيخ جعفر نقدي ص١٤٩ ذكر قول زينب ابنة عليّ (ع) يوم العاشر من المحرم : ومنه قولها بأبي من أضحى معسكره يوم الإثنين نهباً .

أقول : المعروف أنّ الحسين (ع) نزل كربلاء يوم الخميس في اليوم الثاني من

المحرّم ، وإذا كان الخميس ثانياً ، كان يوم الجمعة هو العاشر ، وفيه استشهد ، وعلى هذا فما معنى مقالة هذه الجارية وقيل في تفسيرها إنّ وفاة النبيّ (ص) كانت يوم الإثنين ، وقيل إنّ بيعة أبي بكر كانت يوم الإثنين .

في رواية أُخرى : إنّ النبيّ (ص) كان مسروراً بولديه ، فهبط عليه الأمين جبرائيل وأخبره بما يجري على الحسين (ع) ، فبكى ، ثم اشترك معه أهل بيته عليّ وفاطمة والحسنان ، وسئل فأخبر بما يجري عليهما ، فقالت فاطمة عليها السلام : متى يكون ذلك ؟

فقال (ص): في زمان يكون خالياً منّي ومنك ، ومن أبيه وأخيه ،

فقالت : من يبكيه ؟

فقال (ص) : سيخلق الله له شيعة يبكونه ، وأخبر أيضاً : بأن أعداءه سيهتمون في إخفاء أمره، وأنه سوف لا يزداد إلا ظهوراً وانتشاراً؛ وقد صدق رسول الله (ص)، فإن من تتبع التاريخ وجد ذلك حقاً، فقد هدم المتوكل قبره وأجرى عليه الماء، وقد هاجم الوهابيون كربلاء وفعلوا أكثر من ذلك ثم هو لا يزال منارة للقاصد، ومأمّاً للوافد.

هذه الرّواية قرأتها مرّة ، فرأيت أنها من معجزات النبيّ (ص) ، لأنّه أخبر عن أُمور تكون بعد قرون كثيرة ، وصدق ، ثم طلبتها فلم أجدها ، فسألت السيد جواد شبّر عنها ، فقال : إنّها مروية في كامل الزّيارة لابن فهد رحمه الله .

ومتى عثرت على الرّوايتين أشرت للصّحيفة ، لأنّ كلا المصدرين لا يحضرانني فعلاً .

قيل : إنّ النبيّ (ص) في أوّل بعثته جمع أقاربه عملاً بقوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ جعل علياً (ع) خليفة ووصياً، في مجمع البيان روي ذلك عن تفسير الثعلبي ، وقيل : إنّه موجود في تاريخ الطّبري في الجزء الأول والثاني ، وأما كتب الشيعة فإنّها تعتبره مقطوعاً به .

الشورى ومفاسدها

كلمة معاوية في الشّورى التي أسند فيها اختلاف الأُمة وانشقاقها إلى الشورى التي اصطنعها عمر بن الخطاب . راجع العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج ٣ ص ٧٤ الطبعة الجديدة .

عمر بن الخطّاب

عن القاموس : في مادة طربش ، أنّه ذكر فيه في هذا الموضع أنّ عمر بن الخطاب كانت مهنته قبل الإسلام تأجير المطايا للوفود على البغايا إلى الطّائف .

خلف الأحمر والوضع

قال بعض المتقدمين : لم نرى قط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الأحمر ، كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء ، فلا يتميز عن مقولهم ، ثم تنسّك . من الكشكول للشيخ البهائي العاملي . ورأيت مثل هذا عن أحد الحمادين في كتاب نزهة الألباء في طبقات الشعراء .

في الصّواعق المحرقة

روي في الصواعق المحرقة عن البخاري أنّ فاطمة سلام الله عليها ماتت واجدة على أبي بكر : لاحظ الصواعق ص٨٨ سطر ٣٥ .

* قضية توسعة المسجد الحرام ، وهدم عثمان بيوت الممتنعين : رواها ابن الأثير ص٣٣ .

* صفة دخول امير المؤمنين علي عليه السلام إلى البصرة بعد وقعة الجمل : راجع مروج الذّهب للمسعودي ، المطبوع على حاشية تاريخ ابن الأثير ، الجزء الخامس ص١٨٨ .

* قضية تقلص الوليد في قبره: راجع ابن الأثير ج٥ ص٣ .

قتل البرامكة

* يقول الشيخ محمد طه نجف (ره) في الرجال في ترجمة هشام بن الحكم ص١٤٥ أنّه مات مختفياً بعد نكبة البرامكة بقليل ، وأنّ البرامكة قتلوا لأجل تشيعهم .

* في أنوار الربيع للسيد علي خان صاحب السلافة : قال ابن بسام : أول من بكى واستبكى ، ووقف واستوقف الملك الظّلّيل حيث يقول :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللّوى بين الدخول فحومل

ثم جاء أبو الطيّب ، فنزل وترجل ، ومشى في آثار الدّيارْ ، وذلك حيث يقول :

نزلنا على الأكوار . . . الخ . .

ثم جاء أبو العلاء المعرّي، فلم يقنع بهذه الكرامة ، حتى خشع ومجد ، ذلك حيث يقول ؟

تحـيّـة كـسـرى في الـثـنـاء وتـبّـع
لـربـعـك لا أرضـى تحـيّـة أربـع

قلت : وقد غفل ابن بسام أنّ المتنبي أوّل من فداه بنفسه ، وذلك حيث يقول « فديناك من ربع وإن زدتنا كربا » .

* عن زهر الربيع : للسيد نعمة الله الجزائري :

- أوّل من عمل الصّابون سليمان (ع)

- وأول من عمل السّويق ذو القرنين .

- وأول من صنع القراطيس يوسف (ع) .

حجر وطين

الشعبذة والقيافة والرمزيات في العالم

الكتاب الحادي عشر

مقدّمة

وبعد : فهٰذه الحلقة من كتابنا حجر وطين ، وهي في علم الفراسة والقيافة ، وقبل الشروع في نقل قصص المتفرّسين ، وفي نقل العلامات التي يستندون إليها ويعتمدون عليها ، ينبغي أن نشرح هذا الموضوع بقدر ما يسعنا ، لنعلم أنّه هل هو أمر خرافي ، أو أنّه علم له أصول وقواعد يدعمها الإستقراء ونسأل الله التّسديد .

واعلم أنّنا إنّما نذكر بعض الشّعوذات ، للتنبيه على ما يرتكبه بعض الناس ، ويموهون به على البسطاء وهو أصناف كثيرة ، وأشكال متفاوتة ، وصاحبها مرة يدّعي أنّه يستخدم الجنّ ، وأخرى يدّعي أنّ عنده الإسم الأعظم ، وثالثة يدّعي أنّ نفسه صافية ، وكل ذلك مراء وخداع ، فإنّ الأمور الآنفة قد توجد عند شاذ من الناس ولكنّها لا تعرض أمام الهمج الرّعاع ، ولا أمام الجبابرة والطّغاة ، لأنّهم يلجئون حملتها إلى ما لا يسمح لهم به دينهم أو وجدانهم ، أو الى ما لا يقدرون عليه ، ثم لا يرضون باعتذاراتهم . . نعم من يستعمل الشعوذة يظهرها ، لأنّهم اذا ألجأوه كشف سرّها .

ونحن لا ننكر الآثار الروحانية ولا غيرها من الأسرار الخفية التي أودعها الله في هذا الكون دليلاً على سمو مكانته وارتفاع شأنه ، وكَبْتاً لِكبر الإنسان الذي يدّعي ما ليس له جهلاً وعتواً ، لأنه يرى نفسه قادراً على كشف أسرار الطّبيعة ، والوصول إلى ما

وراء المادة هذا وقد جعله الله سبحانه عاجزاً عن معرفة مرضه الذي يعانيه وعن معرفة سببه ، وعن معرفة العضو الذي هو فيه ، إذا كان في داخل بدنه ، وعن دوائه ، وعن وقت موته ، مع أنّ بدنه له لا يشاركه فيه أحد ، ومعه لا يفارقه أبداً ، فهو يجهل ما يوجد فيما هو له ، ثم يدعي معرفة الكون وما وراء الكون ، وما تحت أطباق الثرى ، مع أنّ ذلك كله ليس له .

وقيل : إنّ الله سبحانه ابتلاه بهذا الجهل في أقرب الأشياء إليه لئلا يدعي العلم فيما هو أبعد منها عنه ، وجعله يلجأ للأطباء لأنهم أعرف منه بما هو فيه لينفتح عليه

الباب في اللجوء إلى الأنبياء لأنّهم أعرف منه بما هو وراء هذا الكون .

فراسة عامة

١ ـ اللّون الأحمر الدّموي وسواد العينين مع سمن بسيط في الجسم يدل على شهوة الزّنا والفسق .

٢ ـ اللّون الأسمر النحيف يدل على الغيرة وحدّة الفكر والبغض .

٣ ـ البياض وزرقة العينين يدل على المكر والحيل والخداع والغشّ والبخل والفتنة .

٤ ـ قصر القامة يدل على الغشّ والخداع والفتنة .

وفي أمثلة العامة : كل قصير مدحدح يمشي وقلبوا يقدح ـ كناية عن الشجاعة ، وفيها : كل قصير فتنة ، وفيها أيضاً : كل قصير فطنة . . والإستقراء يدل علي كثرة العظماء في القصار .

الطّول على العموم يدل على البله ، ومن ثم قيل : إذا رأيت طويلاً عاقلاً فاسجد له ، ولعلّ المراد به الطول الذي لا يناسب ضخامة البدن ، وقالوا :

وفي توراة موسى قد قرأنا
قصار الناس أعظمهم عقول
وفي الإنجيل مكتوب بتبرٍ
ألا لا يستوي عقل وطول . .

٦ ـ السمن يدل على الجود والحلم .

٧ ـ النحافة تدل على القساوة والحسد والبغض .

٨ ـ العين المتسعة الواضحة السّواد تدل على الفكر والحدة .

قلت : والمجرّب أنّ العين الواسعة أكثر من قابلية الوجه ، تدل على شيء من البله . .

٩ ـ الأعين السنجابية والشّهل المبيضة تدل على البرودة والكسل .

١٠ ـ العين المستديرة اللامعة السّوداء الرطبة تدل على شهوة الزّنا وشدّتها

١١ ـ العين الزرقاء تدل على الجبن والخوف والخيبة والمكر والخديعة .

١٢ ـ العيون الرّمادية تدل على الحزم وكبر العقل .

١٣ ـ قيل : إنّ العيون الزرقاء تدل على الإخلاص والأمانة والشجاعة والمرح والتفاؤ ل بالخير .

١٤ ـ العيون الفاتحة دليل على الحدّة والغيرة وقلة الثبات .

١٥ ـ العيون الكستنائية تدل على سهولة الإنقياد والميل للسّرور ، وصاحبها يكون خلقاً محبوباً ، ويفضل راحة رفيقه على راحته .

١٦ ـ العيون العسلية ملأى بالأسرار ، وأصحابها تحكمهم عواطفهم ، ويضحون بأنفسهم كثيراً .

١٧ ـ أصحاب العيون المستديرة يفكرون قليلاً .

١٨ ـ أصحاب العيون الصّغيرة يشعرون بدقة .

١٩ ـ أصحاب العيون الكبيرة يتغلّب عليهم الخيال والعاطفة .

الأنف

الأنف الطّويل يدل على المكر والخداع .

الأنف الذي يتحرّك ، يدل على الإزدراء والهزل .

الأنف السّميك ، ذو الفتحات المتسعة ، يدل على الميل للفسق .

العنق

ثخن العنق وقصره يدلان على القوّة ، ويدلان على الحمق .

دقة العنق وطوله يدلان على الضّعف ، ويدلان على الشّبق أيضاً .

عرض الكتفين واتساع الصدر وبعد ما بين المنكبين دليل على قوة الجسم وضعف التناسل ، وضيقهما يدل على عكسه .

الفم المتسع والشفتان السميكتان تدل على الفسق .

الآذان

الآذان الحمراء الكبيرة تدل على البله والفسق .

عظم الآذان وطول الأنياب دليل على النبوغ .

العيون والذّقن

يقال : إنّ العيون الصغيرة العميقة المنخفضة عن الوجه مع عظم الذّقن تدل على الخبث .

العنق والكتفان

العنق المستدق الطّويل يدل على الشبق ، وقصره يدل على قوة البدن ، ومثله بعد ما بين الكتفين .

العيون وطول العمر

قال أحد الأخصائيين : إنّ عدسة العين تشيخ مع تقدم السِّن ، فإذا ظلّ المرء يقرأ بدون حاجة للنظارات حتى الخمسين من عمره ، فالغالب أنّه سيعمّر إلى السبعين .

وإذا ظلّ يقرأ بدون حاجة إليها حتى سن الخامسة والخمسين ، فالغالب أنّه سيعمّر حتّى المائة .

خطوط الأصابع

في أطراف الأصابع خطوط لا تتشابه . ويقال : إنّ الخطوط اذا كانت شبه دوائر ، فإنّها تدل على سلامة الذات وطهارة الضّمير وحبّ الخير . . وأمّا إذا كانت مستطيلة ، دلّت على عكس ذلك .

النساء

النساء الجافات ذوات الأثدية النحيفة يتأثرن بكثرة ، ويجبن أكثر .

النساء السمان المتلألئات الوجوه أقل تأثراً .

النساء ذوات الشّعر على الشارب يرغبن كثيراً في الجماع .

الضحك

لا ريب أنّ الضّحك الطّبيعي يحمل أنباءاً كثيرة عن نفسية الضّاحك ، ويستطيع الإنسان بأقل ممارسة واستقراء أن يقرأها .

قالوا : الضّحكة التي يشرق بها الوجه بالإبتسام وتبرق بنورها العينان وتكون كاملة غير مبتورة أو مضغوطة تكون دليلاً على كرم الأخلاق وصفاء القلب وشعوره على الدّوام بالإخلاص والحنان ، ويكون صاحبه من أحسن الأزواج والآباء ، وصاحبته من أحسن الزّوجات والأُمّهات .

وأمّا الذي يضحك بحلقه ويجعل معالم وجهه ثابتة هو شخص حذر يرتاب في الناس ، وهو على النقيض من الشّخص الأول ، ويجب أن لا يعامل الا بحذر زائد .

وأما الذي يضحك بقهقهة عالية ، فإنّه يكون ضعيف الإرادة سهل الإنقياد ولا يمكن أن يعول عليه .

وأما الذي يضحك بقلة ، ويكون أثناء ضحكه مشرق الوجه متلألىء العينين ، فهو من أصحاب القلوب الكبيرة ويمكن أن يعوّل عليه في عظيم الأعمال .

قصّة فيها فراسة

مدح الشاعر الملك ، فأجازه الملك بمقدار من الخبز ، ثم تقرّب الشاعر من الملك ، وادعى أنّه يعرف الخيل وأنّه ضليع في تربيتها ، فادعى يوماً أنّ حصان الملك الخاص ثور ، وساس عنده طيور الصّيد فادعى يوماً أنّ صقره دجاجة .

فغضب الملك منه وأمر بصلبه إن لم يقم على ما يقول دليلاً ، فقال للملك سرّاً : وأنت أبوك كان خبّازاً . وأنا أُقيم أدلة على الجميع .

فقال الشاعر : أما الحصان فإنه يلحس ركبتيه ، والفرس الأصيل لا يفعل ذلك ، بل هي من خواص البقر ، فسأل الملك السائس ، فتبيّن أنّه رضع من بقرة .

وأمّا الصّقر فإنّه اذا شرب رفع رأسه إلى السّماء ، وهي من خواص الدّجاج ، والصّقور تمص الماء مصاً ، فسأل سائس الطّيور ، فتبيّن أنّ أصله بيض أُخذ من أعالي الجبال ، ووضع تحت الدّجاج .

وأما الملك فإنّه سأل والدته ، فتبيّن أنّ الملك كان عقيماً وأنّ خباز الملك خدعها ، فحملت منه بالملك الحالي .

فقال الملك للشاعر : من أين علمت أنّي ابن خباز .

فقال : إنّ الملوك تجيز بنفائس المال ، وأنت تجيز بالخبز ، وهذه صفة الخبازين .

وكان الملك عاقلاً ، فزاد في إكرامه ، وجعل يستشيره في خفايا الأُمور .

ـ سمرنا ليلة الإثنين ١٠ شوال ١٣٨٣ هـ . الموافق ٢٤ شباط سنة ١٩٦٤ م في دار سيادة الأخ الشيخ علي الفقيه في حاريص ، وذلك عندما حضر السيّد علي صالح من تبنين وأبو زيد محمد سعيد سعد والسيد احمد مرتضى من عيتا الزط لزيارتنا في حاريص ولم نتمكن من إعلام الأخ فذهبنا لمنزله ثم حضر بعد ذلك الدكتور إبراهيم شعيتو وضابط المنطقة واكيم ، فكانت ليلة ممتعة جرت فيها أحاديث في مواضيع عالية منها التنويم المغناطيسي ، فادعى الدكتور أنّه اشتغل فيه قبل ثلاثين سنة ، وذكر شطراً من أسراره .

منها : أنّ المنوّم يكون متفقاً مع النائم من قبل فيقول له : سأُلقي عليك جملاً فخذ أول حرف من كل جملة ؛ وألف كلمة واجعله جواباً . ثم يقول المنوّم لبعض الحاضرين أضمر شيئاً خفيّاً ، فيضمر مثلاً : درة في صندوق ، ويؤمنها عند المنوّم ، ويكون المنوّم بعيداً عن النائم ، ويكون ذلك بعد نومه ثم يشرع في تنويم الشاب الصّغير حتى يتناوم ويسترخي . . وبعدما يسترخي يذهب خارج المنزل ، ويتحمل الأمانة ، ثم يعود ، ويقف بعيداً عن النائم ، ويقول له : داومت على نومك ؟

رد الجواب : ها أنا منتظر . . .

فلان حمّلني سرّاً ، يا بني اكشفه ، وهكذا فيقول مثلاً : درة في .

ومنها : أنّ الشخص يأخذ أوراق الشدة التي يلعب بها الجهال ، فيضع عشرة أوراق مترتبة : الشاب والبنت والشايب وغيرها في كأس ، بدون علمهم ، يربطها بخيط اذا حرّك من خلف الستار ، أو الكأس ، نفرت

الورقة الأُولى بسرعة ، ثم يتركه في الكأس خلف الستار ثم يوزع على الحاضرين عشرة مثلها تماماً ، ويرتبها بترتيبها ، وبعدما يفرقها يأخذ من أول واحد ما هو أول عنده في الكأس ، فيديره على الحاضرين ، ثم يتحرّك حركة خفيفة سريعة ، ويرميه نحو السماء ، ويدخله في كمه أو في جيبه ، ويريهم يديه فارغتين ، ويبتعد عن الكأس في جميع أطواره ، ثم يقول : اخرجي أيتها الورقة الفلانية من الكأس ، فيحرّك الخيط من وراء الستار ، فتنفر الورقة .

حدثني السيد محسن نجل السيد حسن آل السيد طاهر في سويج شجر ناحية الفجر ، التابعة للواء الناصرية في أواخر رجب ١٣٨٢ هـ ، فقال : كان عندنا موظف صغير عزل من الوظيفة ،فجعل يستجدي ، وغاب مدة ورجع وعنده أعمال سحرية مدهشة ، فجعل يجمع الناس ، ويجمعون له من كل شخص عشرة فلوس ، ثم يقوم بأعمال عجيبة ، فقامت عليه الضّجة ، فمن الناس من يقول إنّه ساحر ، والسحر حرام إلى غير ذلك ، وهمّوا بقتله ، وكنا نجتمع عليه كل ليلة ، واخيراً ، اضطر لفضح نفسه ، فقال :

إنّه ليس سحراً ، وإنّما هو خفة في العمل وإنّه رجل يريد العيش ، فبدلاً من التسوّل بالشحاذة والكدية يأخذ هذا المال بطيب نفوسهم ، ثم جعل يشرح لهم واحدة واحدة ، وحفظ منها السيد محسن مقداراً .

فمما ذكره لي أنّه قال : يضمر شخص عدداً ما ، وهذا الساحر يستطيع أن يعرفه بدون أي واسطة فيقول له : أضمر فيضمر عشرين مثلاً فيقول له : استقرض من جارك بمقداره ، فيستقرض عشرين مثلاً ، ثم يقول له : خذ منّي أيضاً ماية ، فيفعل ، فيكون العدد ماية وأربعين ، ثم يقول له : ألق نصف المجموع في البحر ، فيفعل ، فيبقى سبعون ، ثم يقول : أرجع لجارك ما أخذته منه ، فيفعل ، فيقول : بقي معك خمسون ، وهو كذلك .

وبالجملة بعد تطبيق هذه الأوامر ، يبقى معه نصف ما أعطاه له ، فيخبره به ، وهو صادق فيظنّ السامع أنّه يعلم العدد . الذي أضمره مع أنّه لم يخبره به ، وإنّما اخبر عن نصف العدد الذي اعطاه إياه لا بما أضمره ، ولكن الغفلة المسيطرة تنسي السامعين ، وتغفلهم ، وتغمرهم الدّهشة .

ومنها : ادعاء معرفة ما يضمره من اسماء الفواكه أو الكتب أو المدارس أو الأشخاص أو غير ذلك .

يضمر أحدهم البرتقال مثلاً ، ويؤمنه عند الوسيط ، ويكون المشعبذ قد اتفق مع الوسيط أن يذكر الإسم الذي اؤتمن عليه عقيب الرّمان ، فيقول المشعوذ للوسيط : يا اخي . . عدّ اسماء الفواكه ، فيقول : موز . . تين تفاح ، الخ . . والمشعوذ يتفكر قليلاً ، ويقول : لا ، فإذا قال رمان ثم قال الوسيط رمان برتقال ، تفكر قليلاً وقال : برتقال ، فيعجب الحاضرون كيف اهتدى .

وبالطّبع : إنّ المشعوذ يتفق مع الوسيط على كلمة السّر بالنسبة لجميع الأسماء ، فيقول كل إسم بعد اسم محمد يكون هو الذي استودعه إياه .

ومنها : يقول المعلم لتلاميذه : اكتبوا كل واحد رقعة ، وأنا أقرؤ ها لكم بأذني لا بعيني ، فيفعلون ويجمع الرّقاع ، والأطفال طبعاً لا بصيرة لهم ، ثم يخرج واحدة وينظر فيها ويمزقها ثم يخبر بما فيها ويقول : من كتبها ؟ فيقر التلميذ ، ثم يخرج الثانية وينظر اليها بخفة ، ويضعها على اذنه ويذكر ما فيها ، فيقول : من كتبها ؟ فيقر . . وهكذا . .

ومنها : أنّه يأخذ ورقاً خفيفاً تشبه المحارم الورقية المتعارفة عندنا اليوم ، ويكون مخططة أو كبيرة أو صغيرة ، وهذه الورقة مؤلفة من طبقتين ، يتناول الوسيط طرف السّفلي ، ويجمع طرف العليا في باطن كفّه ، ويقول له : جر بهدوء . . فكلما جر مقداراً ، طوى من العليا مقداراً ، فإذا انتهى ، وضع التي بيده وهي اُختها في أنفه أو فمه أو اُذنه بخفّة وسرعة ، كأنه يحك اُذنه ، ثم يعمد الى التي مع الوسيط ، فيعرضها على الجماهير ، ويتحرك بحركات ملفتة ، ثم يمزّقها ويرميها ؛ ثم يلمها ويقول : **أنا أقدر** أن اُعيدها كما كانت ، فيضعها مع تلك ويقرأ العزايم ، ثم يخرج الصّحيحة وينشرها ، فيظن الحاضرون أنها هي التي مزقها .

من أعمال المشعبذين : يدعي هذا المحتال أنّه يجمع الجنّ ، فيضع قدحاً فيه ماء أو زيت ، ثم يعزم ويقرأ ، ويضع بين أصابع رجليه آلة توصوص ،

ثم يهتم في العزيمة ويكثر في البخور ، فيحضر الجنّ ، وتكثر الوصوصة ، ويشترط على السائل شروطاً صعبة ، ويأخذ في تفسير الوصوصة ، مدعياً أنه يفهم لغة الجان ، فإن وافق ذلك الجهة المسؤول عنها ، انتصر ، وإلا اعتذر بأنّ الجان غضبوا ، لأنّ السائل خالف شرطاً .

قال احدهم : ذهبت الى درويش مشهور ليحضر لي فتاة كنت أُحبّها ، ففعل مثل ما أسلفناه ، فتنبّهت للأمر ، وقبضت على أصابع رجليه ، وكنت قد دفعت له بعض النقود المتفق عليها اذا نجحت العملية ، وأخيرا أخذت منه ما دفعته له ، فقال لي بلطف : أنت شيطان ، وتجيء الى شيطان ، بعد لا تجي لعندي .

من الشعبذات ، أن يأتي الرجل بلوحة مستوية ، يدقّ فيها مسامير مستوية في الطّول ، متقاربة جدّاً بكثرة ، ثم ينام عليها ، ويقف على صدر رجل ، أو يضع شيئاً ثقيلاً ، فلا تدخل المسامير لكثرتها وتقاربها ولا يتألم .

وكشف سرّ هذه الشعبذة ، أنّ المسامير اذا كانت مستوية لا تدخل في البدن ، وإنّما تؤثر أثراً بسيطاً ويتحمله المراهن لقاء ما يقبضه من الجعل ، ولو فرقها وخالفها في الطّول ، لم يستطع النّوم عليها .

الأئمة المعصومون إثنا عشر صلوات الله عليهم ، ويستطيع الإنسان إذا أضمر أحدهم واعطى عدداً ان يعرفه الشخص وذلك كما يلي :

: يضمر (الصادق) . مثلاً وهو السادس فيقول له : أضمر الإمام ، وعين عدده في نفسك ، واضرب عدد من قبله في ثلاثة ، وعدده مع من بعده في اثنين ، وأخبرني بالمجموع .

فيضرب ثلاثة في خمسة ، فيكون خمسة عشر ، وإثنين في سبعة فيكون أربعةعشر والمجموع هو ٢٩ ، تسقط منها ١٢ مكرراً ، وينظر الباقي وهو خمسة ، ويأخذ ما بعده وهو السادس وهو الصّادق عليه السلام .

مثال آخر : الرضا (ع) وهو الثامن : يضرب ٣ × ٧ = ٢١ ثم يضرب ٢ × ٥ = ١٠ فيكون المجموع ٣١ ، يسقط ١٢ مكرراً ، فيبقى سبعة ، فيكون من أضمره هو من بعد السابع وهو الثامن الرّضا (ع) .

يضمر شخص حرفاً من حروف الهجاء فتخبره به ، وطريقة استخراجه أن تتلو عليه الأبيات الآتية(1) بعد معرفة أرقامها الخاصة بها وهي العمدة :

١ ـ أطاع الدّور في الجدّ السنّي	صفى جدّ الفتى جد علي
٢ ـ بري من تحقق ظنّ عتب	شذي لا يصبر عن شذي
٤ ـ فصفح وجهه شغفاً جلاه	حثيث هزبر سجسجه غوي
٧ ـ لمنصور شذي حندريس	ملازمة لملك كسروي
١٥ ـ قوي لا يغفل عن ضعيف	كصوم غيظه عنفاً وطيّ

تتلوا الأبيات على السائل ، وتسأله عن الحرف الذي أضمره هل هو في هذا البيت ؟ فإن قال : نعم أتممتها ، وتأخذ رقم كل بيت هو فيه ، ثم تجمع الأرقام وتحسب من أول الحروف الى أن تصل الى ذلك العدد ، فيكون هو العدد المضمر .

مثلاً : الميم ، موجود في البيت الثاني وهو رقم ٢ وفي الرابع وهو رقم سبعة وفي الخامس ، وهو رقم ١٥ وجمع ٢ و ٧ و ١٥ يساوي ٢٤ والميم هو الرابع والعشرون من حروف الهجاء .

مثال آخر : الجيم ـ موجود في البيت الأول والثالث لا غير وهما رقم واحد وأربعة ، والمجموع خمسة ، والجيم خامس حروف الهجاء .

مثال ثالث : الياء موجود في الأبيات الخمسة ومجموع أرقامها ٢٩ ، والياء هو الحرف التاسع والعشرين .

---

(١) هذه الأبيات حققها وصححها الدكتور أبو أديب محمد جواد الصائغ من القصيبة ، قضاء النبطية.

الرمزيات في العالم

وهو ضرب من ضروب الشعبذة

المتفوق في تفكيره ، يستعمل الرمزية في سبيل التوجيه ، وقد أثبتت التجارب أثرها الفعال في الوصول إلى الغايات ، ويحسبها السذّج أُموراً معتادة للشعوب والمذاهب التي تثابر عليها ولكنّ الواقع أنّها كانت عن عقل وتدبير ، وصارت عادة ، وإليك أمثلة في ذلك

قيل : إنّ الإفرنسيين كانوا يغزون الشواطىء البريطانية في عهد القرصنة قبل حوالي ستماية سنة ، واضطرت الحكومه لوضع الحرس على الشّواطيء لأخذ الإستعلامات من بعيد . . قالوا ، ولا تزال بريطانيا تعطي رواتب حتى الساعة لأُناس يتفقدون الشواطىء منذ الساعة السابعة حتى الثامنة ، هذا ، ونحن في عصر الرادار .

وقيل : إنّ عبد الله باشا الذي حكم عكا بعد الجزار ، تغلب على خصمه ، فأمر بإلباس المدافع أثواب الحرير والجوخ ، يرمز في ذلك إلى أنّها كانت سبب النجاح ، ثم كانت هذه الحركة سبباً لتحرك جماعة ممن أعانوه في المعركة على إعلان العصيان بدعوى أنّه غمط حقهم .

وقيل : إنّ مدفعاً في تركيا في العهد العثماني حفظ مضيق الدّردنيل من عزو الأعداء ، فألبسوه لباساً فخماً وعلقوا له في فمه خزامة ، وهي قرط كانت تعلقه النساء الغانيات في أنافها شبه القرط ، ولم يستعمل هذا المدفع في حرب من حروبهم بعد ذلك تكريماً له ، وضرب به المثل ، فقيل : مثل طوب أبو خزامة الذي اطلق مرة فحفظ شناق قلعة ، ثم لم يطلق مرة أُخرى .

قرأت في تاريخ اليونان أنّ احد ملوك اليونان جهز جيشاً عظيماً لحرب الفرس ، فلم تستقر السفن في الماء لشدة العواصف ، فأخبروه بذلك فأمر بأن يضرب البحر مائة سوط عقوبة له ففعلوا ، ومن الصدف أنّه استقر بعد تنفيذ الحكم ، وهذا أُسلوب يستعمله القائد إغراقاً في تنفيذ العقوبات ، وإرهاباً للمتخلفين عن الطاعة . وإيذاناً منه بأنّ الجمادات تخشى سطوته وعقوبته .

وقيل : إنّ الحيوانات كانت تحاكم في القرون الوسطى ، فتعاقب على ما ترتكبه من أخطاء ، وتثاب على ما تقوم به من واجب ، وكانوا اذا حكموا على حيوان بالإعدام ، أُلبس لباس الإنسان ، فإن كان ذكراً ، أُلبس لباس رجل ، وإن كان أنثى أُلبس لباس امرأة ، وشهر في المدينة أو القبيلة ، ثم أُعدم على مشهد من الجماهير .

وقالوا : إنّ أوزة كانت سبباً في إنقاذ روما من هلاك محقق ، لأنها أخذت تصيح قبيل وقوع الخطر ، فنبهت الناس للدفاع ، فظلوا سنين طويلة يقيمون لها كل عام حفلة تكريم .

وقيل : إنّهم كانوا يصلبون كل سنة كلباً انتقاماً من أجداده الذين أهملوا القيام بواجبهم ، يوم قامت الأوزة به .

وقيل : إنّ فرنسا أول دولة كرمت رفاة الجندي المجهول ، وشيعته بإكبار ، وأقامت له تذكاراً بدعوى أنّها أحصت كل جندي من جنودها ، وعرفته وعرفت مصيرة الا جندياً واحداً وجدوا رفاته ولم يعرفوا نسبه وشخصه .

وظلت فرنسا تكرم فتاة تدعى (جان دارك) ، لأنّها ساهمت في الجهاد ، وحركت أحاسيس الجيش ، وأججت نار الحماس في قلوب الفرسان ، فقاتلوا بضراوة ، ثم كان النصر .

حجر وطين

من فلسفة التشريع الإسلامي

١ ـ حق المارة .
٢ ـ يوم عاشوراء
٣ ـ المرأة في الإسلام

الكتاب الثاني عشر

الروعة والإبداع في التشريع الإسلامي
حكمة التشريع وفلسفته
حق المارّة

قال الفقهاء : يجوز للإنسان اذا مر في طريقه على بستان أن يأكل من ثمرها ، كالنّخل وسائر الفواكه والخضار ، وجعلوا لذلك شروطاً .

الأول : عدم القصد : بأن لا يكون قد خرج من منزله أو محل إقامته ، ومر قرب البستان لأجل الأكل ، ونتيجة هذا ، أنّه إنّما يشرع له الأكل اذا كان مسافراً أو خارجاً من مكان لمكان ، أو عائداً من سفره ومر ببستان ، فله أن يأكل منه .

الثاني : عدم الإفساد : فلو استلزم ذلك إتلاف السياج ، أو تكسير الغصون ، أو إتلاف الأرض لم يجز له ذلك .

الثالث : أن لا يحمل معه من ذلك قليلاً ولا كثيراً .

الرابع : ليس له أن يطعم أصحابه ، بل له أن يأكل بنفسه ، ومثله غيره .

الخامس : أن لا يستلزم الإضرار بصاحب الزرع : فلو كان الزّرع قليلاً ، أو كان المار شرهاً فمقتضى الأصول أنه لا يشرع له ذلك .

فلو منعه المالك ، وجب الإمتناع ، وحرم الأكل عند جماعة من الفقهاء ، لأنه مالك ، والناس مسلّطون على أموالهم ، خرج منه بالنص صورة عدم العلم بالمنع ، واحتمال الرّضا ، ولم يجب الإمتناع عند جماعة آخرين عملاً بإطلاق النص المرخص ، الدّال على أنّ هذا الحق من الحقوق التي جعلها المالك الحقيقي للمار ، لا لصاحب الغرس . .

وينبغي أن ننقل هنا أدلة قاعدة السلطنة ، ، وننقل بعدها رواية ابن أبي عمير ، ورواية ابن سنان ، وسائر النصوص المتعرضة لهذا الحكم .

والملفت في هذا النظام أمران :

أولهما : لا ريب أنّ الفلاح الكادح شديد الحرص على متاعبه ومكاسبه ، ولذا يرفع جدران البستان ، ثم يحصنها بالأسلاك الشائكة ، والنباتات الشائكة كالعوسج والعجريم وشبهه ، ويحرسها ليلاً ونهاراً ، محاولاً منع كل من يحاول التعدي عليها ، وعندما يدرك الثمر ، وينضج الزرع ، يستفحل هذا الحرص ، فإذا شبع منه ، وأدى ما عليه من دين ، هان عليه أمرها ، وخف حرصه .

ثانيهما : لا ريب أنّ المار الجائع ، غنياً كان أو فقيراً ، قد تتوق نفسه ويغلبه الشره ، ويستضري عليه الجوع ، فتغلبه شهوته ، ويتناول اليسير من الفواكه القريبة إلى حاشية الطريق ، أو الزرع القريب منه ، وبالطبع ، إنّ ما يتناوله لا يفقر الفلاح ولا يتخم المارة ، ولكنّها فاكهة وشهوة .

ومن هنا تبدأ مشكلة اجتماعية صغيرة ، قد تنتهي بمشكلة كبيرة .

لقد أدرك الإسلام هذه المشكلة ، التي يمكن حلّها بأبسط الحلول ، فجعل للمارة هذا الحق الزهيد ، في الحقل الكبير ، فإذا علم الفلاح بهذا الحق ، لم يكن امتناعه عن الدّفاع هزيمة ، بل يكون فضيلة ، لأنّه ترك الحق لصاحبه ، واذا علم المار بذلك ، وقف على حده ، ولم يجد حاجة في نفسه للتجاوز عنها .

حررّت هذه المسودة ضحى السبت ١٧ محرم سنة ١٣٨٣ هـ بين الرمادي والرطبة ، أثناء عودتنا من الرطبة لبغداد لنحضر جواز سفر ام عبد الأمير الذي نسيته مع ولدها الشيخ يوسف الفقيه ، وكنت بصحبة ابن العم الاستاذ أسد الله الفقيه .

يوم عاشوراء

يوم عاشوراء يوم تاريخي مشهور . . . يوم يتجدّد في كل عام ، وسيبقى ما بقي الإنسان . . .

نعم ، سيبقى إلى أن يتحرّك الفكر الإنسانيّ ، ويغسل عار ذلك اليوم .

في ذلك اليوم التاريخي الخالد ، نشبت حرب كانت بكراً في عالم الحروب ، وكانت الأولى والأخيرة . . .

كانت صغيرة في حجمها ، عظيمة في واقعها ، وقد تكرّرت الحروب العظمى في العالم ولكنّها وحدها ظلت عظيمة ، وسوف تبقى كما بدأت عظيمة .

كان ثمة جيش عظيم في معنوياته ، كبير في أهدافه ، قليل في عدده ، وكان في مقابله جيش جرار ، بالإضافة إليه ، الا أنّه كان صغيراً جدّاً في معناه ، وفي أهدافه ، وفي غاياته ، وفي جميع الملابسات التي كانت في تلك الحرب . . .

إثنان وسبعون شخصاً من خيرة رجال الفكر ، يقودهم إنسان ، هو خلاصة الفكر ، وخلاصة ما خلّفه الأنبياء والأوصياء ، كما يتضح ذلك مجسداً في تحرّكاته في ذلك اليوم . . . . قابلهم على أقل رواية عشرون ألفاً ، وعلى أعظم رواية مائة وعشرون ألفاً ، ولا شك أنّ المعركة لم تكن بين اثنين وسبعين ، وبين ثلاثين ألفاً أو سبعين ألفاً ، أو مائة ألف ، وإنّما كان حجمها أصغر . . .

نعم ، كان الذين يقومون بحركات التطويق نحو مائة وعشرون ألفاً . . . فكان الذين يحمون المشرعة أربعة آلاف ، لكل أربعمائة منهم ساعات ، يقومون فيها بما كلفوا به ، وكان الذين يقطعون الطريق على من يرد لنصرة الإمام الحسين (ع) أعداد لم يذكرها التاريخ .

كانَ عمر تلك الحرب لا يزيد عن ثلاثة أرباع يوم من أيام الصّيف . . .

أجل ، إنّها حرب ساعة . . .

ولكن أعقبها نصر إلى قيام الساعة ، وهزيمة إلى قيام الساعة . . .

إنتصر فيها خصوم الإمام الحسين (ع) في الساعة الأولى ، ثم انتصر الحسين الى الأبد بجيوش الفكر الغاضبة ، التي لم تزل تتسع مع التاريخ . . .

وانهزمت جيوش أعدائه أمام الفكر الى الأبد ، ولم تزل منهزمة ، ولم يزل أنصار الحسين يتتبّعون فلول المنهزمين . . .

لم يزل الحسين منتصراً . . . ولم يزل نصره فجراً مشرقاً ، مستطيراً منتشراً في الآفاق يتضح آناً بعد آن ، .

لقد كان لهذه الحرب طابع تستقل به ، وتحتفظ فيه ، وكان مجسداً جليّاً ، حملت صوره العقول ، وتحدّثت عنه الألسن ، وروته الأقلام ، واحتفظ به التاريخ .

كانت هذه الحرب بين فكرتين ، وبين مبدأين ، فكرة تستمد قوّتها من بيت ، وفكرة أُخرى تستمد قوّتها من بيت آخر . . . تساند البيت عشيرة ، وتساند العشيرة أُمة . . . كان البيت الأول يتمتع بنصرة القلوب . . . وكان البيت الثاني يتمتع بنصرة السّيوف . . .

ويتضح هذا في قول الفرزدق للحسين (ع) عندما التقى به بين الحجاز والعراق ، وسأله عن حال الناس خلفه : « تركت الناس قلوبهم معك ، وسيوفهم عليك » . . . ثم توسعت هذه الحرب بعدما ظنّ مشعلوها أنّها انتهت ، فدمرت كل من قام بها ، ثم تجسدت في التاريخ ، فكانت لوحة خالدة ، تصوّر الحرب بين الحقّ بكل معناه ، وبين الباطل بكل معناه ، وأصبح العالم بأسره يعرف أنّ هذه الحرب كانت حرباً بين الحقّ والباطل ، وبين الأثرة والغيرية ، وبين النخوة والشّهامة ، واللؤم والعصبية . . .

لم يزل المفكرون يقفون مع الحروب بعدما تقف ، ثم يشبعونها درساً وتحليلاً ، ثم يستخرجون من مخبآتها كل ما انطوت عليه ، ثم ينتهي البحث . . .

أما هذه الحرب ، فلا يزال الباحثون يستخرجون منها كل يوم فكراً جديداً ، وكنزاً ثميناً ، يتمتع به الفكر البشري ، ويسير شوطاً واسعاً على أنوار أشعته . . .

أما أنا الآن ، فإنّني أفهم منها أمرين :

أحدهما : أنّها حرب بين فكرة وفكرة ، وأنّ إحدى الفكرتين استندت الى الشعور بالواجب وذلك الواجب يعبر عن الشعور بالمبدأ والمعاد .

وأما الفكرة الثانية ، فإنّها لم تستند ال أكثر من الشعور بحاجة الوقت ، ومتطلبات السّاعة ، من دون التفات الى ما يعقب تلك الساعة من خير أو شرّ في الدّنيا أو في الآخرة . . . في نظر الشّيطان ، أو نظر الضّمير . . .

فهي إذن حرب قائمة على اللاشعور من جانب ، وعلى الشّعور من جانب آخر . . .

ومن أجل ذلك يصح أن يسمّى ذلك اليوم بيوم اصطدام الشعور واللاشعور ، أو اصطدام الفكر والجهل . . .

ثانيها : إنّ الحروب بأسرها تنشأ عن عواملها الخارجية والدّاخلية ، ولكنّها في النّهاية والبداية، لا بد وأن تحمل اسم المطالبة بالحق من كل من الجانبين . . . فهي عندما تبدأ ، يبدأ قادتها بادعاء الحق ويعبّئون الجماهير تعبئة تشعرهم بأنّ قائدهم هو صاحب الحقّ ، فيكون كل واحد من جانبه يرى هو وأتباعه أنّهم أصحاب حقّ ، وأنّ الآخرين يريدون أن يمنعوا ذلك الحق عن أهله ، أو يريدون اغتصابه منهم ، ومن أجل ذلك تكون حرباً مشروعة بنظر كل من المتحاربين .

أما حرب يوم عاشوراء ، فإنّها ليس فيها شيء من ذلك ، فقد كان كل واحد من الجيشين يرى الحق في جانب الحسين (ع) ، ويتضح ذلك بملاحظة الحادث وما أحاط به . . .

ظاهرة من ظاهرات عاشوراء عند الشيعة

يوم عاشوراء يوم مشهود عند الشيعة الإمامية الجعفرية الإثني عشرية . . . يجتمع الناس منذ أول ليلة من ليالي شهر المحرّم ، في المساجد والحسينيات والشّوارع والمدارس ، ليستمعوا الى حديث عاشوراء ومنهم من استمعها على

تكرار السّنين ، ومنهم من يكون جديداً في استماعها .

تنصب المنابر ، وتقام الحفلات ، ويقوم بها آحاد وجماعات ، في شرق الأرض وغربها .

خذ مثلاً : في العراق ، يجمع سائقوا السيارات أموالاً في صندوق ، فيجعلون على كل سيارة عمومية مقداراً من المال يتفقون عليه ، فإذا جاء المحرّم يكون قد اجتمع شيء كثير ، فتنصب الشوادر وتجلل القاعات بالسّواد ، وتنتشر فيها مئات من (لمبات) الكهرباء ، ويستدعى خطيبان أو أكثر ، باجور ضخمة ، فقد يكون نصيب القارىء المتفوق ثلاثماية دينار في عشرة ليالي ، يتكلم في كل ليلة ما لا يقل عن نصف ساعة ، ولكن بماذا يتكلم ؟

أجل . . . منهم من يستعرض التاريخ الإسلامي ، ويربطه بالأحداث التي حتمت على الحسين (ع) أن ينهض ، والخطيب القدير لا بد وأن يحيط بهذه الناحية ، حتى كأنّه عاش مع تلك الأحداث ، فيحفظ ما جرى ، وينسبه للزّمان والمكان والأشخاص، وبالطّبع، إنّ مثل هذا الخطيب لو عرض معلوماته في اطروحة ، لنال عليها اعلى درجة من درجات الدكتوراه في التاريخ . . . فإذا تكلم عن خروج الإمام الحسين من مكة يوم التروية سنة ٥٩ هـ للهجرة ، ونزوله في كربلاء يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم ، ذكر لك المنازل التي بين مكة والمدينة ، منزلاً منزلاً ؛ بأسمائها وأماكنها ، وتعرض لشطر مما جرى له فيها .

واذا تحدّث عن موت معاوية ، حدّثك عما كان يجري في مسجد النّبي (ص) بين التابعين وما كان يدور في أنديتهم .

وإذا تحدّث عن سير السبايا من كربلاء إلى الكوفة ، أعطاك مخططاً للكوفة ، حتى يخيل لك أنه عاش في أزقتها وشوارعها .

ومثل السواق أكثر أرباب الأعمال من باعة (العبي) ، أو التجار ، أو الجنازين ، وما أشبه ذلك .

وأما الأثرياء والعظماء ، فإنّهم يصنعون هذه الامور مستقلين ، كل يعقد مجلساً يتناسب مع مكانته المالية والإجتماعية ، ويبذلون في تلك المجالس القهوة والشاي والسكاير بسخاء لا نظير له والذين يقومون بإدارة هذه الندوات ، قد

يكونون عدة أشخاص ، ويقدم لهم أرباب المجلس الطعام والشراب مدة قيامهم بها ، واجرة حسنة في النهاية ، وفي هذه الأندية والنّدوات مظاهر قلما تتيسر .

منها : اجتماع الناس وتعارفهم على اختلاف طبقاتهم ، بلا كبر ولا ترفع ، بل كل منهم يرى نفسه صغيراً ، وقد يبلغ عدد المجتمعين الألوف ، وفي بعض الأوقات عشرات الاُلوف ، كما يكون ذلك في كربلاء في زيارة الأربعين ،وفي زيارة عاشوراء ، واجتماع هذه الملايين من اقطار الدنيا ، وفي وقت واحد ، وزمن واحد ، تعجز عنه الدّول ، ولم يتهيأ مثله حتى الساعة ، لا للمنظمات ولا للأحزاب على سعتها وتعاونها أوانتشارها ،فإنّ المسيرات مهما عظمت تقتصر على بلد أو بلدان ، أو على المدن خاصة وفي بعض الدّول ، أما الإجتماعات الحسينية فهي تنعقد في المدن والعواصم والقرى والباديةفي وقت واحد .

ومنها : أنّ خطباء هذه المحافل يختلفون في سعة آفاقهم ، ومدى علومهم ، ومحفوظاتهم ، وانسجامهم مع المجتمعات ، ولكنّهم في الوقت نفسه ، يعطي كل منهم للبيئة التي يكون فيها بنسبة إدراكهم ، ويحدثهم بلغتهم ، وتكون مهمتهم التوجيه الأخلاقي ، وتثبيت العقيدة الدّينية ، والحث على الإلتزام بالشّريعة ، وعلى الصّبر والتحمل والعفو ، ثم يربطون ذلك كله بقصة كربلاء .

ومنها : أنّ الحركات الإصلاحية ، مهما تطوّرت ومهما كانت تجد حقلاً خصباً للحركات الإصلاحية ، والخطباء يستفرضون هذه الإجتماعات للوصول الى ما يريدون ، وفي الوقت نفسه ، تحيطهم رقابة عاليه ، من العوام والسواد ، فضلاً عن الخاصّة ، تحول بينهم وبيّن الشّذوذ ، والإبتعاد عن الدّين .

ومنها : أنّ الفقراء يجدون مرتعاً خصباً من الطّعام والشّراب والقهوة والشاي والدّخان ، والدفء في الشتاء ، والتبرد في الصّيف ، لأنّ هذه المجالس مبنية على ذلك .

ومنها : أنّ الفقراءوالعائلات المستورة يدخلها من المال في هذه الأيام الشيء الكثير ، فإنّ الخطباء يندفعون من تلقاء أنفسهم على الحث ، ويحركون الجماهير ، ويجمعون الأموال ، ويقسّمونها على المستحقين ، وقد يكون ثمة شخص منكوب قد هدم بيته ، أو مريض قد عجز عن الوصول للمستشفيات ،

أو معيل عجز عن الإنفاق ، أو مديون عجز عن وفاء دينه ، أو شاب قد تجاوز سنّ الزّواج لعجزه ، فيقوم الخطيب ، أو بعض محبّي الخير ، فيذكر ذلك في مجتمع من تلك المجامع أو أكثر فتنهال التبرعات ، ويخرج من تلك الأيام ، وقد تبدّلت حياته ، وهذا الشيء موجود في جميع البلاد في تلك الأيام .

ومنها : أنّ الشيعة ، وهم شطر وافر من البشر ، يغلقون البيوت المعدّة للشرب واللهو ، ويطرد ذلك في البيوت والمقاهي ، يتخذون ذلك شعاراً للحزن ، وفي هذا العمل من تقليل المعاصي وتكثير الطاعات مالا يستطيع أحد إنكاره ، وقد بالغ العراقيون في ذلك ، فلا زواج عندهم في شهري محرم وصفر ، لأنّ الأعراس تستدعي الفرح والسّرور وضرب الدّفوف ، وهم في هذين الشهرين لا يفعلون شيئاً من ذلك .

وكان الأديب عبد الرزاق محي الدّين ، رفيقنا وصديقنا ، وأصبح بعد ذلك وزيراً بلا وزارة لسنوات كثيرة في الحكومة العراقية يعلل ذلك : بأنّ انطباعة الجريمة الموروثة التي ارتكبها آباؤهم انطبعت في نفوسهم ، وتوارثوها ، ومن هذه الزاوية يتضح معنى ما ورد عن الحسين (ع) من أنّه قال لابنته : « يا بنية ، أيسرك أن ترتوي ، ويظمأ شيعتنا يوم القيامة » .

فإنّ معنى هذا أنّه لو لم يجر عليه ما جرى ، لما ترك الشيعة المحرّمات ، وتوفقوا للتوبة ، وتكثير الطاعات ، الذي هو باب من أبواب الفوز يوم المعاد ، ولعلّ هذا هو مقصود الشاعر حيث يقول :

قتل الحسين لينقذ العاصين من أشياعه من حرّ نار تشعل

والشيعة العاصون ودوا أنّهم قد عذّبوا ، وبأنّه لا يقتل

وكثير من السذّج يظنّون أنّ شهادة الحسين (ع) كفارة لذنوب شيعته ، نظير اعتقاد المسيحيين بقتل المسيح (ع) ، ومنهم : من يظن أنّه بتحمله ، صار له مكانة عند الله سبحانه ، تؤهله للشفاعة الواسعة للمذنبين ، المحبين له ، المتأثرين لأجله .

ولكن شيئاً من هذا ، لا يتفق مع المنطق ، ولا يتمشى مع معتقدات الشيعة ، وقد قلت في هذا المعنى في قصيدة في مدح امير المؤمنين عليه السلام :

أنا أخشى لظى وأخشى المعاصي إذ علىّ محاسبي وهو ساقي
ليقيني بأنّه ليس يرضى عن مسيءٍ أساء للخلّاق

* * *

المرأة في الإسلام[1]

المرأة في الإسلام مصونة غير مسؤولة ، تأخذ من الزوج ولا تعطيه ، والرجل يعطيها ولا يأخذ منها ، وهي غير مسؤولة عن العمل للبيت ، وهو مسؤول عنه ، والمرأة في نظر الإسلام ريحانة يستمتع بها ، فقد ورد عن النبي (ص) قوله فيها : المرأة ريحانة وليست قهرمانة ، وأوصى بالرفق بالنساء ، وسماهن قوارير فقال (ص) في بعض وصاياه فيهن : رفقاً بالقوارير ، وأوصى الغزاة بهن بقوله (ص) ولا تهيجوا النساء وإن شتمن امرائكم ، هذه هي المرأة في نظر الإسلام ، وقد رفع الإسلام مستواها ، وحرّرها من عبوديتها الموروثة فقد كانت المرأة في بعض العصور تباع ، أو تبيع نفسها ، وكانت أشبه بالرق من حيث الإستخدام وبلغت الإستهانة بها عند العرب أنّ أحدهم إذا أُخبر بأنّ زوجته ولدت أنثى يستحي من الناس ، وقصة دفن البنات أحياء ـ وهو المسمى في اللغة العربية بالواد ـ أشهر من أن تذكر ، وفيهم أنزل الله سبحانه قوله : ﴿ وإذا المؤودة سُئلت ، بأي ذنب قتلت ﴾ وإليك شطراً من الأنظمة الإسلامية المتعلقة بالمرأة التي هي أكبر شاهد على ما نقول :

١ ـ الإسلام أعطى المرأة مهراً : فإذا خطب المسلم يد امرأة ، جعل لها عوض ذلك الإتصال مهراً ، ولا يجعل له حداً ، بينما نرى أنه لا مهر لها في بعض الأديان ، أو بمقتضى عادات أهل الأديان ، فالمسيحيون في بلادنا ، عندما يريدون الزواج من المرأة ، يسألون عن الدوطة التي عندها ، ويعنون بالدوطة المبلغ الذي جمعته من كسبها ، ومن هبات أهلها ، وبقدر الدوطة تكون الرغبة فيها .

---

١ ـ في سنة ١٩٥٨ م كنت راكباً في سيارة ومعي شاب شيوعي ، يدعى مسطاحاً ، وتبين بعد ذلك أنه مسؤول في الحزب الشيوعي ، وأصبح رئيس اتحاد الشبيبة في ناحية الفجر ولنا قصة مع هذا الشخص غريبة ربما نتوقف لذكرها ، وكنا نسير في صحراء عفك ، بين السويج وعفك ، فجعل يقول : أن الإسلام ظلم المرأة ، فأعطاها نصف سهم من الميراث وأباح للزوج الزواج بأكثر من واحدة ، وأمثال ذلك . . فأجبته بما هو نظير ما دوناه حتى سكت صاغراً . وكان كلما أفحم يقول لماذا تكرهون المهداوي ، يقولها إرهاباً وانتصاراً .

٢ ـ الإسلام جعل نفقة المرأة على الزّوج ، فالزّوج هو المسؤول عن إسكانها ولباسها ومؤنها ، والمرأة ليست مسؤولة عن نفقة زوجها ، ولا عن نفقة بنيها ما دام والدهم حياً ، فهي معفوة من الكدح في سبيل الزّوج ، أو في سبيل الأولاد ، ويجب على الزوج أن يحافظ على مستواها في العيش التي كانت تعيشه قبل اقترانه بها . فليس له أن ينقصها عنه ، وله أن يزيدها عليه .

٣ ـ المرأة يشرع لها الإكتساب لنفسها ، وليس للزّوج حق في كسبها ، نعم ، عليها أن تكتسب كسباً لا ينافي حقوق الزوج ، فليس لها أن تعمل عملاً يمنعه من الإستمتاع بها بالمؤانسة والمعاشرة والحاجة الجنسية ، وليس لها أن تعمل عملاً لا يتناسب مع كرامتها وكرامة زوجها .

٤ ـ الإسلام يعطي المرأة مهراً ، ويعطيها نصف سهم في ميراث أقربائها ، وربع المنقولات في ميراث زوجها مع عدم الولد ، وثمناً معه ، ويبيح لها الإكتساب ، ويجعل نفقتها على زوجها .

أما الرجل فيأخذ في ميراث الأقرباء سهماً كاملاً ، ويأخذ من ميراثها نصف متروكاتها اذا لم يكن لها ولد ، والربع مع الولد .

وإذا قارنا بين هذا النوع من الأخذ والعطاء ، وجدنا المرأة أوفر حظاً من الرجل ، لأننا نجدها تتمتع بمهرها وميراثها غير المسؤول ، ونجده مكلفاً بأن يدفع لها مهراً ونفقة ، فما تأخذه هي مصون غير مسؤول ، وما يأخذه هو مسؤول غير مصون ، ففي حساب الأرقام نجد المرأة أكثر ربحاً وأعظم استفادة .

والرّجل معرّض بمقتضى هذه الأنظمة لثقل الحياة ، ولا ريب في قدرته عليها ، والمرأة معفوة منها ، ولا ريب في عجزها ، وأي إحسان أعظم من هذا الإحسان للمرأة ، وأي رفاه أشدّ منه ؟فهل يصح لعاقل أن يقول إنّ المرأة مضطهدة في الإسلام ؟

٥ ـ الإسلام يبيح للزوج أكثر من زوجة واحدة ، وهذا يقوم على حفظ نوع المرأة ، لأنّ الذي نعرفه أنّ الأناث اكثر عدداً من الذكور ، فإذا منع الإسلام من تعدد الزوجات ، كان ذلك موجباً لضياع عدد من النساء ، والجائهنّ الى الكسب لأنفسهن من جهة العيش، والى الدّعارة والفجور من ناحية الجنس ، والى الكبت والحرمان ، هذا مضافاً الى أنّ المرأة لا تستطيع الإنجاب بعد الأربعين الا نادراً

والى ان عوارضها الكثيرة بواسطة الطَّمث والولادة والإجهاض قد تؤثر على أعضائها التناسلية . والإنسان بطبعه وفطرته يريد النسل ، ويرغب في تكثير ذريته ، والرجل والمرأة في ذلك سواء لأسباب كثيرة .

والإسلام يحافظ على تكثير النَّوع البشري ، ويحث على البقاء ، ويكافح العقم ، ويسير مع نظام الطَّبيعة في كل ذكر وأنثى . . فالذَّكر الواحد من الحيوان يستطيع إشباع رغبات عدَّة إناث وإيصالهنَّ إلى ما يصبين اليه من الإنجاب بطبيعة الخلقة والفطرة ، ومن الواضح أنَّ الأُنثى الواحدة لا تستطيع أن تفي بحاجة الذكور بمعنى الإنجاب لهم ، بل ولا بالمعنى الآخر ، لأنَّها بمجرد ان تتعرَّض جنسياً لأكثر من واحد ، تبتلي بالأمراض التناسلية السارية ، وهي أمراض الميَّة من جهة ، وموجبة للعمى من جهة أخرى ومعدية من جهة ثالثة ، وموجبة للعقم من جهة رابعة ، وإذا أنجبت كان إنجابهم مشوهاً ، أو موجباً لتشويه الأحفاد ، وهذا مما لا يشك فيه أحد في العصر الحاضر ، بعد تقرير العلم والطب لهذه الأمور .

فلو اعطينا المرأة حق تعدد الأزواج ، نكون عرضنا حياتها للدّمار من حيث قصر العمر ، والتسمم والعمى والألم . ونكون جنينا على الأجيال المقبلة ، وعرّضناها لضروب التشويه والمسخ .

إنَّ الأمة التي تريد أن تتجاوز هذه الأنظمة هي بمنزلة أُمة تعلن حرباً على الطَّبيعة ، والطَّبيعة لها الخلود ، ولها البقاء ، ويكون مصير من يقف في وجهها الفشل لا محالة .

إنَّ نتيجة إعلان مثل هذه الحرب تكثير الضَّحايا ، فإنَّها تعرض الحرائر للحرمان ،وتلجؤهم للكدح والكبت والرَّهبنة والبغاء في النَّهاية ، ونتائج البغاء الصحية تدمير سعادة الإنسان ، وتعريضه للالام والتشويه ، والإنحطاط ، وحرمانه من الكمال الجسمي الذي يتمتع به .

إنَّ المرأة الحرة اذا حرمت ، أدى حرمانها إلى الإنتحار الصامت ، وتعرَّضت لأمراض عصبانية ، وأوجاع شاقة ، فتبتلي بالصداع المزمن ، وبآلام الرَّحم ، وبالإغماء ، والغيبان في حالات الطمث .

٦ ـ الإسلام جعل شهادة امرأتين في بعض الحالات بشهادة رجل واحد . ولم

يقبل شهادتهن في بعض الحالات ، وقد يستغرب العاقل ذلك ، ولكننا إذا رجعنا لعلماء النفس ، وللخبراء المجربين ، وجدناه أقرب شيء للصواب ، وقد قرأت كتاباً للقاضي محمد أمين أخي أحمد أمين صاحب (فجر الإسلام) وكان قاضياً قال فيه : كنت الاحظ اختلاف شهادات النساء مع أنّ بعضهن من المتعلمات الكاملات ، كنت أستنطقهن بحسب ظروف المحاكمة ، وتبين لي بعد ذلك أنّ توازن المرأة يختلف في حالات الطّمث ، وأوائل الحمل ، عن حالاتها الأخرى وأنّها لا تملك الشعور الكافي ، قلت وأنا شخصياً تعرض عليّ مشاكل الزّواج بصفتي عالم ديني ، وكنت أحاول إصلاح الزّوجين المختلفين وكنت الاحظ عندما يشرحان مشاكلهما أنّ في المرأة قصوراً غريباً ، وتقلباً بدون انتظام في أكثر النساء ، بل أستطيع أن لا استثني بخلاف الرجل . وكنت أجدها تحمل عقداً نفسية كثيرة ، لا تملك معها مخططاً محدداً في خصومتها .

٧ ـ الرّجال قوامون على النّساء : ليس معنى القيمومة أكثر من تصرفات بسيطة تطفح بالرّفق والرّحمة فكل قاصر يحتاج الى قيّم ، فاليتيم الذي لم يبلغ الحلم يحتاج الى نصب قيّم عليه ، والشّخص السّفيه الذي لا يحسن إدارة امواله يحتاج الى قيّم عليه ، وأموال الغائب الذي ليس له ولي ولا وكيل تحتاج إلى قيّم عليها ، فالقيمومة منصب ، هدفه الإصلاح ، وليس معنى القيمومة السلطة والتصرف الكيفي ، بل بمعناه الحفظ والمحافظة . . .

ولما كان الرّجل يتمتع بمواهب الطّبيعة من حيث السلطة والسّطوة والقدرة ، جعله الله سبحانه محافظاً على المرأة ، وموجهاً ومدافعاً ومحامياً .

والحقيقة : أنّ المرأة والرّجل صديقان يعيشان في بيت واحد ، ولا يشاركهما في حياتهما هذه أحد . . . وهذان الصّديقان يكوّنان مجتمعاً صغيراً ، أو دولة صغيرة لها استقلالها في ضمن المجتمع الكبير ، وكل مجتمع اذا لم يكن فيه آمر ومأمور ، كان معرّضاً للفوضى ، والفوضى تنتهي بأسوأ النّهايات .

وقد جعل الرجل قيماً على معنى ما يأتي :

للرجل حرية الخروج من المنزل للكسب ، وللقيام بواجباته اتجاه المجتمع الأكبر . . أما المرأة فعليها أن تأخذ موافقة الزوج اذا أرادات ذلك ، وبالطبع ، إنّ الزوج اذا لم يكن حكيماً ، لم تكن له هذه الولاية .

فله منعها من الخروج الى الجيران والأقرباء اذا كان ذلك ينكد حياتهما

الزّوجية ، ويخلق لهما المشاكل العائلية ، وهل يخطر في بال عاقل أن يمنع الزوج زوجته من زيارة أقربائها أو صديقاتها ، اذا كان ذلك يجلب لهما السّعادة والخير ؟؟ فالمرأة يجب عليها إطاعته في ذلك ما لم يكن ضاراً ، والزوج يجب عليه أن يهيء لها أسباب المعاش بحسب حالها ومكانتها الإجتماعية والإقتصادية . . فاذا امتنع الزوج عن أداء حقها ، رفعت أمرها للحاكم ، أما إذا أمتنعت هي عن القيام بحقه ، فقد جعل الزّوج ولياً على إجبارها على ذلك الحق وهو قادر على إجبارها على تأديته ، وهذا معنى كونه قيماً ، ولكنّه ليس حراً في الوصول إلى حقه المذكور ، فإنّ الشريعة جعلت له حدوداً لا يتخطاها ، وهي ثلاثة .

أولها : الوعظ والإرشاد : وهو عبارة عن التّرهيب والتّرغيب .

ثانيها : الهجر في المضاجع : وذلك بأن يعطيها ظهره عندما ينامان في فراش واحد . ولا يخفي ما في هذه العقوبة من الشدة على الزوجين ، ومن تعريضهما للصلح بدافع غريزة الجنس .

ثالثها : الضرب بما لا يدمي ولا يكسر .

هذا ولا يجوز الإنتقال للثانية الا بعد عدم نفع الأُولى ، ولا للثالثة الا بعد عدم تأثير الثانية .

والسر في جعل هذه الولاية ، هو أنّ حياة الزوجين أشبه بالحياة السرية التي يقبح عرضها العلني ولذلك جعلت الحلول داخلية ، تقليلاً للنّزاع ، وتقصيراً لمسافته ، وحذراً من توسع الشر وانتشاره ، كما يلاحظ ذلك من إدارة ظهره لها عندما يضطجعان . ومن الواضح أنّ هذا العلاج ليس سهلاً على الزوج ، ولا سهلاً على الزوجة ، وأنّه قد ينتهي بالعتاب البسيط .

ولو أراد الشارع أن يعطي هذه الصّلاحيات للمرأة لكان التشريع فاشلاً ، لأنّ سلطة القانون تحتاج الى سلطة التنفيذ ، ولا ريب أنّ المرأة عاجزة عن التنفيذ لضعفها ، فجعل هذه الصّلاحيات لها قد يوصل الى عكس النتيجة ، بخلاف الرجل .

إلى هنا يتضح معنى قيمومة الرّجل على المرأة ، وتتضح وجوه الحكمة فيها .

حجر وطين

آراء ونظريات

الكتاب الثالث عشر

الآراء والمعتقدات

منذ أشهر أو أكثر ، بدا لي أن أُدوّن آرائي ، وبالطبع أنّ ذلك حدث عندما كان لي رأي خاص ، في أمر خاص ، ثم عرض لي ما أشعرني بخطئي ، ثم أخذت أُحيل هذا من وقت لآخر إلى يوم ستة وعشرين من ذي الحجة ، سنة أربعة وخمسين بعد الألف والثلاثمائة هجرية ، ومن الصّدف أنّ ذلك الوقت كان بعد العشاء الآخرة ، وهو وقت ولادتي ، فإنّي ولدت سنة التسع والعشرين بعد الألف والثلاثماية ، ليلة الإثنين بعد العشاء الآخرة في ستة وعشرين من ذي الحجة وهذا من الإتفاق الغريب . .

٢٦ ذي الحجة ١٣٥٤ هـ .

وجوب تدوين الإنسان لآرائه ومعتقداته

أول رأي أُدونه في هذه الصّحائف هو وجوب تدوين الإنسان لآرائه ومعتقداته ، لأنه بالطّبع يأخذها بعد البحث والتجربة ، والتجربة أساس الإختراع ، فيكون ذلك درساً لغيره ، وتصويراً لنفسه على اختلاف أطوارها .

وجوب تأريخ الآراء والمعتقدات

ينبغي أن تدونّ الفكرة عندما يرتئيها ، وينبغي أن يؤرخ باليوم والساعة والشّهر والفصل والسنة والمكان ، فإنّه أتم للفائدة ، لأنّ هذه المذكورات كلها تؤثر على تفكير الإنسان ، حتّى الري والعطش ، والشّبع والجوع ، والصّحة والمرض ، والعافية والبلاء .

الإنسان ألوف

في ٥ رجب ١٣٥٥ هـ ، هنأت بعض معارفي الشيخ محمد رضا المظفر ، عضو منتدى النشر بعرسه فوجدته وادعاً قريباً من النفس ، فقلت للذي معي : كل إنسان تعاشره تجده قريباً منك ، ألوفاً لك ، والذي أعتقده : أنّ الإنسان يألف ويُؤلف ، بطبعه ، وليس شريراً كما يقول البعض .

الفرص تمرّ مرّة

ثم ، لسانحة في نفسي قلت له : إذا هممت بعمل ، فلا تؤجله ، لأنّ جلّ الأعمال تكون ضحية التسويف ، وكثيراً ما مرّت عليّ آراء ونظريات ، أجلت تدوينها لوقت آخر ، فذهبت مع الوقت ، وقد لا تعود ولذا قال الأول : الفرص تمرّ مرّ السحاب ، وقال غيره : إغتنموا الفرص ، فإنّها تمرّ مرّ السّحاب ، وأقول تبعاً لهم : الفرص تمرّ مرّة واحدة ، فإن اغتنمتها أقامت ، وإن أجلتها لن تعود .

امة بلا زعيم كسفينة بلا ربان

كان في عقيدتي : أنّ العمل الذي يريد أن يقوم به الجماعة ينبغي أن يكون قبل كل شيء بلا رئيس منتخب ، بل ينبغي أن يكون الرئيس أحدهم بالقرعة ، وقد طبقت هذه النظرية ، فباءت بالفشل ، لأنّ القرعة خرجت على أقلنا موهبة ، وكنت أظنّه يتنزّل لمن هو أعلى منه ، وكان فشل العمل ، على الأكثر مستنداً لهذه النظرية ، ومن أجل هذا ، أصبحت أعتقد بأنّ الأُمة بلا زعيم كالسّفينة بلا ربان ، وأنّ الرئيس هو الذي يوجد الأعوان ، وليس الأعوان توجد الرّئيس ، أو أنّه تفاعل من الجانبين .

ثم أنّي ، في سنة ١٣٧٠ هـ تقريباً ، أصبحت أعتقد أنّ العمل يجب أن يكون فردياً ، بمعنى أنّه يجب أن يتبناه الواحد ، ثم يقود من يشاء من أفراد أو من جماهير ، ولقد جرّبت هذه النظرية فأنشأت في بيروت جميعية التعاون العلمي الدّيني ، فلمست النّجاح ، وجرّبتها في مشروع المدرسة العاملية أيضاً في النّجف ، فوجدت النجاح ، وكانت الجمعية في سنة ١٣٦٩ هـ ، وكانت المدرسة في سنة ١٣٧٦ هـ تقريباً ، ووجدت أنّ من يتبنّى العمل يحتاج إلى صبر

وتحمّل وثبات واستمرار وترك ما عداه ، ومن أجل إنشغالي بـأمور كثـيرة ، لم أصل لتمام الغاية .

وفي النّهاية ، وجدته يحتاج إلى التّخصص والآتجاه لعمل واحد لا غير . . .

حررّت هذا ضحى الخميس ١٨ شعبان ١٣٨١ هـ ، عند نقل هذه الصحائف الى هذه الأوراق . .

الخير والشّر عرضان . . .

سنة ١٣٥٥ هـ :

قال قوم : الإنسان شرّير بالطّبع ، وقال آخرون : إنّه خيّر بالطبع ، وسمعت من أستاذنا الحجة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في الدرس ما يجمع بين هذين ، إذ قال بمناسبة مّا : مهما شئت فبالغ في شرّ البشرية ، كما أنّك مهما شئت فبالغ في خيرها ، من هنا اعتقدت : أنّ الإنسان هيولي مشتركة ، ومادة خام ، غير متصفة بالذّات بأحد الوصفين ، وأنّ الخير والشّر عرضان يكتسبهما بالمؤثرات والعوامل .

فالطّين في أصله يصلح إبريقاً ، ويصلح آنية للمجوهرات ، والحديد يصلح آلة للفتك كما يصلح آلة للصّيانة والإسعاف ، والحجر يصلح لقتل الحية كما يصلح لقتل الصّالحين . . وهلم جرّاً . . .

لا تستعمل الشّدّة مع الطّفل في صغره

في سنة ١٣٥٦ هـ ٣ ج اولى الموافق ١٣ تموز ١٩٣٣ م : رأيت أن لا تستعمل الشّدة مع الطّفل في صغره ، وأن لا يضغط وليّه على ميوله ورغباته ، بل ينبغي أن يتركه وشأنه تحت رعايته ليستفيد من تجربته الناشئة معه ، فإنّه إذا استفرغ قوّته ، ونفذ رغبته ، عرف خيبة ميوله وبعد ذلك ينقاد لأبويه وأساتذته المجربين ، مختاراً غير مجبور ، وأعتقد أنّ الحجر عليه في الصّغر يعرّضه لردة الفعل في الكبر ، وهذه النظرية لم أزل عليها ، وقد جرّبتها واستقرأت حياة الكثيرين . . .

أُنظر الى البخلاء ، تجد بينهم من هم في غاية السّخاء ، وانظر الى الأشقياء ،

تجد بينهم من هم في غاية الصّلاح ، وانظر إلى الصّالحين وأهل الكرم تجد بينهم من هم على غير وتيرتهم ، وهذا لا يتنافى مع ما قدّمناه في الرأي الخامس ، فإنّ القسر والجبر منع هذا الناشيء من التأثر بمحيطه . . .

إنّ الشفقة قد تمنع كثيراً من تنفيذ الإرادات الصّالحة في حقّ الطّفل العزيز ، غير أنّ هذه المعزة تختلف قوّة وضعفاً .

الصّدق الصّرف والحقّ الصّرف

الصّدق الصّرف والحقّ الصّرف لا يهضمها الناس ، ولا يتمشّى معهم ، لأنّهم بحسب التتبع كلّهم يمزجون الكذب بالصّدق ، والحق بالباطل ، ولكنّ هذا المزج يختلف شدّة وضعفاً وقلّة وكثرة وهم يذكرون له وجوهاً مبيحة له شرعاً وعقلاً ، ولكنّهم مخطئون ، ونصيبهم الفشل .

فمن أراد السّلامة في دينه ، والطّهارة في ضميره ، والراحة في وجدانه ، والنجاة عند خالقه ، والفوز في آخرته ، والنّجاح في دنياه ، واكتفى ببعض الناس ، فليصدق صرفاً ، وليقل الحق صرفاً ، ومن أراد اكثرية الناس ، فليمزح بقلة ، ومن أراد الخسران في كلّ ذلك ، فليكذب ما شاء ، ولقد سلكت الطّريق الأول ، فوجدت فيه خيراً كثيراً ، ولكنّ ذلك بعد الصّبر المر ، والصّبر مر أوله ، وعاقبته حلوة .

نقلت هذا إلى هذه الأوراق عصر الخميس ١٨ شعبان ١٣٨٣ هـ من المسودة التي مضى عليها نحو ربع قرن ، وأعودفأقول الآن ما قاله الله سبحانه : ﴿ الحق أحق أن يتبع ﴾ ، فإنّه أجدى في الدّنيا والآخرة ، والتّجربة أكبر برهان ، وقد فزت بود أكبر عدد من الناس ، ووجدت النّجاح الكامل الذي أتبينه يوماً فيوماً ، وجدت ذلك كله بالصّدق الصّرف والحق الصّرف ، ووجدت أنّ من أغضبتهم بصراحتي كانوا أشد الناس حدباً عليّ وولاءاً لي ، ونصيحة في أمري ، في الحضور والغياب ، والحمد لله على هدايته ، ولكن الصّبر أوله مر ، والعجلة مقرونة بالعثار ، وفقنا الله للصبر والأناة وهو حسبنا ونعم الوكيل . . .

الضيافة

ويعجبني أبيات وجدتها بخطّ المرحوم الوالد قدس الله روحه الزكية ، ولا أعرف عنها هل هي له أم لغيره :

عجباً لمن يرجو المحامد
وهو يمنع ما لديه
ولباسط للمجد عيناً
وهو لم يبسط يديه

لم لا أحب الضّيف أو أرتاح من جذل إليه
والضيف يأكل رزقه عندي ويشكرني عليه

وكان رحمه الله تعالى تعجبه مقطوعة لعبد الرحمن قليلات ، وكان يأمرنا بحفظها ، وهي :

مرحى ضيوف ما لهم عدد
فاستقبلوهم أيها الولد
والله لو لم يبق غيركم
لنحرتكم وأضالعي وقد
يا عبد قم واعلف ركائبهم
وامدد صمات الزاد يا زيد
اللحم والخبز الطّري لهم
ولنا فتات الخبز والثرد

وكان قد كتب على باب غرفته مختارات من قصيدة السّموأل التي يقول فيها :

وما ضرّنا أنّا قليل وجارنا
عزيز ، وجار الأكثرين ذليل
تعيرنا أنّا قليل عديدنا
فقلت لها : إنَّ الكرام قليل

آراء حول المرأة

جاء أحد أثرياء هولاندا إلى أشهر مصوّر يدوي ، وطلب منه تمثالا لنفسه ، واقترح عليه قبل ذلك أن يصنع له تمثال امرأة جميلة لا عيب فيها ، فإن اجاد أعطاه ما يريد ، فرفض ، وكان عند المصوّر تلميذ حاذق أقدم على ذلك ، وقد جعلوا المدّة ستة أشهر على أن لا يكون فيها عيب أبداً .

وعند انتهاء المدة ، اجتمعوا ، وكشف الغطاء عن بدن التمثال ، فوجد التمثال امرأة من أروع ما يكون ، وأبدع ما يخطر في بال ، فلما كشف الغطاء كاملًا ، وجد التمثال بدون رأس ، فاعترضه التاجر بأنّ هذا التمثال فيه كل عيب ، وهو خلاف الشّرط ايضاً ، فأجابه التلميذ المصوّر : إنّك تريد امرأة كاملة ، ومن المستحيل أن تكمل المرأة اذا كان لها رأس فيه أُذن وعين ولسان ، ومنها يكون مثار الفتن .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المرأة ضلع أعوج ، إن قوّمته انكسر .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : المرأة شرّ كلها ، وشرّ منها أنه لا بد منها .

قلت : وقد تظن المرأة أنّ في هذا الكلام عداوة لها ، وبياناً لنقصها ، ولكنّها وأمثالها اعتادت أن تنظر من زاوية واحدة . . إنّ هؤلاء أرادوا خدمة المرأة وصيانتها والتوصية بها ، لأنّ الطّلاق والفراق والمشاكل الدّاخلية ناشئة عن طلب الكمال منها ، فإذا اعتقدوا أنّها لا تكمل ، وأنّه لا بد منها ، صبروا على ما فيها من نقص ، وصلحت العائلة ، واستقرت حياتها الدّاخلية .

الأمم والحضارات

من آرائي سنة ١٣٤٧ هـ : أنّ الامة الّتي تكون متمدنة وتنحط أقرب للتقدم من الأُمة التي ليس لها ماض ، فإنّ الأُولى لها أُسس تبني عليها ، ولها مجد ، يحركها الشّعور بفقده لاستعادته ، وعلى هذا الأساس فلا بد أن يصل العرب في مستقبلهم الى أعظم من ماضيهم ، بخلاف الأُمم المتوحشة كالزّنوج مثلًا ، ولكنّ الإبتكار له روعة وإن قلّ ، لا تعادلها روعة ما تكرّر وإن عظم .

ومن الصدف أن هذه النبؤة تحققت في هـذه الأيـام أعني سنة ١٤٠٢ هـ نجد العرب في مستوى حضـاري مـرمـوق بـين الأمم ، وكانوا في سنـة ١٣٤٧ هـ أشبه بعـرب الباديـة من حيث الأمية وقلة المعارف بالنسبة للأمم المتحضرة .

مستقبل من لا يحمل كفاءة أبيه

حرّرت في الكاظمية في ١١ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ :

ابن الصّحفي منبوذ ، لأنّ أباه مدح قوماً بثمن ، وذم آخرين بلا ثمن .

ابن الزعيم موضع القسوة والرحمة في آن واحد ، القسوة لأنّه ولد من قوم ظالمين او محسودين ، والرّحمة لأنّه من سلالة قوم أشراف وضعهم الدّهر .

ابن الرّجل الرّوحي موضع حفاوة وازدراء في آن واحد ، الحفاوة على حساب أبيه ، فان الرّوحي يقدسه المجتمع حياً وميتاً ، والإزدراء لأنّه لا يقوم بما يراد منه .

أبناء سائر الطّبقات كآبائهم ، يحترمون في ساعة الحاجة ، وينسون سائر الأوقات .

النظرية والواقع

أصحاب الآراء والنّظريات يستخرجون نظرياتهم من زواياهم الخاصة ، وقد يأخذون من واقعهم فكرة يجعلونها مقياساً للمجتمع ، ومن أجل ذلك طالما اتهمتهم في آرائهم ، واتهمت نفسي ، ولكنّني عالجت موقفي ، فكنت أدرس الفكرة وأنضجها وأتبناها ، ثم أعرضها في مختلف المجتمعات ، وأسأل الحاضرين عما اذا كان لنظريتي صلة بالواقع ، فما وجدته كذلك اعتبرته نظرية صحيحة ، وما لم يكن كذلك اعتبرته من زاويتي الخاصة .

السّؤدد . .

رأيت أنّ أول السّؤدد فخامة الدّار المملوكة له ، وثانيه نفاسة الفرش ، وثالثه نزاهة الآنية ونفاستها ، ورابعه الأفضال بالمال على الإخوان وغيرهم ، كبذل السيكارة والشاي والقهوة في هذا الزمان ، ثم الخاتم والعصا والكتاب والمركب وآخرها بذل الطّعام لمن لا تعرفه .

وربما يظن أنّ هذا رأس الشّرف ومفتاحه ، وليس الأمر كذلك ، فإنّها إنّما

تكون كذلك اذا زاملها العقل والعلم والدّين ، والعلم والعقل فقط أو العقل فقط ، فإنّ العقل يصون صاحبه عن ارتكاب الرّذائل ، ويبعثه على المبادرة إلى الإستكثار من الفضائل ، فلا تفوته العفّة ولا النّخوة ، ولا مواساة الفقير ومؤاساته ؛ ، ولا إنعاش الضّعيف ومحاباته .

قلت هذا لأنّني وجدت صاحب الدّار الحقيرة لا تخالطه الأشراف والأعيان ، فيزورهم ولا يزورونه ورأيت صاحب الدّار المستأجرة مجهول المكان لأنّه لا بد له في وقت ما من تبديلها مهما طال مكثه فيها ؛ والمستأجر بطبعه يشعر بالذّلة ، ويحسّ بسيطرة مالك الدّار مهما عظم المستأجر ، وصغر صاحب الدار لأنّ صاحب الحق سلطان كما يقولون ، مضافاً إلى أنه لا يقدر على إحداث ما يحتاجه فيها الا بإذنه وقد لا يأذن .

ورأيت الفرش الثّمين والمناضد الفخمة تؤنس الزائر وتنعشه ، ومن لم يؤنس زائره فقد أوحشه ، والإيحاش ضرب من الاستهتار ، ورأيت الآنية على غرار الفراش ، بل هي أكثر مساساً في الإنبساط والإنشراح والدّعة والإرتياح .

وأما بذل ما اشترطنا بذله فجربّه ، فإنّ المبذول له لن يستطيع أن يذكرك بسوء ما عشت وإن ذكرك كانت عليه لا له ، وكلما أحدثت من ذلك شيئاً أحدثت لك مجداً جديداً .

وأما بذل الطّعام ، فهو يحتاج إلى سعة في المال ، فإن كان ديناً أبهضك ، واضطررت لترك المعتاد وأعقب ذلك فيك شماتة الحسّاد والمنافسين ، إلا إذا كان في مخمصة ، أو مع من لا تعرفه ، لأنّه يكون لله ، وما كان لله ينمو . . . .

والذي يظهر من أخبار أهل البيت (ع) استحباب بذل الطّعام في الحضر والسّفر ، وهم أعرف وأبصر ، ولعلهم يقصدون حسنه من أهل السعة واليسار ، ويستفاد ذلك كله من بقية الأخبار كقولهم : لا صدقة وذو رحم محتاج ، وأي رحم أقرب من عيالك ، وهم أُسراؤك ، والله وليّ السّداد ، وكل عمل يعمله الإنسان لوجه الله يعقبه الفوز قطعاً ، هذا بالنّسبة للأثرياء وأرباب المناصب في الدّولة ، وبالنّسبة للزّعماء أيضاً ، وأما بالنسبة لرجال الدّين ، فهذه أُمور قد تحطّ

من مكانتهم في نفوس أكثرية الناس ، وهي بطبيعتها تضطرهم لارتكاب أُمور كثيرة لا يستحسنها الشّرع وإن كانت مباحة .

فالسّؤدد عند رجال الدّين مرغوب عنه ، وعن أسبابه ويأتيهم عن طريق الإخلاص لله سبحانه في العلم والعمل ، والإبتعاد عن أسبابه ، ثم إنّه من لطف الله بهم أنّه يتحفهم به من حيث لا يحتسبون ، ثم تتهيأ لهم أسبابه الثلاثة على كره منهم لها ، وربّك على كل شيء قدير ، وفي الحديث : أوحى الله إلى الدّنيا أن أتعبي من خدمك ، وأن اخدمي من تركك .

هذا حديث قدسي سمعته من الواعظ الذاكر الشيخ محمد علي قسام رحمه الله تعالى .

وهذه كلمتي الأخيرة المتعلقة برجال الدّين كتبت عصر الجمعة ١٩ شعبان سنة ١٣٨١ هـ الموافق ٢٥ ك٢ / ١٩٦٢ م في قلعة سكر : وأنا فيما كتبته فيها أُعبر عما رأيته في نفسي ؛ ولمسته من غيري ممن عاصرته ، ، والناس يظنون أننا نستعمل أسباباً كثيرة للوصول الى فخامة الدّار ، وارتفاع الأثاث ، ولكنّهم يجهلون قدر الله سبحانه .

نصائح لبعض المتعلقين

أرسلت رسالة لبعض الأعزاء فيها من الآراء القيمة ما يوجب الإهتمام بها ، دوّنت في حلقة المراسلات من هذا الكتاب ، تحت عنوان : من رسالة نصحت بها بعض المتعلقين .

الدّراهم والأسرار

الدّراهم تعطى لمن يعطيها ، والأسرار تعطى لمن لا يعطيها .

شيئان ثمينان ، أحدهما يبذل لباذله ، والآخر يبذل للشحيح به ، وهما : المال والسّر ولعل تاريخ هذه الكلمات في حوالي سنة ١٣٥٠ هـ .

ظاهرة في بعض أسباب السّخاء عند المفلسين

آخر أسلوب يستعمله المفلّسون في استدرار ذوي الأموال الإستهتار أمامهم بالمال ، وبذله لهم ، فيخيل إليهم أنّهم أغنياء وأنّهم أسخياء ، وكأنّهم بذلك يلقنونهم درس السّخاء عملياً ، ويكون المفلس بهذا العمل قد أجهز على آخر ما عنده من قدرة ، ثم لا يجد مواسياً ولا آسياً ؛ ويكون ذلك بالنسبة للغني مساعدة على استبقاء ما لديه ، ولهذا قلّما يفتقر الغنيّ ، وقلما يستغني الفقير الذي يسير على ضوء هذا الشعور ، وربما يقع ضعفاء الإرادة من الأغنياء في حبالة هؤلاء الصيادين فيضطرونهم لمثل عملهم ، فيندفعون بحافز المحاكاة . لمثل عملهم من باب المباهاة ، وتكون نهاية الفقير بعد ذلك زيادة فقره وتفاقم خطره ، ونتيجة الغني الذي يجاريه جهلاً منه بحالة نصب العداوة له .

ظاهرة أُخرى : قيمة الوقت

لو أحصيت جميع ما كتبته طمعاً في الخلود مما بقي ومما ذهب ، لوجدت أنّ ما مزقته هو ضعفي ما بقي ، وإنّما مزّقته مع أنّ المرأ حريص على بنات أفكاره ، لأنّني فكرت فاقتنعت فأعدمت وأبقيت ، ثم قلت كلمتي الآتية :

قد يصعب على الإنسان أن يفرط بشيء من أتعابه وإن قلّت فائدتها ، ولكن شعوري بقيمة الوقت حفّزني على الإقدام على تمزيق الكثير مما كتبته في أنواع الأبحاث والعلوم والأدب وغيره ، إنني كنت الاحظها بين الفينة والفينة ، فكنت أجد أنّ ما أُنفقه من الوقت في سبيل إصلاحها وملاحظتها يكفي لأن أُنشىء من جديد ضعفيها ، ومما هو أثمن منها أيضاً وأنفع ، وعلمت أنّ الآخرين سيزاولونها ، وربما يدفعهم حسن الظّنّ بمن كتبها الى التأمل فيها ، والمدافعة عن أغلاطها جهلاً منهم أنّ كثيراً من المؤلفين يكتبون عندما يكونون بدويين ثم ينضجون ، ولا يعودون لما سبق ، فيظل يعيش على حساب شخصية المؤلف لا على حساب الواقع . . .

لا أشك أنّ فيها نفعاً ، ولكنّني لا أعتقد أنّ فيها ما يعوّض خسارة الوقت ، ولا أشك أنّ فيها ما يفتح طريقاً لخسارة الوقت ، لأنّ النظرية المغلوطة والفكرة البدوية من الشّخص العظيم تستدعي الآخرين لزيادة التأمل ، ولانفاق الوقت

في تقريب تلك النّظرية . . .

لذلك أتمنىّ أن أعود وأن يعود كل مؤلف لما كتبه في أول عمره أو يجعل عليه علامة خاصة وسمة فارقة .

كثر التأليف والنشر في هذا العصر لسهولة الطَّبع ولفتح باب الإتجار بالمطبوعات ، وأتمنى لو تختار كلّ دولة لجنة من الكاملين الحياديين ، ثم يقيمون محكمة لما يصدر من الكتب والنشرات ، فيعدمون ما لا يستحق البقاء ، ثم يعطون أوسمة للباقية ودرجات ، فيريحون العالم من القلق والإرتباك ، ويحفظون الناشئة من الإلتواء والإنهيار .

وهذه فكرة أوجزت في بيانها لوضوحها وهي تختمر في نفسي منذ اكثر من عشر سنوات حسبما أظن ، والذي يجول في ذهني أنَّ الكتاب الناشئين يكتبون لأمثالهم لما بينهم من التجاوب ، ولكنَّ ذلك لا يضمن قيمة الوقت ، ولا يضمن سلامة أفكار القارئين ، ولا يؤمنهم من التسمم والإلتواء ، إذن فأنا على رأيي الأول . . .

حررت الأسطر صبح السبت ٢٠ شعبان ١٣٨١ هـ .

كلمات قديمة العهد

* قال لي بعض الرفقاء ـ وقد كلفته في شيء لا أحتاجه ـ : لماذا تكلّف أصدقاءك فيما لا حاجة لك فيه ؟ فأجبته : ليتبين لي الصَّديق الكاذب مثلك .

* حياة الأعزب عبء على الحياة ، لأنَّ العزوبة شهوة عارمة ، وأثرة غاشمة ، وعمى لا بصر معه ولا بصيرة .

* يؤلمني عاقل شامت ، لأنَّ الشماتة من مثله غريبة ، وصديق جاهل لأنّه لا يفهم ما أقول ، ورجل لا يقدّر المعروف ، لأنَّه بذلك يقطع سبيل المعروف .

* ـ لا أجد أشد ألماً في نفسي من الكذب ، ولا أعلم لماذا ، ثم دونه بمرقاة التزلف للأقوياء ، والمراوغة وخلق الأعذار واختلاقها ، ولا سيما مع وضوح ما منه يستقبل .

* قال بعضهم : مطالبة الصَّديق بالإنصاف ليس من الإنصاف .

قلت : وهذا مذهبي ، وفي مذهبي أيضاً قول بشار بن برد :

اذا كنت في كلّ الأُمور معاتباً
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت ، وأي الناس تصفو مشاربه
إذا الملك الجبّار صعر خده
مشينا إليه بالسّيوف نعاتبه

المخلص لله سبحانه

قلت في رسالة لابن الخال الشيخ سليمان آل سليمان بتاريخ ١٥ ع ٢ / ١٣٦٨ هـ : إنَّ من يعمل مخلصاً لله سبحانه لا يمكن أن يندم أبداً ، وإن واجه المصاعب والمتاعب ، وأُحيط بما يسميه الغافلون إخفاقاً . . .

وقلت مرة أُخرى : إنَّ من يعمل مخلصاً لله سبحانه لا يندم ما لم يفقد العقيدة ، وسواءا عليه أوصل إلى الغاية أم أخفق، لأنَّ العمل كان هو الغاية .

العمل والتَّضحية

من رسالة أرسلتها للعلامة السيد هاشم معروف على احمد العاملي في ٢٤ ع ٢ سنة ١٣٧٢ هـ بشأن العالم الذي كنا ننوي إرساله إلى مصر ، وكنت أُرجحه له لذلك ، وكان آية الله الحكيم على ذلك ثم فشلت الفكرة ، قلت في آخر الرسالة :

اما الآن، فأنا يائس من كل حركة إصلاحية ، يكون الرجل الحازم فيها صنيعة لغيره ،لأنَّ الحزم يأبى الإستصناع لغير الله سبحانه ، وقد أصبحت الآن لا أثق بأمر من أُمور الغير ، لذلك تجدني اذا أُردت عملاً بادرت إليه فان نجحت فهو المطلوب ، والا فهي التجربة ، ولا بد للمخترع من تكرار التجارب ، والتجربة تضحية بأمر مهم ، برجاء الفوز بالأمر الأهم ، وقد دلتني التجارب أنَّني اذا صمّمت على عمل ثم أجلته الى الغد ، تأجل إلى أبعد منه ، واحتجت

للإعتذار ، ووقعت في النَّدامة ، إنتهى .

الضَّعيف والقوي

قلت مرة : الضَّعيف يؤله القوي ، والقوي يستعبده ، وقلت مرة أُخرى : القوي يأكل والضّعفاء من أنصاره يتجشَّؤون .

كلّ ما في هذه الحلقة من الآراء فهو لي ، وإذا نسيت رأياً لشخص فهو له ، ومعنى تدوينه أنّي أرتضيه .

القادة الثلاثة : شاب وكهل وشيخ

أما الشباب فهو مغامرة، والمغامرة مقامرة، والمقامر المرن لا يكتب له النجاح الدّائم فضلاً عن غير المرن، وهو في نظر الكهول والشيوخ بمنزلة رعود الصّيف لا يؤبه له، ولا يخشى منه وأما الكهولة فهي حزم وعزم، وهي الوسط المعتدل ، والكهل مع ذلك يتمتع بهيبة الشباب ، ويتمتع بالإكبار عند الشباب والشيوخ ، وهو لا يرى نفسه كذلك ، فهو من اجل هذا في منتهى الحذر .

وأما الشيخوخة ، فهي إما فوز في أمان ، وإما هزيمة بلا خسارة ، والشيخ مع ذلك مزدرى به عند الشباب ، لأنهم يرونه كالشمس ، قريب المغيب ، وغير مأمون عند الكهول ، لأنّهم يؤمنون بمقدرته ، وإذا واكبته الشّباب والكهول ، فهو لا سواه نجاح دائم ، وربح بلا خسارة .

أيها الزّعيم المستبد

في طلقة واحدة تقتل واحداً من الرّعية ، فتكون قد أضفت الى قوة العدوّ قوة جنديين ، لأنّك قتلت جندياً من جنودك كان يكفيك جندياً من جنود عدوك ، وأتلفت طلقة كانت تكفي لقتل جندي من جنود عدوك .

اثنان ما اجتمعا في قلب إلا أتعباه

اثنان ما اجتمعا في قلب إلا أتعباه : الفقر والكبر ، والهمّ والمرض ، والدَّين وقلّة الدِّين .

من وصية أردشير الملك الذي تنسك إلى ولده سابور

من الحكم المنسوبة الى ملوك الساسانية ، وهم الفرس الثانية ، في مروج الذّهب ج ١ ص ٢١٠ من وصية أردشير لأبنه سابور ، وأردشير أول ملوكهم ، وذلك عندما تنسك أردشير ، ونصب ولده سابور في منصبه :

يا بنيَّ ، الدّين والملك أخوان ، ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه ، فالدّين أس الملك ، والملك حارسه ، وما لم يكن له أسّ فمهدوم ، وما لم يكن له حارس فضائع .

وفي مروج الذّهب أيضاً : طلب ملك الرّوم من سابور ما دبر به مملكته ليسير عليه ، فكتب إليه : نلت ذلك بثمان خصال : لم أهزل في أمر ولا نهي قطّ ، ولم أُخلف وعداً ولا وعيداً قط ، وحاربت للغنى لا للهوى ، واجتلبت الناس مقة بلا كره ، وخوفاً بلا مقت ، وعاقبت للذّنب لا للغضب ، وعممت القوت ، وحسمت الفضول . . .

وفي مروج الذّهب أيضاً ج١ ص٢١٧ : ذكر أنّ عمرو بن تميم بن مرعاش ثلاثمائة سنة ، وازداد ثمانين سنة بعد فتح سابور لبلاد البحرين ، وكان عمرو ملكها ، وكان معلقاً في شجرة في قفة لضعفه ، ونصح لسابور وقومه ، فعفا عنهم بعدما خلع أكتاف أياد بالعراق .

قلت : ولعلّه هو المسمى ذو الأكتاف ، وهو الذي فرض على العرب فرو ضاً لم تزل عادة لهم ، وليس هو هرمز كما ذكره السيد نعمة الله الجزائري ، وذكرناه عنه في الأوليات ص ٢٤٢ من هذه الأوراق.

الكتب المغرية أو ظاهرة التأليف في هذا العصر .

متى يستريح الإنسان من هذه المؤلفات التي أقلقت اتجاه العالم ، وعكرت صفو الحياة على الناشئة وجعلت الدّنيا مظلمة في وجوههم .

آراء متباينة ، وشهوات عارمة ، وثورات بدافع العاطفة ، أملاها الظرف الحاضر على من أملاها .

إنّها حوافز شهوانية تدفع الأقلام وتسوق العقول ، فتزجها في أضيق السّبل ، ثم ترميها في المهوى السحيق .

أتمنّى أن يترك التأليف في كل فنّ ، حتى فنّ القصص والهزل للمتخصّصين ، وأن تضع كل دولة هيئة من أهل السّنّ والفضل والكمال لرقابة المؤلفات ، فتحكم بالإعدام على بعضها ، وبإصلا ح البعض الأخر ، وتسمح لما تراه صالحاً . . .

والمرض المعضل الصحف والإذاعات ومديريات الدّعايات ، التي تبنتها الدّول ، وأنشأتها لتغشية الحق ، وبث حبائل الخداع ، وقد جاءت متقنة غاية الإتقان ، فلا يدرك ما فيها الا قليل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

النفس والحافظة : القوى المادية واللامادية في الإنسان

في هذا الإنسان قوى مادية ، كل واحدة منها تمثل معملاً متقن الإنتاج محكم التدبير ، يعمل باستمرار ، خاضعاً لمؤشرات خفية ، ينبعث إلى القيام بها فوراً ، كأنه يتحرّك بمحرّك كهربائي يقوم على مؤشرات أوتوماتيكية ، ومن أجل استمرارها في العمل منذ البداية لا ننظرها بعين الإعتبار ولا نفهمها حقّ الفهم ، ثم إذا اخترع المخترعون شيئاً ، ووقفنا نتأمل فيه ، تملكنا الدّهشة ونؤمن بعظمة المخترع ، مع أنّ هذه المخترعات أقل مما تتحمله الخفايا الكونية بكثير . . .

إننا إذا دخلنا إلى مكان ، فوجدنا فيه معملاً تدخله أنواع الأطعمة ، فيسحقها ، ثم يعصرها ثم يقسّمها الى دم وبلغم وروث وبول ، نعجب منه غاية العجب .

وإذا كان هذا المعمل يقسّم هذه الخلاصات بنسبة عادلة على موظفيه مثلاً ، فلا يعطى الواحد الا ما يناسبه وما يستحقه ، كان الإعجاب فيه وفي مخترعه أشد و أعظم .

هل تعلمون أنّ كلّ فرد من أفراد الحيوانات يملك معملاً أدق إتقاناً وأعظم صنعاً . . فإنّ الطّعام بأنواعه اذا دخل الجوف تسحقه المعدة وتطبخه ، ثم تحوّله

من عنصر لآخر ، وفي النّهاية يعطي هذه العناصر للأعضاء ، كل عضو ما يناسبه ، وبقدر حاجته ، فما تقدّمه للعظم غير الذي تقدّمه للعصب وما تقدمه لهما غير ما تقدّمه للجلد واللحم والشّعر والإضفر ، ثم تأخذ في الدّفة حتى لا يهتدي الإنسان لأعمال هذا المعمل الا بعد حين ، ففي كلّ جيل يكتشف المتخصّصون ناحية جديدة في جسم الإنسان .

في معدة الإنسان جهازاً معداً لتكوين حامض الكربون ، وهذه هي الغدد ، التي تفرز هذا الشّيء ، وتصدره بمعدّل خاص تساعد على طبخ ما في الجوف وإنضاجه ، فإذا عجزت واحتاجت المعدة الى اكثر من ذلك ، تمدها المرارة بقطرات ، ونحن بطبيعة الحال نعتقد أن هناك مقياساً طبيعياً ، يشبه فعله أفعال المفكرين المتنبهين ، وفي اللّوزتين جهاز مستعد لحراسة الدّماغ من وصول الدّم الملّوث إليه ، واذا تكاثر ذلك التهبت اللّوزتان ، وامتنع إدخال الطّعام إلى الجوف ، فتتجه المعدة إلى إنضاج ما فيها ، ولا ترتبك بشيء جديد يختلط بالقديم .

وفي مرارة فم المريض حمية طبيعية ، فإنّ مرضه كان من تكدس الأطعمة ، وعجز مرارة المعدة عن هضمها ، ومع الإستمرار يزيد هذا التكدّس ولكنّ مرارة الحلق تمنع من ذلك ، فتقف أسباب التخمة ، وتنقطع معدات الإرتباك وتتجه المعدة والأعضاء إلى المكافحة ، آمنة من زيادة الغذاء المربك لها ، فاللّوزتان ومرارة الفم بمنزلة حارس أمين يقطع خطوط الإتصال مع العدوّ ، ثم إنَّ الغدد التي في الفم تفرز محلولاً يسهّل هضم الطّعام ، ضع لقمة في الماء ثم وضع قطعة منها في الفم واصبر هنيئة ، تجد اللقمة التي في الفم ذابت وتفسخت ، وتجد أنّ اللّقمة التي وضعتها في الماء لا تزال قوية متماسكة . . .

إنّنا اذا أردنا أن نستعرض قليلاً من خفايا بدن الإنسان ، نحتاج إلى مجلدات لا إلى صحائف .

إنَّ كلّ عضو له وظيفة ، وإنك لتعجب من اندفاعه إلى وظيفته بمجرد الحاجة إلى ذلك .

هل رأيت جفن العين يبادر بالإنطباق بمجرد حدوث الخطر في مركزه ؟

ثم هل رأيت روغان الرأس بمجرّد توهم حدوث الخطر عليه من جهة من الجهات ؟

وهل رأيت القلب ينبض بسرعة ، والحرارة ترتفع عند توهم الخطر العام ؟ إنّه يمد الأعضاء كلّها بأعظم قوة .

هل علمت : أنّ كل شعرة أُنبوب ؟

هل علمت أنّ البدن كله مسام ؟

هل فهمت أنّ النظام الشَّمسي الكوني موجود في الكائنات الصّغيرة ؟ وأنّ نسبة البعد بين شمسها وقمرها يساوي نسبة البعد بين الشّمس والقمر بعد ملاحظة الوزن ؟؟

هل علمت أنَّ الألم الذي يحدث في الأعضاء نذير لك يستعين بك لتمدّه بالإسعافات الخارجية التي تساعد على مكافحة الجراثيم المهاجمة ، ولولا هذا الألم لدخل المكروب ، وتمركز في البدن ، واحتل أوسع منطقة منه ، وقضى عليه لعدم الشّعور به ، ولتركه حينئذ بلا كفاح ؟؟

هل علمت أنّ الدّمّل يكون فيها خيوط ، تلك الخيوط جسور تنصبها الكريات المدافعة على أشلاء القتلى ـ القيح : لتعبر إلى الكفاح كفاح العدوّ ، هل علمت . . . هل علمت . . . هل علمت . . .

هل شعرت بالجوع ؟ وهل شعرت بالعطش ؟ وهل شعرت بالشبع ؟ وهل شعرت بالرّي ؟ وهل أحسست بالحاجة الغريزية ؟ وهل أحسست بالحاجة إلى طعام خاص ؟؟ وتبين لك أنّه هو الجزء الغذائي الذي كان يحتاجه بدنك .

إنّك إذا دخلت بناية واسعة ، فيها معمل كبير ، مملوء بـالمؤشرات الأوتوماتيكية ، ملكتك الدّهشة وبقيت معجباً بالمخترعين له ، وتغفل عن أنّك تحمل معامل كثيرة ، مملوءة بـالمؤشرات ، وهي معك منـذ الأزل ، فلماذا لا تلتفت إلى من صنعها وأوجدها ؟ .

إنّ الذي أوجد المخترع أعظم منه ، وأولى بالإكرام والتّعظيم . . .

إنّك لو كنت طبيباً ، وتعلمت على حركات النبض ، لرأيت فيه أكبر مؤشر يدلك على أنواع الأمراض ، وعلى أكثر أسبابها ، إنّك لو علمت أنّ لون اللسان يدل على جملة من الأمراض ، وكذلك لون باطن الفم ، وكذلك لون الجلد ، وكذلك لون البراز والبول ، إنّها كلها مؤشرات .

إنَّ اختلاف الصّوت ، وإنَّ اختلاف صوت حركة الأمعاء ، وصوت حركة الرّئة ، وحركة القلب ، كلها مؤشرات الى عوامل في داخل الجوف ، لا نستطيع الإطلاع على شيء منها ، لولا هذه المؤشرات .

قلت لك : لو اطردت في حديثي عما أعرفه ، وهو قليل من كثير لدوّنت صحائف كثيرة ، أو مجلداً على الأقل ، فما ظنك لو اجتمعت لجنة من علماء التشريح والطّب ، وأرادت التحدّث عن محتويات البدن بإسهاب .

إنّنا لا نصدّق أنَّ السيارة وجدت صدفة ، ولكننا نصدّق بأنّ من اخترع السيارة ، والذين ساهموا في رفع مستواها وجدوا صدفة . . .

إنّ هذا من السَّفه ، إنّه من الجدل الشّعري الفارغ ، إنّ المجادل الذي لم يبتل بعمى البصيرة لا ينتهي به الإسفاف إلى هذا الحد . . .

ومن أجل ذلك كلّه ، اعود فأقول : إنّ هناك تدبيراً فوق كل تدبير ، وفناً لا يدركه الفن ، وقوة لا تحيط بها قوة ،

ولكنّه . . .

ولأنه نشأ معنا منذ اليوم الأول . . . لأنه كذلك ، لا نقيسه بمقياسنا الواقعي ، ولا ننظر إليه بعين الإعتبار . . .

حدّثني ابن خالي العلامة الشيخ ابراهيم سليمان عن أبيه وعمه المرحوم الشيخ عليّ والشيخ حسين سليمان أنّ والدهما ، جدي لأمي ، الشيخ محمد سليمان كان في بلدته واحتاج الى القلم والدّواة وكان في المجلس شخص ، فقال : عندنا دواة تكتب بلا ماء ولا تحبير ، ثم اخرج من جيبه قلم الرصاص المدعو في العراق قلم بصمة ، وكتب به فدهش الحاضرون ، ثم التفت الشيخ

آراء ونظريات

محمد سليمان رحمه الله وقال :

قاتل الله الإفرنج ، كادوا يكفّرون الناس .

إنّه استعظم القلم الجاف ، ثم نحن عندما كنا نرى السيارة أو القطار والطّائرة ، نندهش لذلك أعظم دهشة ؛ ونظل مفكرين ، ثم لما اخترع العلماء الكهرباء ، وقدموها الى العالم وانتشرت ، كانت الدّهشة بها أعظم ، وأنا شخصياً لا أزال أشعر بالدهشة إذا وضع الشّريط أمامي في الحاكي ، ونكلم الحاكي بحديث أو محاضرة أو سورة قرآن ، وكان الذي ملأ الشريط تحت التراب ، وفي عداد المنسيين ، لا أزال أقف مذهولاً ، ولا أزال أعتقد بأنّ خفايا العالم أكثر مما توصل إليه العلم .

وأبناؤ نا لما نشأوا على هذه الأُمور ، لا يرونها الا شيئا معتاداً ,وقد اتفق أنّ التيار الكهربائي انقطع من بيتنا مرة ، فطلبنا سراجاً كنا قد وضعناه في زوايا المهملات ، فلما أسرجناه اجتمع اطفالي حوله مذهولين ، كل يسألني عنه وعن اسمه ، وبعضهم كان يحاول مدّ يده إليه ، وكنت أسمح لهم بذلك ، كان هذا في العام المنصرم سنة ١٣٨٠ هـ في النجف ، وكانت هذه الظاهرة مدعاة لتوسعي في هذا الحديث . . .

إنَّ السّراج كان عندنا شيئاً معتاداً ،لا نرى له أهمية ، ولا نستعظم مخترعه مع أن ناره لا تزيد عن نصف إنج مربع ، وهو يضيء البيت بلا دخان ، ومفعوله أعظم من مفعول كمية من الحطب وهي تملأ البيت دخاناً ، إنّه لا ختراع مهم ، ولكنّنا نشأنا عليه ، فلم نر له أهمية أما أبناؤ نا فإنّهم نشأوا على الكهرباء ، فلم يروا لها أهمية ، ولم ينشأوا على السراج فرأوا له أهمية ، وراعهم وأدهشهم لأول مرة .

إنَّ هذا يدل على أنّ الإنسان ينظر للجديد بعين الإستغراب ، ويضعه في بوتقة التحليل ، ويفكر فيه كثيراً .

وإنَّ الشّمس والقمر والكواكب ، وجريان الماء وحركات الرّياح ، اعظم من ذلك . . . إنّها خالدة ، وإنّها تغمر الكون بأسره ، وإننا لا نرى من يحرّكها ، ومع ذلك ، لا تأخذ من أنفسنا مأخذ هذه الأُمور الحقيرة ، التي نعرف مبتداها

ومنتهاها ، الى هنا ينبغي أن نؤمن بنقص عظيم في الإنسان وطموح عظيم فيه في آن واحد .

القوى الروحية

وفي الإنسان من القوى الروحية ، ما لا يقل عن القوى المادية كثرة وخفاءاً ، ولكننا نغفل عنها لبعدها عن الإحساس ، ولأننا منغمسون في المادة ، ولكن ، عندما نتنبه لشيءٍ منها ، تملكنا الدّهشة ، ويهيمن علينا التّعجب ، ونقف مبهوتين حائرين ، ولو أطلنا الوقوف والتأمل لتوصّلنا الى ما هو أخفى من ذلك ، وأشد نفعاً في فتح الطّريق اللاّحب ، إلى التمتع بالنعم التي هي وراء المادة ، والتي هي من أُسمى الملذات وأدومها . . .

الذاكرة

في سنة ١٣٦٥ هـ تقريباً ،
وجهت سؤالاً الى بعض الباحثين المفكرين قلت له :

ماذا يقول العلماء عن الحافظة ؟ وإلى أين توصلوا في الكشف عن أسرارها ؟

فلم يجب ، والذي حفّزني على هذا السّؤال هو أنني تنبهت الى نفسي ، فوجدت أنني أقرأ السّورة من القرآن الكريم أو القصيدة أو القصة كاملة ، في حال غفلتي أو في تفكيري في غيرها ، أقرأ ذلك متقناً منتظماً ، حتى كأنني أقرأها في الكتاب ، مع أنني أفكر في غيرها ، حتّى كأنّ الذي يقرأ شخص ، والذي يفكر شخص آخر .

الذي فتح لي باب التفكير والتنبه الى ذلك ، هو أنني في يوم الخميس سلخ جمادى الثانية أو في ٢٩ منه في طريقي لزيارة الحسين (ع) ، وأنا في السّيارة متجه من النجف الى كربلاء ، اشتغلت بتلاوة سورة ياسين ، فلما انتهيت الى قوله تعالى : ﴿ أولم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ﴾ ، قرأتها : ﴿ فنحن لها مالكون ﴾ ، فأحسست بالخطأ ، فجعلت أعيدها لأصل الى قرائتها كما هي ، فلم أستطع .

وأغرب من هذا أنني كنت أشعر أنّها غير صحيحة ولا اعرف الصّحيح ، ثم أنّني رجعت الى ما قبلها من الآيات ، وانحدرت في تلاوتها ، فكنت إذا وصلت إليها

غافلاً ، أشعر أنّني قرأتها صحيحة ، فإذا أردت أن أُعيدها على الوجه الصّحيح ، لم أستطيع ، وضاع منّي وأُفلت من ذاكرتي وعندها أخذت أُفكر في حلِ هذه المشكلة . . .

أنا . . عندما أكون غافلاً أو ذاهلاً أو مشغولاً بنظرية ما ، أقرأها صحيحة وعندما ألتفت وأتنبه أقرأها خطأ ، وأنسى الصّحيح حتى كأنني لا أعرفه ، ثم أخذت ُفكر كيف أستطيع الجمع بين القراءة ، وبين التفكير في أمر آخر يباينها ، ولا يرتبط فيها بوجه . .

كان هذا اللّغز بالنّسبة لي لغزاً مبهماً ، وكنت حائراً في حلّه . . وأخيراً أعتقدت بأنّ هناك قوّتين قوة تحفظ وتعيد ما تحفظه فتمليه كما هو ، وقوّة أخرى تفكر وتعد البرامج للمستقبل ، وتفتح الطّريق لما يكون بقياسه ، فتأخذ من الماضي والحاضر للمستقبل .

وجدت الحافظة تعمل عملين في وقت واحد ،تتلو ما تحفظه إذا أردت ذلك تلاوة منتظمة ، وتفكر في الحوادث التي مرت عليها تفكيراً تاماً ، ثم اعد برنامجاً لما يكون ، كل ذلك ولساني يتلو ما يحفظ . . .

أليس هذا دليلاً على وجود قوّتين أو قوى ، أو قوّة تعمل عملين ، أو أعمالاً ، بعضها لا شعورية ، بكل معنى اللاّشعورية ، والآخر شعوري بكلّ معنى الشّعور . .

الظنون الخاطئة

يظن أناس أن كثرة الطعام والشراب توجب السمنة ، وقد أخطأوا ، فإن المهم هو الهضم .

ويظن أناس أن الثراء نتيجة الربح ، وقد اخطأوا ، فإنه نتيجة الأدخار ، ومعنى ذلك هو ملاحظة المسئول ما يرده من المال ثم جعل نفقته أقل من وارداته .

ويظن إناس أن كثرة القراءة والدرس تجعل الإنسان عالماً ، وقد اخطأوا فإن الفهم والحفظ والإستيعاب يجعله عالماً .

ويظن أناس ان الفضيلة والتقوى بالتشدق بالوعظ ، وقد اخطأوا فإن الفضيلة والتقوى بالعمل بالفضائل والإبتعاد عن الرذائل .

كلمة إهداء . . .

أهديت كتاب المرشد إلى آيات القرآن الكريم الى السيد علي صالح من تبنين ، فكتبت عليه ما يلي :

هنا ، في هذه الهدية ، تتلاقى أنواع القيم :

نبل القصد . . وشرف الغاية . . وسموّ الموضوع . .

فالموضوع كتاب الله ، والغاية التّعرف على مواضع آياته الكريمة ، والقصد من الإهداء الذّكرى والحب والتقدير . . .

الكتاب . . .

دخلت على مكتبة عامة ، فقدم لي دفتر التّشريفات لأُدون فيه كلمة ، فدونت كلمة قصيرة ، ثم صنعت هذه الكلمة لأُرسلها لهم :

الكتاب خير صديق ، يعطيك ولا يأخذ منك ، يؤنسك عند الوحشة ، فيحدثك فيجيد الحديث . .

فتجد فيه متعة ولذّة وفائدة . . وتجد فيه حكمة في قصّة ، يصل الماضي بالحاضر ثم يجمع ذلك كله بأمانة وإخلاص ويحمله الى المستقبل ، ويؤديه أفضل تأدية . .

إنّه يضع الماضي بين يديك ، فتكون كأنّك عشت مع آبائك ، وكأن آبائك يعيشون معك ، ثم يضع ذلك بين يدي أبنائك ، فتكون كأنك عشت مع أبنائك ، وكأنّ أبناءك عاشوا معك . . .

وهو مع ذلك كلِّه ، يشق الطَّريق الى المستقبل ، ويضيء مجاهله .

وكلما أسهبنا في محاسن هذا الرّفيق ، نجد مجالاً للقول فيه أوسع . .

فقد يجتمع عندك عدد من هؤلاء الأصدقاء ، فلا يتزاحمون ، ولا يتنابزون ، ولا يكلّفونك مؤنة الإصلاح والتّقريب . . .

وإنّك كلما مللت من أحدهم ، نحيته وأدنيت الآخر ، وقربته ، فيشغلك

مسلّماً إليك قياده ، ثم إذا وضعته في جنب رفيقه ، وتوجهت للثالث ، وجدته كأخويه . . .

فالكتاب خير رفيق ، ومن شاء استقل ، ومن شاء استكثر بلا حرج ولا ذمام . . .

والكتاب في الوقت نفسه ، رمز للخطر المقبل ، الذي وعد الله به عباده فيه ، ﴿ ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴾ ثم يقول ﴿ إقرأ كتابك كفى . . . ﴾ .

أهل الذمّة

في لفظة الذّمة ، صورة رائعة ، في لفظة الذّمة شعر وعاطفة وإيمان وإنسانية ، لفظة الذّمة بمعناها تحببك الى اهل الأديان ، وتفرض عليهم محبتك ، فإنّ العربي لا يخفر ذمامه ، ولا يخون أمانته ، وإنّ الوديعة تصان في المكان الذي يناسبها ، وإنّ أهل الأديان غير المسلمين من أشرف الأمانات ، ولذا ، فإنّ صيانتهم تكون في الذّمة . . .

فأهل الأديان السماوية كلهم في ذمتك ، وفي أمانتك إن كنت مسلماً كما تقول .

إنهذه الكلمة ـ الذمة ـ توحي إلينا أنّهم يحلون من الإسلام محلاً كريماً . . .

ألا وإنّ لأهل الذّمة ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، يعيشون جميعاً تحت ظلال الإسلام الوارف متجاورين ، متحابين متراحمين ، آمنين ، لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين . .

بورك الإسلام ، وبورك حاملوه ، وبورك من دين ويحبب الإنسان إلى أخيه. الإنسان ، ويدعو الى السلام . . .

من هم الناجحون في الحياة

الذكاء العالي ، الوسط ، البلادة .

العقل الرفيع ، الوسط ، الحمق .

المغامرة الشجاعة ، الجبن .

المتخصّصون المثابرون على عملهم .

كنت أعتقد أنَّ أشد الناس ذكاء أبعدهم عن النجاح ، وهكذا أثبتت التجارب ، والإحصاءات[1] وكنت أعتقد أنَّ متوسّطي الذّكاء أكثر نجاحاً ، وهكذا أثبتت الإحصاءات ، وقد ذكر ذلك في نشرات صغيرة .

وكنت ولا أزال أؤمن بعد تكرر التجربة الشخصية ، وبعد إحصاءات يسيرة ، أنَّ الذين يتحتم لهم النجاح إلى حد ما هم المتخصصون المثابرون .

أما المثابرة فقد ضربوا لها مثلاً في الكتب :

بأنَّ لسلحفاة وأرنباً أستبقا ، فاستهانت الأرنب بالسّلحفاة ، ونامت في أثناء الطّريق اعتماداً على موهبتها في سرعة العدو ، وأنَّ السلحفاة لم تزل تجد السّير لضعف ثقتها بنفهسا ، وعند الظّهر وصلت السّلحفاة ، أما الأرنب فلم تصل إلا في اليوم الثاني .

وأما المتخصّص ، فقد قالت الأمثال العامية فيه :

كثير الصّناعات قليل البارات ، والبارة إسم لأصغر قطعة من النقود التي يتعامل بها في العهد العثماني .

وقالوا أيضاً :

كثير الصّنايع قليل المنافع .

ويمكن أن يعلّل ذلك بقلة الإتقان من جهة كما اعترف به الشيخ البهائي (ره) عندما قال :

غلبني ذو العلم ، وغلبت ذا العلمين .

كما يعلّل ذلك بالإشتهار الجازم الموجب لنثقة ، بنظر الجمهور فالعالم المتخصّص بالأحكام الشرعية أوثق في نفس العلماء أنفسهم من حيث الإحاطة والإتقان من الذي يجمع معها غيرها .

(١) أعني بذلك تتبعي الشخصي .

النتيجة : أنَّ الموهبة والعقل والتخصص والمثابرة إلى حدٍّ ما ، كلّها أسباب للنجاح ، وإنّ بعض هذه الصفات إذا زادت أدّت الى الغرور ، والغرور يجعل فجوة بين صاحبه وبين ما ينبغي أن يكون ، ويعقب ذلك الفشل حتماً .

وقد تعلَّل بأُمور أُخرى ، فالزعيم التاجر لا ينجح في شيء ، لأن التجارة تقوم على جمع الكثير من الرّبح القليل ، والزّعامة تقوم على الشجاعة في الإنفاق وقت الحاجة إليه .

وقالوا : إنَّ شخصين أو أخوين كانا يتعاطيان السيّاسة ، وكان أحدهما اختصاصياً في الرّياضيات فلم ينجح أبداً .

والآخر كان اختصاصياً في علم الإجتماع فنجح في خطٍّ مطَّردٍ .

وعلَّل ذلك بأنَّ الأول كان يعمل دائماً على قواعد مكتسبة ونظريات مقرّرة ، قد لا تلائم المجتمع ، ولا يستطيع تخطيها ، لأنَّه اعتاد الإلتزام بالنظريات من العلوم الرياضية .

أما الآخر فكان مضافاً إلى إحاطته بشؤ ون المجتمعات يرتجل خططه بحسب الظَّرف وبقدر المناسبة ، هذا مضافاً إلى الصدق والأمانة والوفاء وبذل الجهد ، فإنّها كلّها عناصر للنّجاح ، والحديث طويل .

صباح الثلاثاء ٦ رجب ١٣٨٧ هـ / ١٠ / ١٩٦٧ م الشياح .

انتم الشّعراء

كتاب أصدره الرَّيحاني ، وأحدث ثورة أدبية ، وفي ذلك الوقت نفسه ، أرسلت كلمة لجريدة النِّداء البيروتية ، تحت عنوان (الرّيحاني شاعر وفيلسوف وسياسيّ) ، وأظنّ أنَّ هذا كله حصل سنة ١٩٣٢ م الموافق ١٣٥٣ هـ تقريباً .

حاول الأُستاذ الرَّيحاني ، في كتابه (أنتم الشّعراء) أن يثبت للمجتمع أنَّه شاعر ، وفيلسوف ، وسياسي في آنٍ واحدد ، ولكنَّه لم يكن موفقاً في ذلك .

فهو يرمي في كتابه إلى نبذ الأدب الباكي ، لأنَّ الأدب الباكي يجني على

الشَّباب ، ويخلق في نفوسهم الميوعة ، ويطبعها بطابع الشَّهوات ، وينتهي ذلك بالكسل والإتكالية . وضعف الهمَّة .

ويدعو إلى استبداله بالأدب الحماسي ، فإنَّ الحماس يملأ أرواحهم قوّة ونشاطاً ، وكان أهمّ ما حداه أو تحداه هو معطوعة بشارة الخوري المشهورة .

الهوى والشَّباب والأمل المنشود
ضاعت جميعها من يديّا

إنَّه موضوع حسن . . . ولكن براهينه كانت كلّها شعرية ، فإنَّك اذا قرأت ما تحت العناوين الآتية (دموع تذوب) و (ربة الشعر) ، وجدته شاعراً متكلفاً ، يحاول أن يثبت للشّعراء أنَّه واحد منهم .

واقرأ له تحت عنوان (ندب وانتداب) ، تجد الرّيحاني سياسياً ، يدعو إلى المقاطعة والثورة والإضراب ، ويريد أن يسخر الشّعر لهذه الناحية لا غير ، وهو ، في محاولته هذه ، لن ينجح لأنَّه يحاول تغيير طبيعة البشر ، وطمس أعظم لون من ألوان الأدب . . .

واقرأ له تحت عنوان (لون الحياة) ، و (عشر وصايا للشّعراء) و (خمس عشرة وصية للشّعراء) و (الشاعر والفيلسوف) تجد الرّيحاني حكيماً مجرباً يلقي نصائحه بلا ثمن . . .

الملاحظات العامة على الكتاب

١ ـ إنَّ الكتاب لم يكن فنياً ، لأنّه يرمي إلى أغراض مختلفة ، مع صغر حجمه .

٢ ـ إنَّ نظرية انتقاد الأدب الباكي نظرية قديمة ، ليست من مبتدعاته ولا من مخترعاته ، وقد تحدَّث عنها إفلاطون في كتاب (الجمهورية) ص ٦٢ . فإنَّه انتقد أربعة من مشاهير شعراء اليونان ، لأنَّهم يذكرون مخاوف الموت ، ولأنَّهم يستعملون الهجاء ، ولأنَّهم يمدحون كذباً ، ويعلّل أضرار ذكرهم لمخاوف الموت بنفس ما علّل به الرَّيحاني أضرار الأدب الباكي .

٣ ـ إنَّه يرمي إلى سياسة كان بالأمس يدعو إلى ضدها ، فبالأمس نزل عليه

الوحي ، في وادي الفريكة ، وخاطبه الإلٰه بأسرار سياسية مهمة، وتلقته الأدبية حيوية حدّاد بمقال جميل تثبت للرّيحاني أنَّ الذي أوحى له شيطان وليس إلٰه ، نشرته في جريدة النّداء تحت عنوان (من ريحانة إلى الرّيحاني) واليوم أصبح يدعو إلى سياسة ضد ما أوحي إليه من قبل على خطّ مستقيم ، فهل هذا التناقض في الموحي أو في الموحى إليه ؟ . . . ولعلّه من الفلسفة التي لا يدركها الشّعراء ، هذا ما اخترناه من تلك الكلمة . . .

إنّي سعيد لأنّي أُحبّ ولا أكره

إنّي سعيد ، لأنّي أُحبّ الجميع . . .

أنا أشعر بالتّعاون المتبادل بيني وبين الجميع ، لأنني أشعر بحبّ الجميع لي ، كما أشعر بحبّي لهم .

لذلك كله أنا سعيد . . .

أنا حبيب العلماء ، لأنّي أعظّمهم للعلم ولله سبحانه ، وامر بتعظيمهم ، ولكنّهم في الوقت نفسه يرهبونني . . لأنّهم يشعرون بنقصهم وذلك من كمالهم ، ومع ذلك يرهبونني ، ولأمرٍ مّا يرهبونني . . وأظنّ أنّ السّبب في ذلك أنّي وإن كنت شريكاً لهم في النقص أفضح نفسي أمامهم ، وأعترف لهم بجرمي ، فأُصبح جريئاً . . وهم ينكرون نقصهم جحوداً . . ولذلك تسيطر عليهم فشل الخائن . . وحاشاهم من الخيانة ، ولكنّه الكمال ، يعظم الجرم الصّغير في عين الكامل . . .

وأنا حبيب أهل اليسر والثّراء . . . لأنّي لا أُكلفهم بما لا يرغبون ، وهم يعطونني من اموالهم وأنفسهم ، ولمن أتوسّط لهم اكثر مما أنتظره منهم . . .

وأنا حبيب الفقير القانع ، لأنّي أُداوي آلامه بالموعظة ، وأُداوي فقره بقليل البرّ . . .

وأنا حبيب العامل والكادح ، لأنّي عامل كادح . . . أُشاركهم في المأساة ، وأُذيق نفسي عن قصد مرارة الحرمان . . . فأنا شريكهم ، وإن كنت فوق

مستواهم ، وأنا عدوّ الجاهل الفقير الجشع ، لذلك أنفر منه ، وأعيش كأنّني لا اعرفه . . .

بعد عودتي من لبنان في أوائل صفر . . سألني بعضهم سؤالاً ، فأجبته بهذه المضامين ورغبت في تدوينها فدوّنتها .

(١) الواعظ بين الدّين والدّنيا

للواعظ اتجاهان متعاكسان ، كلما قرب من أحدهما ، ابتعد عن الآخر . وإذا حدّث الناس بما يرضي الله سبحانه ، فبيّن للناس ما يصلحهم ، أغضب الناس ، وإذا قال لهم ما يرضيهم ، أغضب الله سبحانه ، وأفسد الناس .

إنّ الناس يعبدون شهواتهم ، والإنتهازيون يعطونهم ما يريدون ليستغلّوهم ، ومثلهم مثل من يبذر الحب للطّير ليصيده ، ومثل من يلقي اللّحم في البحر ليجتمع عليه السّمك فيصيده .

والخلاصة : الناس تريد ما تشتهي ، والله يريد للعبد ما يصلحه ، والوعاظ بين من يقول ليقال إنّه قال ، وبين من يسكت طلباً للسلامة ، وبين من يقول ما فيه رضا لله وصلاح للناس وهم أشجع الناس ، وأقلهم في حياتهم حظاً .

وهنا تظهر الفوارق الكبرى بين الانبياء والاوصياء ، وبين الساسة والانتهازيين الذين يفسدون في الأرض ويزعمون انهم مصلحون ، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب .

قال تعالى : ﴿واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ .

صبح الخميس ٩ ج اولى ١٣٨٩هـ

(٢) أنواع الظّلم

الظّلم على أنواع ، أولها ، وهو اعظمة ظلم العبد لربّه بترك شكره وادعاء الشّريك له ، وتفريطه فيما أمره به ونهاه عنه ، وهو أقبح أنواع الظّلم .

قال الله تعالى في سورة لقمان : ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنيّ لا

تشرك بالله ، إنّ الشّرك لظلم عظيم﴾ .

٢ ـ ظلمه لنفسه ، بتفريطه فيما يضمن له صلاح نفسه في الدّنيا وفوزه في الآخرة . قال تعالى : ﴿وما ظلمناهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

٣ ـ ظلم الفرد للفرد ، بالتعدّي عليه أو على ماله أو عرضه ، باليد أو باللّسان .

٤ ـ ظلمه لمجتمعه ، ومنه ظلم شعب لآخر باستعماره .

٥ ـ ظلم الحاكم للرعيّة .

٦ ـ ومن أوضح أنواع الظّلم سلب الحريات وغصبها ، فإنّ تطويق حرية القول وحرية العمل ، وحرية التحرّك من أوضح أنواع الظّلم ، والشعوب التقدمية هي أعظم الشعوب تقدماً في هذا النوع من الظّلم ، فهي في طليعة الظّالمين ، وهي في الصّف الأول منهم ، وهي تقدمية بهذا المعنى ، وتستحق هذا الإسم .

العصمة

أدلة اشتراط العصمة في امامة الإمام هي بعينها أدلة اشتراطها في النبي ، وهي أدلة عقلية وسمعية ، وتوضيح ذلك مسطور في الكتب الكثيرة ، وأما إثباتها لعليّ عليه السلام ، وللأئمة من ولده عليهم السلام ، فهي أمور :

أولها : أنّه لم يدّعها أحد من المسلمين غيرهم ، بل كان غيرهم ينفيها عن نفسه . فأبو بكر كان يقول : أنا إنسان أُخطىء وأُصيب ، فإذا زغت فقوّموني ، وعمر كان يقول : حتّى النّساء أفقه منك يا عمر . وبعض من ينتسب لأهل البيت كان يقول : يريدون منا أن نعلم الغيب .

ثانيها : أنّ عليّاً عليه السلام يوم الشورى ، لم يكن بينه وبين الخلافة الا أن يقول : قبلت ، عندما بايعه عبد الرحمن على كتاب الله وسنة نبيه ، والسّير بسيرة الشّيخين ، ولكنّه مع ذلك لم يجامل ولم يحاب ، وكان يمكنه أن يقبل ، وأن لا يعمل ، ولكنّها العصمة .

ثالثها : أنّه يوم صفين عندما انتصر جيشه على معاوية ثم انشق ، وطلب منه

الخوارج أن يعترف بالخطيئة ، ويقول : أتوب إلى الله ، أو تبت إلى الله ، وكان له ألف سبيل وسبيل إلى التلفظ بهذه الكلمة ، وقطع دابر الفتنة الحاضرة ، ولكنّه لو قالها لما كان لنا طريق لإثباتها إليه ، ولمن بعده من الأئمة عليهم السلام .

نحن وزماننا

أصبحنا في زمان لا نستطيع فيه أن ننكر المنكر ، ولا أن نعترف بالمعروف ، أصبحنا نخاف قول الحق حتى ممن يتطلّب منا أن نقول الحق ، وإنّ الحياة اذا انتهت إلى مثل هذه المهزلة ، أصبحت حراماً على الأحرار ، فلا حياة وأعلام الحق منطمسة ، وآثار الصّدق مندرسة . ولا حياة اذا عاد الإنسان الى حيوانيته ، ورجع العالم إلى جاهليته .

إنّ الواجب يحتّم علينا المجاهرة بالحق ، وان لم يكن لنا بل وإن كان علينا ، فكيف وهو لنا ونحن له ، إنّ الفرد جزء من كيان المجموع ، وضمان سعادته في ضمن سعادتهم ، والفرد يحمل من المسؤولية بقدر ما يحمله من الشّعور بالواجب ، وتكون جهوده بعد ذلك مقياس يخبر عن مقدار شعوره .

الأنبياء والساسة والمخترعون

الأنبياء يصنعون القلوب ، ويحوّلونها إلى معامل تصدر الخير ، .وتكافح الشّر ، وهم بلا ريب أعظم من صانعي الآلات والمدمرات .

الأمين والمأمون

قيل إنّ الرشيد كان يفضّل المأمون على الأمين ، وكانت زبيدة أُم الأمين لا ترضى بذلك ، فاتفقا على امتحانهما .

وللناس قصص وأحاديث في هذا الباب :

منها : أنّ الرشيد أرسل إلى الأمين يطلب منه عشرة تيوس معمّمين .

فقال له : أمهلني ساعتين ، فأمر الرّعاة بإحضار التيوس ، وأمر الغلمان بصنع العمائم لهنّ ، ففعلوا ، فأحضرهنّ إلى الرشيد ،

ثم طلب ذلك من المأمون ، فاستمهله يومين ، ثم ذهب وقت الصّلاة

للمسجد ، ووقف مع حاشيته على الباب ، فجعل كلما يخرج رجل ، يسأله عن الصّلاة والصّيام ، والمعتقدات وأسرارها ، فمن أجاب تركه ، ومن لم يفهم شيئاً استوقفه ، حتى اكتمل العدد ، فجاء بهم إلى الرّشيد ، ففرح بذلك . . .

ومنها : ما يرويه أهل الأدب ، أنّ الرشيد أراد عزل أحد القضاة في مدينة قم ، فقال للأمين : اكتب له عزلاً ،

فكتب كتاباً يفخم القاضي فيه ، ويخبره بعزله . ثم أمر المأمون بذلك ، فكتب بعد البسملة : أيّها القاضي بقم ، إنّا عزلناك فقم . .

ومنها : أنّ أبا نواس كان يتحاشى المأمون ، ويستغل الأمين ، وعاش معه ، وفيه يقول :

تغطّيت من دهري بظل جناحه
فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت
وأين مكاني ما عرفن مكاني

واتفق أنّه كان مسجوناً لأمر أغضب زبيدة ، وكان ذلك الأمر يتعلق بالأمين ثم أفرج عنه ، فعرض عليه الأمين أبياتاً من الشعر بمحضر والدته زبيدة ، وطلب منه بيان رأيه يقول فيها :

نحن بني العباس نجلس على الكراسي
نحارب الأعادي بالسيف والمزراق . .

فلما سمعها قام وطأطأ رأسه ومشى ،

فقالت له زبيدة : إلى أين يا أبا نواس ؟

قال : الى السجن يا سيدتي .

ففهمت ما اراد وعفت عنه .

حجر وطين

أدب الملوك

في آدب الملوك والامراء

معاهد التنصيص ص ٢٢ ج ١: حدث معاوية بن صالح الطّبراني ، قال : باح الناس في مصر بسبب السعر ، فبلغ الخصيب وهو يشرب مع أبي نواس ، فقال : دعني أيّها الأمير اسكتهم ، فخرج أبو نواس الى المسجد ، فصعد المنبر ، واعتمد على عضادتيه ، وحوّل وجهه للناس وعليه ثياب مشهرات ثم قال :

منحتكم يا اهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السّفاه فتركبوا على ظهر عاري الظّهر غير ركوب
فإن يك باقي إفك فرعون فيكم فإنّ عصا موسى بكفّ خصيب

قال : فتفرّق الناس .

وحدّث مطيع خادم البرامكة قال : كنت واقفاً على رأس الرّشيد ، اذ دخل أبو نؤاس ، فقال : انشدني قولك في الخصيب : فإن يك . . . الأبيات فأنشده إياها ، فقال الرشيد : الا قلت ؟ :

فإن يك باقي إفك فرعون فيكم فباقي عصا موسى بكفّ خصيب

فقال أبو نواس : هذا حسن والله ولكنّه لم يقع لي .

وحكي علي بن أسباط قال : لما قال أبو نواس منحتكم الأبيات ، رأى الخصيب في المنام قائلاً يقول له : يا خصيب ما فوق هذا المدح مدح ، قال : فما جزاؤه ؟ قال : نبحة كلب ، فقال : وما نبحة كلب قال : ألف قال : من أي الحجرين ؟ قال من الصّغير ، فلما أصبح صبح أبا نواس بالف دينار فقال أبو نواس :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفّقا فكلاكما بحر

ومما يروى أنّ ولادة بنت المستكفي على ما ببالي مرّت على ابن زيدون وقد جلس على

كرسي له وفي احد النواحي ساقية قذرة تجري بأقبح ما تجري به السّواقي ، فالتفتت إليه وقالت :

أنت الخصيب وهذه مصر مشيرة إلى تلك الساقية .

روي أنّ سيف الدّولة أهدى جارية وغلاماً ودراهم وثياباً الى رجلين من أهل الفضل فمدحه أحدهما بقصيدة جاء فيها قوله :

فغدا لنا من جودك المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح

فقال سيف الدولة بعدما فرغ من الإنشاد : أحسنت الا في لفظ المنكوح فإنّها ليست مما يخاطب به الملوك .

إتفق أنّه اجتمع الأضحى وعيد النيروز في يوم واحد ، فدخل الشعراء يهنّئون الدّاعي لأمر الله وتلا بعضهم قصيدة وكان مستهلها :

لا تقل بشرى وقل لي بشريان غرّة الدّاعي وعيد المهرجان

فمذ سمعه الداعي سكته ، لأنّه افتتح الشعر بالنهي عن البشر وهو من أخفى الإنتقادات .

الامير عبد الله بن الملك حسين ملك الحجاز .

الكاس واحدة ونحن اثنان فاعرف مكانك عندها ومكاني
أنا من عهدت وإنّني بك واثق والراح تشهد أنّنا أخوان
بيني وبينك في الرضاع مودة رشف المدام هو الرّضاع الثاني
ولقد شقيت بما لقيت من الهوى وجد يلح وعفّه تنهاني

عن عمر بن عبد البر في بهجة المجالس : أنّ عبد الملك بن مروان قال يوماً لبنيه : يا بني .. لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تقبلون عليه .

قال الوليد : أما أنا ففارس حرب .

وقال سليمان : وأما أنا فكاتب سلطان .

فقال ليزيد : فأنت ؟

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما تركنا حظاً لمختار .

فقال عبد الملك : فأين أنتم من التجارة التي هي أصلكم ونسبكم ؟

قالوا : تلك صناعة لا يفارقها ذل ، الرّغبة والرّهبة ، ولا ينجو صاحبها من الدّخول في جملة الدّهماء والرّعية .

فقال : عليكم إذن بطلب الأدب ، فإن كنتم ملوكاً سدتم ، وإن كنتم وسطاً رأستم ، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم .

سيف الدّولة والمتنبي

روى أنّ المتنبي أنشد سيف الدّولة قصيدته الميمية ، فلما انتهى إلى قوله فيه :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنّك في جفن الرّدى وهو نائم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضّاح وثغرك باسم

قال له سيف الدّولة : هلاّ بدّلت الشطور وقلت :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الرّدى وهو نائم

وقد رويت هذه القصّة على شكلين :

أولها : ماروا‌ه الثعالبي في يتيمة الدّهر قال : واستنشد سيف الدّولة يوماً أبا الطّيب المتنبي قصيدته التي أولها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان معجباً بها كثيراً لإستعادة لها ، فاندفع أبو الطّيب ينشدها ، فلما بلغ قوله :

وقفت وما في الموت شكّ لواقف

البيتين الآنفين ، قال : إنتقدنا عليك هذين كما انتقد على امرىء القيس بيتاه :

كأنّي لم أركب جواداً للذّة ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزقّ الرّويّ ولم أقل لخيلي كرى كرة بعد إجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، كان ينبغي لامرىء القيس أن يقول :

كأنّي لم اركب جوادا ولم اقل لخيلي كرى كرة بعد اجفال
ولم أسبأ الزقّ الرويّ للذة ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

وكان ينبغي أن تقول : وأنشد البيتين على ما نقلناه عن سيف الدّولة آنفاً .

فقال : أيد الله مولانا ـ إن صح ـ أنا ومولانا يعلمْ أنّ الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأنّ البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لأنّه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبية، وامرؤ القيس إنّما قرن لذة النساء بلذة الركوب للصّيد ، وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت اتبعته في ذكر الرّدى ، وهو الموت ، ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ،وعينه من أن تكون باكية ، قلت « وجهك وضاح وثغرك باسم » لاجمع بين الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها ، فاعجب سيف الدولة بقوله ، وأوصله بخمسين ديناراً من دنانير الصّلات ، وفيها خمسماية دينار . . .

وحكاها ابن رشيق القيرواني المتوفي سنة ٤٥٦ بصورة أُخرى : مجملها أنّه ورد رجل بغدادي يسمى بالمنتخب على سيف الدولة ، وكان لا يسلم أحد من نقده ، وكان ينتقد سائر الطّبقات، ويدلي بالحجة الواضحة، فانتقد يوماً بيتي امرىء القيس، بما مرّ ، فالتمس الأمر بين يدي سيف الدولة ، وسلموا له ما قال ، فقال رجل ممن حضر : ولا كرامة لهذا الرأي الله أصدق منك حيث يقول : ﴿ إنّ لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ فأتي بالجوع مع العرى ، ولم يأت به مع الظّمأ ، فسرّ سيف الدّولة وأجازه بصلة حسنة ، ولعل سيف الدّولة استدرك على المتنبي بعد سماعه استدراك المنتخب على امرىء القيس ، ليرى كيف يعتذر .

أنشد ابن العميد قول أبي تمام أو المتنّبي بحضور الصّاحب وهذا هو :

كريم متى امدحه أمدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي

فقال له :هل تعرف ماعيب هذا البيت؟فقال: في تكرير أمدحه ، لأنّه يلزم منه التنافر .

فقال : لا ولكن في مقابلة المدح باللوم ، وهويقابل بالذّم قلت : ان الشاعر كان اسمى فكراً في عدوله عن الذم الى اللوم لأن الملوك لا تقابل بنسبة الذم ولو من غير المتكلم، فهي لا تذم على شيء ، وإنّما تلام عليه ، فهو إذن لا عيب فيه غير التنافر الذي نصّ عليه اهل البيان الناشيء من التكرار ، لا في وحدة المخرج بين الهاء والحاء ، فإنّه موجود في قوله سبحانه فسبّحه ومستحيل أن يكون في الكتاب العزيز ما ليس بفصيح لاستلزامه نسبة الجهل أو العجز .

مما ينسب لعبد الله بن طاهر الحسين صاحب المأمون ، وينسب أيضاً للعلوي وقد أشرف على فتح الشام ، فنجتها امرأة بسبب هذه الابيات ، وهي هذه :

نحن قوم تذيبنا الأعين النّجـ ـل على أننا نذيب الحديدا
طوع أيدي الغرام تقتادنا الغيـ ـد ونقتاد في الطّعان الأسودا
نملك الصيد ثم تملكنا الغيـ ـد المصونات أعيناً وخدودا
تتقي سخطنا الأسود ونخشى سخطه الخشف حين يبدي الصّدودا
فترانا يوم الكريهة أحراراً وفي السّلم للحسان عبيدا

انتهت .

قال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرّحمن بن الحكم : إنّك لهجت بالشعر ، فإياك والتشبّب بالنّساء ، فتعر شريفة ، والهجاء فتهجن كريماً ، او تثير لئيماً ، وإياك والمدح ، فهو كسب الأنذال ، ولكن إفخر بمآثر قومك ، وقل من الامثال ما تزين به نفسك ، وتؤدب به غيرك ، وإن لم تجد من المدح بدأ ، فكن كالملك المرادي حين مدح فجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال :

أحللت رحلي في بني ذهل إنّ الكريم للكريم محلّ

لصاحب الزّنج علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين (ع) الذي قاد الزّنج في العراق ، واستولى على اكثر العراق والأهواز مدّة طويلة :

وإنّا لتصبح أسيافنا اذا ما انتضينا ليوم سفوك
منابرهنّ بطون الأكفّ وأغمادهنّ رؤوس الملوك

قال المأمون لبعض جلسائه : أنشدوني بيتاً لملك يدل على أنّ قائله ملك ، فأنشده بعضهم قول امرىء القيس :

أمن أجل أعرابية حلّ أهلها جنوب الحمى عيناك تبتدران

فقال : ليس في هذا ما يدل على أنّ قائله ملك ، فإنّه يجوز أن يقول هذا سوقيّ حضريّ ، ثم قال : الشعر الذي يدل على أنّ قائله ملك قول الوليد بن يزيد :

إسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النّديم كأساً عقارا

ألا ترون إلى إشارته وقول هذا النّديم فإنّها إشارة ملك .

لسيف الدولة الحمداني عن م ٢ من العرفان ص ٥٢ :

قد جرى في دمعه دمه فإلى كم أنت تظلمه
رد عنه الطّرف منك فقد جرّحته منه أسهمه
كيف يسطيع التجلد مَن خطرات الوهم تؤلمه

وقال يوماً لندمائه ، وفيهم أبو فراس : من يجيز قولي وليس له إلا سيدي أبا فراس :

لك جسمي تعلّم فدمي لم تحله

فقال أبو فراس مرتجلاً :

أنا أن كنت مالكاً فلي الأمر كله

فاستحسنه وأعطاه ضيعة تغل ألف دينار .

في تاريخ الشّهابي في حوادث سنة ٦٢١ هـ ص ٤٠٥ ذكر وفاة الملك الأفضل عليّ بن صلاح الدّين الأيوبي ، وذكر أنّ عمه أبا بكر وأخاه عثمان قد غضبا منه ، ماولاه أبوه عليه ، فكتب إلى الملك الناصر العباسي ، وكان كل منهما يتشيع حتى أنّ شباك موضع الصاحب (ع) في سامراء من بناء الناصر ، وهو دقيق الصنع ، ولا يزال موجوداً ، حتى هذه الساعة (١٤٠١) كتب له :

مولاي إنّ أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالظّلم حقّ علي
فانظر الى حظّ هذا الإسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول

فأجابه الناصر شعراً :

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا بالصّدق يخبر أنّ أصلك طاهر
غصبوا عليّاً حقّه إذ لم يكن بعد النّبيّ له بيثرب ناصر
فاصبر فإنّ غداً عليه حسابهم وابشر فناصرك الإمام الناصر

وهذا الشعر يدل على تشيعهما الصّريح . . .

عن الكشكول : لما مات صلاح الدّين الأيوبي - يوسف ، قسم مملكته بين أولاده ، وكان اسم أحدهم علياً والآخر عثمان ، والثالث أبا بكر ، فاعتدى الأخيران على الأول وخالفا وصية أبيهما ، فاستعدى عليهما الإمام الناصر لدين الله ، ، وكان هو والناصر يتشيعان كما قيل ، يشهد لذلك هذه المراسلة ، وهذا كتاب عليّ بن صلاح الدين الأيوبي :

مولاي . . إنّ أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حقّ علي
وكان بالأمس قد ولاّه والده في عهده فأضاعا الأمر حين ولي
فانظر إلى حظّ هذا الإسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول
فخالفاه وحلاّ عقد بيعته والامر بينهما والنّصّ فيه جلي

فوقع الخليفة في ظَهر كتابه :

وافى كتابك يا ابن يوسف ناطقاً بالحق يخبر أن اصلك طاهر
منعوا علياً ارثه اذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فإن غداً عليٌّ حسابهم وابشر بناصرك الإمام الناصر

فهرس الجزء الأول من كتاب حجر وطين

موسوعة في أجزاء

يتضمن الجزء الأول منه أربعة عشر كتاباً وهي :

ويتضمن أيضاً جزءاً آخر.

● الأطياف الصادقة ● وفايات الأعيان ● الأدب الساخر ● مقالات ومحاضرات ● مختارات أدبية . من نكت القرآن ● من مكتشفات الأعراب ، وغيرها من تتمات الكتب السابقة .

● الرسائل المنتقاة ● قصص الصالحين ● مساجلات أدبية أكثرها لمن عاصرناهم ● الأجوبة المسكتة أو المستملحة أدب القصة .